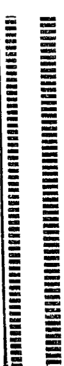
ثورة يوليو وأزمة الثقافة



عزت معوض



ثورة يوليو وأزمة الثقافة

عزت معوض



١٩٩١

الاخراج الفنى

البير جورجى

إهـــداء

● الى روح أمي التى علمتني
كيف أحيا صادقا مع نفسي ●

عزت معوض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــــدمة

الثقافة فى رمزيتها اكتساب المعرفة وتنظيمها ونقلها الى الآخرين ٠٠ وهى التى تجعل الانسان « انسانا » ٠٠ وتصنع مجتمعا قادرا على الالتحام والتفاهم ٠

وكما يقال :

ان أى ثقافة فى أى بلد من بلاد العالم لابد أن تمثل كيانا متكاملا ٠٠ وأن الفن لا يتطور بطبيعة الحال ، مادامت الثقافة عمــوما لا تتطور ٠٠ فالوطن ليس كيانات مستقلة ٠ وهذا الكتاب محاورات جادة ـ تبحث عن أسباب التخلف الثقافى وأزمة الفــكر والفن والأدب ـ مع الذين كــانوا شهودا على دلائل اليقظة والنهضة ، وشهودا أيضا على كبوتها وانحسارها ٠ ومن هنا كانت محاورة المفكرين والأدباء والمثقفين ضرورة ملحة لمعرفة بعض الحقائق الغائبة التى أدت الى الأزمة والتخلف الثقافى ، وما هى الامكانات المتاحة للخروج من تابوت هذه الأزمة وهذا التخلف ؟!

فالضرورة تجبرنا على التغيير الثقافى فى عملية نظامية عقلانية يتيسر للعقل ادراكها دون التوسل الى عوامل لا تعــد ولا تحصى أو الى معجزات ٠

وقد ذهب بعض المفكرين الى أن التغير فى ثقافة ما لا يمكن أن يحدث الا عن طريق الاختراع ، كأن يصبح أحد التجديدات فى ميادين التكنولوجيا أو التنظيم الاجتماعى أو اللغة التى هى جزء من التراث الثقافى للانسان ٠

ولن نفهم الثقافة البشرية الا اذا نظرنا اليها باعتبارها جزءا من العملية التطورية ٠ فالنكسات العارضة فى ثقافتنا يجب أن نمحوها ، حتى لا تظل هذه الثقافة هامشية أو مختلطة ٠٠ !!



وقد عرف « الأنثروبولوجيون »(١) ومن بينهم «كروبروكلاكهوف»(٢) « ان الثقافة هى جميع مخططات الحياة التى تكونت على مدى التاريخ ٠٠ بما فى ذلك المخططات الضمنية والصريحة والعقلية واللاعقلية وغير العقلية ٠٠ وفهم السلوك البشرى ٠

والثقافة لا تتوقف عند تقنيات ومناهج الفن ، والموسيقى ، أو حياكة الملابس ، أو بناء البيوت ، أو الكتب الفكاهية ، والأغانى التى يرددها رجل الشارع ، لكنها تتضمن أيضا الحضارة ٠٠ الحضارة العظيمة المعاصرة أو القديمة ، ليست سوى مراحل خاصة فى تطور الثقافة ، تتباين فى ثراء مضمونها وفى تعقد تركيبها ٠ » ٠

وأكد « رادكليف براون » (٣) « على فكرة التوازن بالذات ، واعتبرها الحالة التى تؤدى فيها كل عناصر المجتمع وظائفها أداء كاملا دون أى صراع ، فاذا لم يتحقق هذا التوازن فسوف يختل الأداء الوظيفى » ٠

وترى « روث بندكت » (٤) « أن الثقافة ـ شأنها شأن الفرد تقريبا ـ تمثل نمطا متسقا الى حد ما من الفكر والسلوك ، فتوجد داخل كل ثقافة بعض الأهداف المميزة التى لا تشترك فيها بالضرورة مع أنماط المجتمعات الأخرى ٠ ويحاول كل شعب فى تحقيقه لهذه الأهداف أن يركز تجربته وخبرته الخاصة ويبلورها أكثر فأكثر ٠ وبقدر ما تحظى به من أهمية تتحول عناصر السلوك المتنافرة الى شكل يزداد تلاؤما وانسجاما باستمرار » ٠

وعن الأهداف الحقيقية للثقافة يقول « الدكتور محمد الجوهرى » فى كتابه « الأنثروبولوجيا » : (٥) « ان الثقافة كأداة للتكيف لابد أن تحقق للانسان الغذاء ، وتوفير الحماية البيولوجية الأساسية ، والاحتياجات

---

(١) ورد تعريف « أنثروبولوجيا » فى الموسوعة الثقافية (١٣٥) « أنها علم الانسان ، ويدرس أصول النوع الانسانى وكل الظواهر المتعلقة به ، كما يدرس الثقافة ، وتنقسم « الأنثروبولوجيا » الى فرعين كبيرين هما : « الأنثروبولوجيا الطبيعية » و « الأنثروبولوجيا الثقافية » ، وتشمل « الأنثروبولوجيا الثقافية » ، « الأركيولوجيا » وهى دراسة الثقافات البائدة ، و « الاثنولوجيا » وهى دراسة الثقافات الحالية ، تتناول « الأنثولوجيا الطبيعية » دراسة المشكلات الخاصة بالتطور الانسانى ، و « والباليونتولوجيا » (علم الانسان القديم) ودراسة الأجناس البشرية ، وتكوين الجسم ٠

(٢) من كتاب « الأنثروبولوجيا » أسس نظرية وتطبيقات عملية ، تأليف الدكتور « محمد الجوهرى » ، طبعة دار المعارف (٥٧) ٠

(٣) المصدر السابق (٧٢) ٠

(٤) المصدر السابق (٧٣) ٠

(٥) المصدر السابق (٧٩) ٠

النفسية ، والعاطفية ، والأمان ، والسعادة ، ومن هنا يمكن اعتبار الثقافة الأداة التى يستطيع الانسان من خلالها أن يتكيف بسرعة مع التغيرات التى تطرأ على البيئة ، أو أن تزيد من قدرته على مراعاة العلاقات الانسانية والبيئة ، وتتضمن هذه العلاقات أدواته التكنولوجية وأساليبه فى الصناعة ٠

والتكنولوجيا هى أساليب السلوك التى بواسطتها يستغل البشر الموارد الطبيعية للحصول على الطعام وتصنيع الأدوات والأسلحة والملابس ، والمساكن ، والأوانى والمصنوعات المادية الأخرى العديدة اللازمة لأساليب حياتهم ، من اقتصاد يتضمن تنظيم المجتمع بانتاج وتوزيع واستهلاك السلع والخدمات ، وتنظيم اجتماعى يتعلق بالحفاظ على العلاقات المنظمة بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع أو بين المجتمع وأحد أقسامه الرئيسية أو بين المجتمع ومجتمعات أخرى ٠ » ٠



وبنظرة موضوعية ، من غير الاجتراء على الحقائق أو تزييفها بالنظرة المذهبية الضيقة ، التى سقطت كل أقنعتها ٠٠ نسأل مع المحللين الذين يطرحون سؤالا ضخما ٠٠ هل نحن متخلفون بحكم واقعنا أم بحكم القدرية البيولوجية أم بالحتمية الجغرافية ، ومن هنا عجزنا عن اللحاق بثقافات العالم الأول والثانى ٠٠ ؟!

تأتى الاجابة من خلال بحث « للدكتور شاكر مصطفى » عن « عالم الثقافة ٠٠ المتخلفة » (٦) « الواقع أن نوعا من الحرب الثقافية يقوم اليوم بين التيارات المختلفة وبخاصة المتطرفة منها !

والرهبة والرغبة واردة على الطرفين ٠ وكلمة اليسار سبة على شفاه المحافظين كما أن كلمة الرجعية سبة على شفاه أهل اليسار وفيما بين الطرفين تمتد سلسلة من الألوان الثقافية تعيشها من نستطيع تسميتهم بالأكثرية الصامتة ٠

والقضية فى أساسها أن هذه الأمة تاريخية لا فى القدم فقط ولكن فى الارتباط بهذا القدم وقضية التراث قضية مركزية فى الثقافة العربية ، ونحن نفكر فى الماضى كلما اتجهنا الى المستقبل ، والتفكير فى الغد يحيلنا مباشرة الى التفكير فى الأمس ٠

---

(٦) عالم الفكر (المجلد التاسع عشر) (٣٥) ٠

فالتخلف الثقافى جاء نتيجة لانكار الذات ومحاولة تحطيمها لحساب الذات الأخرى الغربية ، من غير أن نربط ما بين التراث والأصالة ، ونجعل الأمرين واحدا مع أنهما مختلفان ، والأصالة ليست فى التراث ولكنها فى الابداع من خلاله ، وبهذا المعنى يصبح التراث امكانا مستقبليا وليس عبئا يحمل » .

« ومفهوم سحق الذاتيات الثقافية طرحه « هنرى غوبار » فى كتابه « الحرب الثقافية » ويعتبر هذه الحرب أخطر من الحرب الساخنة ، الحرب الساخنة تعبىء الجماهير ، فى حين أن هذه الحرب تشل الارادات وتدق بمطرقتها العقول ، وكما أن الحرب تبدأ فى العقول وكذلك الاستسلام يبدأ فيها » .

« ونتيجة لهذا وجدنا على الجانب الآخر تيارا بهرته الثقافة الغربية حتى الشلل ، فهو لا يكاد ينظر الى أمه وحاجاتها وواقعها وامكانها الا من خلال النظارات الغربية ، لا تؤثر هذه النظرة على فكره فقط ولكن على تعبيره اللغوى أيضا عن هذا الفكر وعلى فنونه وعلى أسلوبه فى الحياة .. حتى درجة الغرق .. !!

ومن هنا بدأ موقف الانسلاخ الكامل عن الأمة العربية والركض وراء ثقافة أخرى رائجة والاندساس السريع فيها .. !!

وأصبحت التبعية الثقافية أمرا مفروضا ، التبعية فى الكرسى الذى نجلس عليه ، فى المذهب المسرحى الذى نتبناه ، وفى الفكر الذى نجادل ونختصم به ، فى أذواقنا ، فى شعرنا فى كل شىء نحن نفكر بالغرب (شرقيه وغربيه) كما فى تنظيم الدولة الذى نطرح ونطبق نظامه .

بمنتهى البلاهة أحيانا .. وبذلك أصبحنا ملحقا ثقافيا للغرب .. نركض دائما خلفه .. نقيس نجاح روايتنا بروايته ، شعرنا بشعره .. ونجاح رجالنا بنجاحه .. وقيمنا الكبرى بقيمه .. فغاب الابداع الذاتى » .

« وحتى لا يكون هناك التباس فى تفسير هذه الفقرات ، أن الثقافة الخاصة شىء ، والثقافة المعتزلة شىء آخر » .

« والاستقلالية ليست الحفاظ على التراث والانكماش ضمن قوقعته ، ولا الحفاظ على الذات كما هى ، ولكن الابداع من خلالها وتطوير هذا التراث وهذه الذات باستمرار . انها تعنى ادخال ما استطيع أن أسميه عامل الزمن فى التراث . ثورة الزمن فيه . ان الثقافة التى لا تتطور تموت . انها كائن حى ! وهى ككل كائن حى اما أن تتغير أو تموت .. أليس الموت نفسه نوعا من التغير ؟! » .

★ ★ ★

« وعرفت الأصالة » (٧) بأنه الشخص المبدع ذو تفكير أصيل أى أنه لا يكرر أفكار المحيطين به فتكون الأفكار التى يولدها جديدة اذا ما حكمنا عليها فى ضوء الأفكار التى تبرز عند الاشخاص الآخرين ، ويمكن الحكم على الفكرة بالأصالة فى ضوء عدم خضوعها للأفكار الشائعة ، وخروجها عن التقليد ، وتميزها ، والشخص صاحب التفكير الأصيل هو الشخص الذى ينفر من تكرار أفكار الآخرين وحلولهم التقليدية للمشكلات » .

واذا كان التنافر فى داخل كيان المجتمع يؤدى الى الافراط فى التمزق ، فلابد من أساس ثقافى يشتركون فيه ، وهذا الأساس هو الثقافة بشكلها العام . وعندما نجد الخلل فى المجتمع قد زاد تعقيدا وأصبح هو السمة الغالبة على معظم الناس فلابد أن ثمة خطأ ما قد حدث وتراكم عبر السنين ، فلا يمكن أن يهتز المجتمع بين يوم وليلة ، ومن الصعب أيضا نسيان الماضى عندما يتجسد فى شىء ملموس اسمه أزمة ، والأزمة الكبرى فى التخلف الثقافى .. !!

واذا كنا ندرك حقا الورطة التى يعانى منها المجتمع ، فلابد أن نطرح العواطف الصبيانية جانبا ، والنظرات المذهبية المقولبة فى قوالب حديدية ، ونبحث بشكل علمى ممنهج عن أسباب أزمة الثقافة ، ومن المسئول عن ذلك ، حتى ولو أغضبت النتائج الذين قد أعماهم ضلالهم عن رؤية الحقيقة .

فهل الأزمة سببها زوابع الثورة ؟ أو أنها أزمة الضمير والدين بشكل عام ؟

وهل الوطن عاش حقيقة عصر النهضة ، والفكر الذى لا نظير له ؟ ولماذا فقدنا الانتماء ؟! .

وماذا حدث للفن المصرى من موسيقى وغناء ومسرح وسينما ؟ وهل لم يعد عندنا القدرة على التذوق والذوق ؟ وما هى رؤيتنا للمستقبل ؟!

وهل نحن حقا ورثة متخمون بما حصلنا عليه من العصور القديمة والوسيطة ، وعصر النهضة ؟! حاولت جهدى البحث عن اجابات لكل هذه التساؤلات ، بحثت فى الزمان والمكان والانسان ، وكان شاغلى أن أصل للحقيقة الغائبة .

سألت المثقفين الذين أحاطونا علما بأنهم قادرون على تبديد كل أكداس الظلام ، وبنوا لنا قلاعا من الحق والأخلاق والسياسة والفكر والفن والثقافة .. ماذا حدث ؟

---

(٧) عالم الفكر (المجلد الخامس عشر) (٤٢) .

ولماذا فقد الانسان المصرى الديناميكية على التغير والتغيير ؟ ولماذا اضطربت القلوب ، وتزعزعت الارادات ، وامتلأت النفوس بالكآبة القاتمة فى اللاحل ؟!

وماذا أحدثت سطوة دولة العسكر فى الوطن والمواطن ؟ هل أخمدت قوته وأبطلت فاعلياته العاقلة المفكرة ، عندما قالت له : أنا أفكر لك ، أنا أحلم لك ، أنا أسعد لك ، أنا أتثقف لك ، وما عليك الا أن تترك قيادك لى ، لأنك مازلت قاصرا وغير عاقل ٠٠ ؟!

واذا كان « جارودى » يقول : « ان التخلف هو التعبير الدال على علاقة استغلال بلد لبلد آخر » ٠

فماذا يحدث اذا كان المستغل من داخل هذا الوطن ، هل تكون هناك رموز حقيقية تمثل الثقافة فى أسمى معانيها ، من معرفة وعقيدة وفن وقانون وأخلاق وعرف وقيم ورموز لغوية ٠٠ ؟!

« عندما نفتقد الثقافة الجادة ، يغيب الابداع ولابد أن يكون هناك فراغ ، وتبدو محاولة البحث عمن يملأ هذا الفراغ لا يكون الا بالفكر المستعار حتى يسد الفراغ ، ومن هنا تجد صرخة العصر الحل الغريب جاهزا ليسد الحاجة ، فالطبيعة تكره الفراغ » ٠

وهذا الكتاب محاولة لمعرفة ، لماذا تخلفنا ثقافيا ، وأصبحت غالبية الفنون فى أزمة ؟! ٠

واذا كان فى الكتاب نقص فالكمال « لله » وحده ، وان كان هناك قصور وأخطاء فتلك هى طبيعة الاجتهادات ، حتى يأتى من يستكمل النقص ويصوب الخطأ وكما يقول « جيتى » الشاعر الالمانى « من أصدق الأشياء وأعجبها أن ينجم الخطأ والصواب من ينبوع واحد ٠ ولا أضر على الحقيقة الجديدة من الخطأ القديم ٠ »

عـزت معوض

د ٠ زكى نجيب محمود

كيف نواجه التحدى الحضارى ؟!

عندما اضطربت الأوضاع الاجتماعية فى الصين القديمة وساءت الأمور وانهارت أخلاق الناس سئل « كونفشيوس » عن العلاج فقال بلا تردد :

« وضع الألفاظ فى مواضعها ، حين لا توضع الألفاظ فى مواضعها تضطرب الأذهان ·· وحين تضطرب الأذهان تفسد المعاملات ·· وحين تفسد المعاملات لاتدرس الموسيقى ولا تؤدى الشعائر الدينية ·· وحين لا تدرس الموسيقى ولا تؤدى الشعائر الدينية ، تفسد النسبة بين العقوبة والألم ·· ولا يدرى الشعب على أى القدمين يرقص ، ولا ماذا يفعل بأصابعه العشرة ·· ؟!

واذا كنا فى زمن قد اختلطت فيه أشياء كثيرة ·· واستحدثت فيه أشياء ·· واضطربت القيم وأصبحت الأوضاع الاجتماعية مترديه فى ظلمة الجهالة ·· وغارقة فى وثنية الغد المبتذل ·· وفى اللاوعى ·· وانحصرت دائرة الوعى فى أشياء لا تخدم الوعى ولا تقفز به قفزات لتطور الواقع ·· وتجعله يلحق بركاب الحضارة ·· وتغير فى المواطن العادى نظرته اللا مبالية ·· واستغراقه فى غيبوبة التخدير وعدم التفكير والبحث الجاد فى تقويم هذا الاعوجاج وهذا الاضطراب والانسياب وراء اللا انتماء والضيــاع ·

واذا كانت كل هذه الأشياء تشغل بالنا وتمثل همومنا ·· فلابد أن نبحث عن علاج وهذا العلاج لا يكون الا عند فيلسوف ·· فالفيرسوف هو حكيم الأمة ·· أى القادر على وصف الدواء للعلاج ·· كان لابد أن

نفكر فى الدخول الى منطقة تبدو أنها محظور الاقتراب منها ٠٠ لكن الذى شجعنا على ذلك ٠٠ التنوع فى العطاء ، والتناول الجاد الرصين لشخصيات أثرت حياتنا الأدبية والفنية والفكرية ٠٠ وغاصت فى أعماقها لتقـــدم صورة صحيحة واضحة للقارىء ٠٠ وحتى لاتدع الفرصة تفلت من بين أيدينا وقد جاءت سانحة بفوز فيلسوفنا الكبير الدكتـــور « زكي نجيب محمود » وتكريمه بمنحه جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لهذا العقل العربى الواعى ٠٠ الذى لم يفقد قدرته على التعبير والتطوير والأصالة والتجدد للحاق بركب الحضارة ٠

عندما قررت أن أجرى حوارا مع هذا الفيلسوف العملاق ٠٠ يكون فى متنـــاول أيدى وعقول القراء من مختلف الطبقات والمستويات ٠٠ وأنا فى طريقى الى منزل هذا المفكر الكبير ٠٠ كنت فى حيرة شديدة ٠٠ من أين أبدأ ؟ والى أين أنتهى ؟ ما هى نوعية القضايا التى يجب طرحها على هذا الفيلسوف ، صاحب « المنهج العلمى التجريبى » و « الوضعية المنطقية » ٠٠ ؟!

هل يقبل أن يتبسط معى ومع القارىء ؟ وأن الوقت الذى أقتطعه منه لايمثل عبئا على فكره وفلسفته ٠٠ والذى خفف من حدة التساؤلات أن على الفيلسوف دورا كبيرا وخطيرا تجاه مجتمعه ٠٠ فهو الذى يصحح خطواته ومساراته الفكرية والعقلية ٠٠ ومما هدأ من روعى وخفف من ثقل مهمتى فى التحاور مع الفيلسوف الكبير ٠٠ عنـــدما فتح لى باب شـــقته ٠

قلت له :

ـ جئت فى الموعد المحدد

ـ قال ضاحكا : لقد اعتدت على احترام المواعيد والالتزام بها منذ كنت فى انجلترا ٠٠ وأسوأ شىء فى الانسان عدم احترام المواعيد والالتزام بها ٠

قلت له :

ـ لقد شرفت بك الجائزة ، وأضفيت عليها قيمة كبيرة (*) ٠

(*) حصل على جائزة المنظمة العربية عام ١٩٨٤ ٠

قال :

في رقة وعذوبة وفي تواضع العالم الواثق من خطاه ..
ـ أشـــكرك .

قلت له :

ـ معذرة لفيلسوفنا الكبير .. انى أعرف أنك في الماضي رفضت أن تتكلم لهذه المجلة .. لكن بعـد التطور والجدية أعتقد أنك سـوف تفتح قلبك لها وتشبع رغبـة القراء في معرفة المزيد من آراء الدكتور « زكي نجيب محمود » القيمة .

قال :

ـ ليس هناك عيب أن يكون عندنا « مجلة فنية » تتحدث بلسان « السينما والمسرح والتليفزيون والفن التشكيلي وما غيرها من فنون .. وهذا حادث في كل بلاد العالم .. وانى لأتعجب للذين يقولون : هذا العالم أو هذا المفكر أو هذا الأديب ، لم يحظ بتسليط الأضواء عليه .. مثلما يحظى الفنانون ومن على شاكلتهم من شهرة .. ومن تلقف لأخبارهم والاهتمام بهم .. فهذا شيء مؤكد .. لأنهم يملأون الفـراغ في عقول الناس ويسلون وقتهم .. أما المفكر أو الأديب فانه يدعوهم الى التفكير وبذل الجهد والتعب .. والناس بطبيعتهم ميالون الى التسـلية والبحث عن الضحك على « الفاضي والمليان .. !! » .

● القوة الشرائية والخلل الفني ●

أخذت أقلب في أوراقي ، ثم بدأت أبحث معه عن اجابة ، لما نراه حادثا في الفن الآن ورؤيته له ، وهل الخلل في البنية الفنية هو نتساج تدهور ثقافي ؟!

قال :

ـ قبل أن نتحدث عن الخلل في بنية الحياة الفنية عندنا اليوم .. لابد من الانصاف الذى يتيح لنا أن نعترف بوجود بعض المبدعات الفنية الجيدة ، برغم أن الخلل الذى تذكرونه في السؤال يغلب على حياتنـا الفنية بصفة عامة .. وبعد ذلك نتناول هذا الخلل بالتعليل والتفسير .

فأول ما أذكره فى هذا السبيل ، هو أن محور القوة الجاذبة فى هذه المرحلة قد تغير وانتقل من الطبقة التى كانت توصف « بالأرستفراطية » .. وكذلك انتقل من الطبقة التى كانت تليها وتحاكيها وهى « صـفوة المثقفين » من الطبقة الوسطى .

ان محور الجذب فى دنيا الفنون قد انتقل الى الطبقة العاملة .. وذلك لسبب بسيط وهو أنه فى السنوات الأخـيرة ، أصبحت القوة الشرائية نسبيا مع هذه الطبقة العاملة أكثر مما هى مع أى فئة أخرى من جهة أولى . ومن جهة ثانية أصبح ثقل الرأى الذى يتجهون اليه أرجح من ثقل الرأى فى الفئات الأخرى على كل مستوى .. ويكفى أن نقول فى هذا الصدد ان صـنع القرار فى كل الهيئات من « مجلس الشـعب » . الى « مجالس الادارات » الى غـير ذلك لهم فيهـا النصف على الأقل .. فكانت النتيجة الطبيعية لهذا الوزن الاجتماعى ، الذى كسبته الفئـات العاملة ، أن تستجيب دنيـا الفنون المسرحية والسينمائية والغنائية ، وغيرها ربما الى تحقيق ما يطلبه هؤلاء .. !! فقد تعرض الكوميديا مثلا التى يضحك لها جمهور الشعب فى هذه الناحية ، ولا يضحك لهـا من أثقلته الثقافة الرفيعـة .. فيختار المنتج الفنى ما يعجب الجمهـور العريض . هذه ناحية نعلل بها ، أن المستوى المعروض فى دنيا الفنون الآن ، يختلف اختلافا نسميه نحن الآن خللا ، ونضيف ناحية أخرى ، وهى فى هذه الحالة ناحية تشير الى وضع اجتماعى وحضارى يكاد يعم العالم كله ولا يقتصر علينـا .. وهو أن الرؤية الفنيـة تغيرت بسبب طبيعة العصر الذى نعيش فيه .. وهو عصر انتقال حضارى ، من حالة كانت مستقرة حتى الحرب العالميـة الأولى ، ونرجو لها أن تستقر مرة أخرى على أوضاع جديدة خلال القرن الحادى والعشرين . أما « القرن العشرين » نفسه لايزيد فى جملته على أنه مرحلة ارهاصات لولادة جديدة لم تعرف ملامحها بعد معرفة دقيقة .. !!

اننى أقول فى هذا المجال ، ان القرن الماضى هو الذى أفرز الأفكار الكبرى التى سيترتب عليها التغير الحضارى ، ولكنه لم ينجز من ذلك شيئا ، فجاء هذا القرن لا ليضيف فكرا جديدا بل ليتمثل تلك الأفكار الكبرى من القرن الماضى .. مثل « فكرة التطور » ، و « فكرة الاشتراكية» و « الفكر الجدلى » و « فكرة النسبية » و « فكرة اللا شعور » .

ومن هنا نجد أن هذه المرحلة لاتزال تتحسس الطريق ، لتلتمس السبيل الى الوضوح ، فيما يراد لهذا التغير الحضاري أن يجيء عليه ..

فكان لهذا أثر كبير فى دنيا الفنون كلها . فالفنون التشكيلية فى حالة تجارب مستمرة من « انطباعية » الى « تجـريدية » الى « سريالية » الى « تكعيبية » الى غير ذلك .

والمذاهب الفلسفية فى حالة تشبه هذه الحالة التجريبية ، أيضا كل يحاول فتح طريق جديد يختلف عن الطرق المألوفة .

وكذلك بالطبع دنيا الفنون المسرحية وما يدور حولها .. فنجد مثل هذه النزعة التجريبية فيها ، فيظهر مسرح اللا معقول .. مسرح العبث .. وتظهر القصة التى لا تحكى حكاية .. وتتغير الأوضاع التى كانت راسخة حتى الحرب العالميـة الأولى تمهيدا لأوضاع جديدة . وعلى ضوء هذا كله أقول ان الخلل الذى تشير اليه فى سؤالك ، انما هو ضرب من التخبط التجريبى الذى نراه فى الدنيـا كلهـا وفى شتى المجالات .. !!

من المسئول عن هذا الضعف ؟!

عندما طرحت عليه سؤالا ، عن التحدى الحضارى وماذا يمثـل عنده ، وكيف يمكن تنمية ذلك من خلال الفن ؟!

قال :

ـ اننى اذ ألقى النظر على طبيعة الحضارة القائمة الآن ، ثم اتجه بنظرى الى موقفنا نحن من حيث المشاعر ، ومن حيث التفكير ، ومن حيث السلوك ، أجد فجوة رهيبة بين ما نحن عليه ، وبين ما كان ينبغى أن نكون عليه ، لنقابل حضارة العصر بما تستحقه من جدية ومن قوة .. ولو أردت أن أذكر جانبا واحدا ، ربما يلخص أهم جوانب القصور فى موقفنا بالنسبة لهذا العصر .. لذكرت العلم والمنهج العلمى :

اننا نأخذ نتائج العلم من الغرب وندرسها فى جامعاتنا ، ولكننا بصفة عامة فى موقف الرافض لأخذ منهج التفكير العلمى .. ولو أخذنا بذلك المنهج وتشربناه ، وانتقلنا به الى معالجة مسائلنا العامة لتغير حالنا بأسرع مما يحدث الآن .. فالعصر يتحدانا ونحن الى الآن لا نقابل هذا التحدي بما يتكافأ معه من قوة وصلابة وانتاج .. !!

وهنا نسأل أنفسنا ما هى الوسـيلة التى نسد بها هذا النقص الخطير فى تكويننا وفى صلابة نفوسنا المطلوبة لهذا العصر ؟!

ان الوسيلة التى لا وسيلة سواها أن نغير رؤيتنا الى الدنيا ·· وأن يكون لنا اتجاه مختلف ووجهة نظر مختلفة ·· فنسـأل ما الذى يحقق لنا هذا التغيير المطلوب ؟!

والجواب الوحيد على ذلك هو الفنون والأدب · ففى ساحة الفنـون والأدب تتغير الرؤية على شرط أن يكون مبدعو الفن والأدب على وعى كامل بالمصرى أو بالعربى الجديد ·· ماذا نريد له أن يكون ؟! وعندئذ اذا امتلأ الفنان أو الكاتب بهذا التصور الجديد ·· جاء أدبه أو فنـه مشبعا بالأبعاد المطلوبة ·· فيخرج المتلقى وهو قد ازداد ميـلا نحو الهدف المطلوب ·

ولكن انظر الى عروضنا الفنية الآن . وانظر أيضا الى كثير مما يكتبه الكاتبون ، تحس كأنما هنالك عناد ورفض يثيران العجب ·· !!

فالأدب والفن الآن يشجعان الناس على المبالغة فيما هم فيه ، بما تراه من استحسان لهذا الضعف ، لهذا الهزال الذى نحن فيه ·· !!

أذكر مثلا فيلما سينمائيا رأيته منذ مدة فيه سائق قطار يتزوج من طبقة متوسطة ·· جاءت الزوجة وهى معتادة على صور حضارية لكيف يكون الطعام ، وكيف يكون استقبال الضيوف ؟ فكان زوجها السائق يسخر من هذه الأوضاع الحضارية ·· ان هذا الفيلم قد صيغ بطريقة أن يتعاطف المشاهد مع السائق فى سـخريته من الأوضاع المتحضرة ·· فماذا تكون النتيجة ؟ اذا ظل المشـاهدون يرون هذا الفتـات والمواقف الهازلة الا أن يخرجوا بسخرية من الحضـارة والقيم ، فيكون ما يكون من تدهور ·· !!

اننا اذ نقول ان الحضـارة تتحدانا ونحن لا نريد أن نقـابل هذا التحدى بما يستحق من جدية ، لايغيب عن أذهاننا ، أن تلك الحضارة المتحدية قد تمثلت أو تجسدت لنا فى « اسرائيل » ·· فهل يعقل أن نجد « اسرائيل » الآن فى كفة ، وجميع الوطن العربى فى كفة أخرى ؟! ومع ذلك تكون لها هى الكلمة النافذة ·· !!

ان بعض أسباب هذا الضعف فينا هو أننا رفضنا الحضـارة ، ورفضنا الثقافة الرفيعة ·· ورفضنا منهج التفكير العـلمى كما يعرفه عصرنا ·· ورفضنا فوق هذا كله أن تجىء فنوننـا لتؤدى دورها فى النهوض مما هو أدنى الى ما هو أعلى ·· !!

الموسيقى جانب حضارى هام

.. انتقلنا بالحوار الى مسار آخر .. عن الارتقاء بالذوق الموسيقى وهل نحن فى حاجة الى أن نسمع موسيقى غيرنا ، أو أن حاجتنا الملحة الى أن نسمع أعماقنا ، حتى نفهم العالم الذى نعيش فيه ؟ وعلى أى أساس جاءت تسمية الموسيقى بالشرقيـــة ، والرقص الشرقى ، ولماذا لانقول العربى ؟!

قال :

ـ على الرغم من أنى لست صاحب رأى يستمع اليه فى الموسيقى ، وماذا تكون ؟ وكيف ينبغى لها أن تكون ؟! الا أننى فى الوقت نفسه انسان يسمع وقد يعجبه ما يسمعه وقد لا يعجبه ما يسمعه ، فعلى هذا الأساس الشخصى الصرف أقول :

اننى أحس ازاء كثير جـدا من الغناء العربى والموسـيقى العربية . أنها ليست هى التى تستريح اليها أذنى ، ولو أننى فى الوقت نفسه أجد أشياء أخرى فى الموسيقى العربية ، لا أطرب لشىء أكثر مما أطرب لها ، ودون أن تكون لى دراية علمية بالفرق بين الحالتين .. أشعر بأن الموقف فى الموسيقى يجب أن يعالج بنفس الطريقة التى أرى أن نعالج بها سائر جوانب حياتنا الفنية والحضارية بصفة عامة .. وهى تطعيم حياتنا فى كل هذه النواحى باضافات نأخذها من الغرب . وأنا أظن أن الموسيقار الكبير « محمد عبد الوهاب » .. يحاول صنع هذه الصيغة الجديدة فى موسيقاه ، ويعطينا فى آخر الأمر موسيقى ليست عربية خالصة بالمعنى المعروف التقليدى لهذه الكلمة .. فيما هو تطعيم لها وانماء لها وارتفاع بها .. ولست أدرى ان كان هذا الذى أقوله صوابا أم خطأ .

الرقص الشرقى ، هو بالفعل شرقى .. بمعنى الشرق الأوسط .. هناك شرق أقصى له طرق أخرى غير رقصنا .

أنا أقول عن هذا الرقص الشرقى يجب أيضا أن يدخل عليه تعديل كبير وألاحظ أن شيئا قد أدخل بالفعل .. فهو أســـاسا يـدور حول تحريك الجذع لا الأطراف .. على حين الحركة التى تنتقل بالانســـان الراقص الى خفة الطير أو الى أنغام الموسيقى هى الأطراف ، أعنى الأرجل والأذرع .. فضلا عن أن الفردانية فى الرقص الشرقى ، امرأة واحدة ترقص ليشاهد الجميع .. وأن تجعل ذلك الرقص موحيا ايحاء كبيرا بما هو امرأة فيها .. لم أعد أستسيغه أبدا ، ولكن لابد أن نلاحظ هذه

الملاحظة التى لا ينكرها أحد فيما أظن ، اننا جميعا قد عرف عنا أننا نحب هذا الرقص عندما يكون على مستوى رفيع من المهارة ، ودليل ذلك أن الحفلات ترجىء نمرة الرقص الى نهاية الحفل لتربط جميع المدعوين الى الانتظار ·· وفى الوقت نفسه لابد من التغلب على أنفسنا ، لأن ما يثير الغريزة فينا مطلوب ، ولكنه يراد له أن يصاغ بصيغة فنية تخفى جانب الغريزة فيه ·

دائما محاورة الفلاسفة متعة ·· لأنها تخرجك من عالم يحترق فيه الأخضر واليابس ·· عالم الجفوة والغلظة ·· عالم ضبابى الملامح والمعالم ·· لا تعرف له شبيها ولا نظيرا ·· تبحث عن طريق تجد السدود والعوائق فيه كثيرة ·· لكن الفيلسوف يمتعك ·· يضبط بندول عقلك ·· على أفكار ذات منهج وقيمة ·· يصحح مســـارك لتعتدل عجلة قيادتك ·· وهذا ما يصنعه فيلسوفنا الكبير الدكتور « زكى نجيب محمود » ·· يحدد الأشياء بمسمياتها الحقيقية ·· ويوصفها توصيفا دقيقا ممنهجا ·· فعندما أطرقت برهة ووجدت نفسى حائرا فيما أختار من أسئلة ·· شجعنى هذا المفكر بتواضعه قال لى : اسأل ما يحلو لك ·· خفت أن أكون أثقلت عليه ·· لكن لابد أن يكتمل الحوار ·

الكوميديا تجسيد للمتناقضات

قلت له :

ــ كيف نفهم الكوميديا ، ولماذا هى عندنا اسفاف وابتذال ، وعند العالم المتحضر ادراك واضحاك ؟!

قال :

ــ لابد أن نتذكر بادىء ذى بدء حقيقة أدبية معروفة ، وهى أن الكوميديا أصعب فى التأليف من المأســـاة ، لأن الكوميديا فى أعماقها قائمة على ذكاء العقل ، فى حين أن المأساة قائمة على التعاطف وعلى القلب ·· ولماذا قامت الكوميديا على ذكاء العقل ؟!

الجواب هو أن صميم الكوميديا هو تجسيد المتناقضات الموجودة فى حياة الانسان ، وكشأن الفن عادة والأدب يجب أن تختار من القطعة الفنية لحظات مكثفة ، تبين هذا التناقض فى حياة الانسان بأوضـــح مما هى فى البيت والشارع بالفعل ·· وادراك مواضـــع التناقض هذا مسألة عقلية ، وليست مسألة شعورية ·

ولهذا نجد أن تأليف الكوميديا يتطلب دقة ملاحظـــة ، ويتطلب رؤية فى البنـــاء الكوميدى لكى نمهد للمواقف التى تقـــدم لنا تلك المتناقضات بشكل طبيعى لا بشكل مفتعل ، أقصد أن نقدمها بشكل مقنع للمشاهدين ، بأن تلك فعلا حياة الناس كما نراها فى البيت والشارع ، أما الكوميديا كما تعرض عندنا فقلما نجد فيها تلك المهـــارة ، النعومة واللباقة ، التى تعرض لنا جانب التناقض فى حياة الانسان ، ربما لأن المؤلف يتسرع فى التأليف ، وربما لأنه لا يملك الادراك الكافى ، الذى يحلل سلوكنا ليخرج ما فيه من متناقضات ويبرزها اذا استثنينا أشياء جيدة نراها آنا بعد آن ·· فالأغلب فى الكوميديا التى تعرض تستهدف عقلية الصغار ·· أو الكبار الذين يتفرجون بعقلية الصغار ·· !!

بغير شك الكوميديا المتقنة هى أمضى الأسلحة فى تغيير عقليـــة المشاهدين ، لأنهم يرون أنفسهم ، ويرون المواضع التى تريد الاصـــلاح السريع ·· حينما ترى فقيرا يقف مواقف لايستطيعها الا الأغنياء ، هذا هو نحن فى مجموعنا أولا وفى أفرادنا ثانيا ·· يكون فينا ضعف وفقر ونريد أن نتصرف كمـــا لو كنا أقوى الدول فى العـــالم ، وأغنى الدول فى العـــالم ·

أما المأساة فسهلة ولا تغير فى سلوكنا كثيرا ·· وصميم المأســـاة السقوط بعد ارتفاع ·· رجل يبلغ ذروة الشهرة ثم يصدم بما ينزله الى أسفل ، فنبكى له نعم ، ولكن لانعرف بوضوح ماذا نصنع ؟!

انما الكوميديا سريعة التأثير لأنها تبرز المتناقضات ·· نحن نعرف « فولتير » فى فرنسا فى القرن الثامن عشر ·· وهو أحد جمـــاعة من الأدباء ·· هم الذين حركوا النفوس لتقوم الثورة الفرنسية ·· فما الذى صنعه « فولتير » ؟! ·· كان يظهر على المسرح فى صورة ملك أو أمير ، مرتديا زى الملوك وعلى رأسه طرطور ·· وهو أول شىء فعله لهدم الملكية وهذا يضحك الجمهور ·

ومنذ عشر سنوات شاهدت فى « لندن » عرضا فنيا من العروض الجديدة ·· كان من بين المشاهد العجيبة التى رأيتها مشـــهد ملكة ، وفجأة نزع عنها ثوبها من الخلف ، فتعرت من الخلف فضحك الجمهور ·· لماذا ضحك ؟! لأن خيال الانسان قد يضللهم خيـــال الملوك والملكات ، وأنهم وأنهن ليسوا بشرا من البشر ·· فاذا عريناهم ، ضحكنا كما لو كنا اكتشفنا لأول مرة أنهم بشر ·· فانظر ، ان التأثير فى المشاهد عندما يرى من كان يعبده ، مثله مثل أى انسان ·

في قصة « الاخوة كرامازوف » لديستوفيسكى ، موضع رائع فى هذا الصدد ·· وهو أن « قديســا » مات ، فتركت جثته بعض الوقت بغير دفن ·· فكأنما الناس الذين كانوا يقدسونه لم يصدقوا ، أن مثل هذا الجسد الطاهر النقى يوضع فى قبر ·· لكن سرعان ما انبعثت رائحـة « النتن » التى لا تحتملها الأنوف ·· فهنا ورد كلام على لسان شاب مؤثر جدا ـ كان يقدس هذا القديس ـ كيف يكون مبعثـا لهذه الرائحـة النتنة ؟! مستحيل ·· النتيجة التى تهمنا نحن ، كيفية تأثير الفن فى نفس الانسان لاصلاحه ·· مثل هذا الشاب يستحيل عليه بعد ذلك أن يقدس انسانا ، لأنه انسان · فالكوميديا تفعل فعلا مثل هذا ·· تضع تناقضات الحياة على المسرح ·· وتضع مكثفات الحياة ·· فاذا ضحكنا على أنفسنا ، كانت خطوة نحو اصلاح الانسان لنفسه ·

وفى رواية « نجيب محفوظ » ·· فى المواقف التى كانت زوجـة « السيد عبد الجواد » تظهر فيها الخضبوع لدرجة تثير الضحك مقرونة بقولها : « حاضر ياسى السيد » ·· أظننا نلاحظ الآن أن هذه العبارة تقال لتبكيت من يريد أن يلعب دور « السيد عبد الجواد » فى العلاقة الأسرية ·

انـنــا لا نعنى بتربية الحواس

·· وعن رأيه فيما يقوله : المخــرج الايطالى « أنطنيونى » من أن اللون يساعدنا على أن نرى العالم بعيوننا نحن ، ويسمح لنا بأن نغير من طريقة تفكيرنا » ·· ورأيه أيضا فى المعوقات التى أدت الى « أمية العين » عندنا وكيف يمكن التغلب عليها ·· ؟!

قال :

ـ أظننا لا نقول جديدا ، اذا قلنا ان الانسان بقدر ما يعرف عن العالم الذى يحيط به تكون قدرته على الاسـتجابة السلوكية الصحيحة لذلك العالم ·· ومن أوضح ما نشاهده من فروق فى رؤية العالم المحيط بنا . فروق بيننا وبين كثير من البلاد المتقدمة ·· أنهم هنـاك اقدر منـا بدرجة كبيرة جدا فى مشاهدة تفصيلات الأشياء التى تقع عليها عيونهم ، أو أى حاسة من حواسهم ، اننى على يقين من أنه لو دخل شابان ، الأول مصرى والآخر فرنسى أو انجليزى ، دخلا حديقة من الحدائق ، فسيخرج الشاب المصرى كأنه لم ير شيئا ·· وسيخرج الشاب الأوربى بمعلومات

تفصيلية ، عما شهدته عينه ، وما سمعته أذنه فى تلك الحديقة ، هذا فرق نلاحظه جميعا من المقارنة ، فما الذى أحدثه الجواب ، أننا لا نعنى بتربية الحواس ، وأعنى بها تعويد النشأ على أن ترى عينــــه ، أكثر مما يمكن رؤيته من تفصيلات فيما حوله ٠٠ خذ ناشئا شابا الى حقل عادى ٠٠ وقل له ما اللون الذى تراه ، فالأرجح جـدا بل اليقين انه يقول اللون الأخضر ٠٠ ويقف عند هذا الحد ، ولا يدرك أن هناك ألف ظل من ظلال اللون الأخضر موجودة عنده ٠٠ ولكنه لم يعرف أن هنالك فوارق لا آخر لها ٠٠ فلو أن عينه قد ربيت لوقف عند هذه الفوارق ورآها ٠٠ !!

ونقول ان الفن والتربيـــة الفنية ، هو السبيل الوحيد لمثل هذه التربية للحواس ٠٠ الفنان بحكم صنعته ورؤيته يلمح الفوارق الكثيرة بين أخضر وأخضر ليضعها على لوحته ٠

قل هذا عن كل موقف نقفه ، اننـــا أمام المفـــاهيم الكبيرة ٠٠ اشتراكية ٠٠ ديمقراطية ٠٠ حرية ٠٠ فن ٠٠ الى آخر هذا الجمع الكبير من المعانى المهمة ، تكفينا الكلمة ، وكأنها ذات معنى محدد واضح ، وكأنها ذات معنى واحد ، لأن الواحد لم يتعود فى التعليم سواء كان فى الأسرة ، أو فى المدرسة الا على معنى واحد ٠٠ تقول اشتراكية ، لا تدرى أن أنماط الاشتراكية والديمقراطية كثيرة ٠

اذا أخذنا هذه المعانى الكبيرة بسذاجة لاتعرف كيف تفرق بين نمط ونمط فيها ؟! كان من السهل جدا على من يريد تضليل هذا الشعب أن يضلله بأى كلمة ، لأنه مهتم بالكلمـــة وليس بتفصيلاتها ، وهى رؤية التفصيلات اما بالعين أو الأذن ، واما بالفكر بعد ذلك ٠

الفن يعطينا الحس بالتناسب

٠٠ وعن مســاهمة الفن فى تحقيق مزيد من العـــــدل مع مزيد من الحرية فى نفس الوقت ، وهل يمـــكن للفن أن يلعب دورا فى تعميق الديكتاتورية وفرض اسلوبها ، وهل حدث هذا فى تاريخ الفن المصرى ؟!

قال :

ـ مما يلاحظه دارس الفلسفة ، وهو يدرس « جمهورية أفلاطون » التى يوضح فيهــا رؤيته عن صورة الدولة المثلى كيف تكون ؟ ٠٠ انه

رفض أن يكون الفن ذا وجود فى هذه الجمهورية المثلى الا الموسيقى ٠٠ فقد أراد لها أن تكون شرطا أساسيا فى تربيــــة كل مواطن من نعومة أظفاره وعلى تصاعد المستويات بعد ذلك ٠٠ ونريد هنا أن نسأل أنفسنا لماذا الموسيقى أولا ، ولماذا رفض بقية الفنون ٠٠ ؟!

أما لماذا الموسيقى ٠٠ ؟ فلأن الفن يترك فى المتلقى حاسة النسب الصحيحة بين الأشياء ٠٠ هذا هو جوهر الفن ٠٠ الفنان فى كل صورة من صور الفن ٠٠ الموسيقى ٠٠ الشعر ٠٠ التصوير ٠٠ العمارة ٠٠ النحت ٠٠ الفن المسرحى ٠٠ لو دققت فى معماره كيف يبنى ؟ لوجـدت فى أساسه مراعاة لنسب معينة ، تكون بين الأجزاء هذا واضــــح فى الموسيقى ، لان الموجات الصوتية تقصر أو تطول يتحكم فيها الموسيقار ٠

وواضح فى الشعر وهو ما نسميه بالوزن ٠٠ وواضح فى التصوير والنحت والعمــارة فى مراعــاة التماثــل أو كسر هذا التماثل اذا كان رتيبـــــا ٠

فالموسيقى التى أراد « أفلاطون » أن تبقى فى التربيــــة لابـد أن تترك فى المدمن على سماعها ادراكا مرهفا للتناسب الصحيح ٠٠ وسينتقل هذا المتلقى فى مجال الموسيقى بعد ذلك ، الى مجالات الحيــاة العامة ، وفى صحبته ذلك الشعور بالتناسب السليم الذى استفاده من الموسيقى ٠

ولماذا رفض « أفلاطون » بقية الفنون ٠٠ ؟! هو رفضها من جانب فلسفى صرف ، أعتقد أنه قد أخطأ فيه ، لانه رأى أن الفن يحاكى الأشياء الطبيعية ٠٠ وبما أن الأشياء الطبيعية نفسها تحاكى المثل نفسها ٠٠ فكأن الفن يحاكى المحاكاة ، فكأنه يبعد خطوتين ٠٠ فهو مضلل للعقل ، ولو أن « أفلاطون » تنبه أن الفن لايحاكى ولكن ابداع جديد ، نعدل عن رأيه ٠٠ انه كان فى خلفية تفكيره ، أن الفنان كأى مثقف آخر مبدع ، لايستحيل ألا يتضمن عمله نوعا من النقد لما هو واقع وكائن ٠

فيكفى أنه يعطيك نموذجا للجمال ، فكأنه يقول لك : انظر الى الفرق بين هذا الجمال الذى تــــراه وبين واقع حياتك وما فيهــــا من قبح ٠٠ فرفض « أفلاطون » أن يكون داخل الجمهورية من ينقضها ٠٠ شبيه بأن نضع السوس داخل الغلال فيفسد ٠

وننتقل على هذا الضوء الى سؤالك ٠٠ كيف يحقق الفن مزيدا من الاحساس بالعدل عند المتلقى ؟!

ان الفن كما قلنا يعطينا الحس بالتناسب الصــحيح أو بالاتزان

او بالتعادل · وصميم وجوهر العدل ، هو أن تتوازن الأطراف او نتعادل ·· ان من أسماء « الله » الحسنى ·· انه العـدل ·· وتفسـيرها انه « سبحانه وتعالى » يعادل أو يوازن بين أجزاء هذا الكون الفسيح ·· فلا يهدم بعضها بعضا ·· وهكذا يكون الانسان الذى يكتسب الحس بالتناسب الصحيح وبالتوازن فى الأمور ، يكتسبه من الفن فيصبح عنده رؤية طبيعية ·· أن تتوازن الأجزاء ·· فاذا طبقنـا هذا على المجتمع ، فنجد هذا الفرد نفسه بحسه المكتسب يعمـل على أن تكون العلاقة بين المواطنين فى تعاملهم بعضهم مع بعض عادلة ، يأبون الاجحاف ·· هذا يصنع روح العدل ·· أما أن يكون قد حدث هذا بالفعل فى مجتمع ما ، فانا نلاحظ أننا اذا قارنا مجموعة من الأمم ووضعناها فى ترتيب تنازلى بالنسبة للرقى الحضارى ، ثم سألنا أنفسنا عن الأساس ، الذى نحكم عليه بأن أمة أرقى من أخرى ·· فسنجد أن الاحساس بالعدل ، هو من أهم تلك الأسس ، العدل هو المحور ·

يمكن للتليفزيون أن يرتفع بعروضه

·· هناك رأى يقول : ان الأكذوبة العـارية ، تستطيع أن تقنع النـاس بحقيقـة سـامية ، كيف يقنعك التليفزيون بذلك ، وما هى مزاياه وعيوبه ؟!

قال :

ــ أريد أن أكون صادقا كل الصـدق فى التعبير عن نفسى ازاء التليفزيون المصرى ·· فلست فى الحقيقة أراه أقل كثيرا من أى تليفزيون رأيته فى « انجلتـرا » أو « أمريـكا » ·· فالذين ينتقدون التليفزيون بكل هذا النقد الشـديد ، هم فى الحقيقة يخلطـون بين أمرين ··

أولهما : ما يشـاهدونه بالفعل ·· وثانيهما : طبيعـة التليفزيون ما هو ؟!

وأنا أعتقد أن الهزال الذى يرونه وينتقدونه ، هو جزء لا يتجزأ من طبيعة هذه الأداة ، الذى هو التليفزيون ·· ونسأل لماذا ؟! نقول :

أولا : أنه لابد بحـكم كونه أداة ، تعرض على الجمهور العريض ما تعرضه . أن تراعى التبسيط أولا والتنوع ثانيا ·

فاذا فرضنا أن الأمزجة تقع تحت عشرين نوعا ، وأن التليفزيون

يريد أن يشبع هذه العشرين ببرامجه ·· فان معنى ذلك يكون أن كل واحد منا سيعجبه واحـد على عشرين مما يعرضه التليفزيون ·· فيتهم التليفزيون بالضعف ·· والحقيقة أن العيب فى تعدد الأمزجة ·

وثانيا : كون التليفزيون فيه الصورة كأساس ، فهو مضطر الى عرض الفكرة مقترنة بمصدرها المرئى ·· فيتحتم بناء على ذلك أن تعوم الفكرة المعروضة ·· حتى ولو كانت بذلك تصبح أكثر جاذبية ·· الا أن المشاهد على كل حال يخرج وكأنه خرج بلا شىء جديد من حيث الزاد الفـكرى ·

وعلى كل حال أريد أن أضيف أنه كان يمكن للتليفزيون أن يرتفع بمستوى عروضه ، ليرفع الجمهـــور معـه بدل أن يقابل الجمهور فى مســـتواه ·

ثم أضيف كذلك جانبـــا أراه مهما جدا ·· وهو أن التليفزيون يحاول أن يبعد عن نفسه مسئولية أى موقف أو فكرة لا يرضى عنها هذه الفئة أو تلك الفئة من الناس ·· فتكون النتيجة أنه يطرح من الحقيقة معظم أجزائها ، لتبقى بين يديه مأمونة العواقب ·· ولكنها كذلك مفرغة من المضمون ·· وهنا يكون الابتذال ·· فلو أنه عرض الحقيقة بأشواكها لجاءت مهمازا يحرك العقول والقلوب عند المشـــاهدين ·· ويكون منهم من يوافق ومنهم من يعارض ·· !

الناقد قارىء أولا

···· وعندما حاورته عن النقـــد الأدبى وهل هو علم أو فن ؟ وهل لابد من أولوية النقد على الأدب وفنونه ، اذا أردنا نهضة أدبيـــة وثقافية ، وهل عندما يفشل الكاتب فى الكتابة يتحول الى ناقد ؟!

قال :

ــ أولا : لابد أن يكون الفرق بين ما هو علم ، وما هو فن واضحا أمام أبصارنا ·· ليجىء الجواب على هذا السؤال واضحا كذلك ·

فأما الفن عند الفنان ، فهو رؤية مباشرة ، لا يقام عليها برهان ، بل هى رؤية ، اما تعجبنا أولا تعجبنا ·· على حين أن العلم جوهره حركة استدلالية ، مطالبة باقامة البراهين لكى تكون مقبـولة عند الناس ·· مرة أخرى وبعبارة أخرى ليزيد الوضوح ·· الادارك فى الفن مباشر ،

معتمد على الذوق ·· كلمة الذوق هنا كانت موضوعة أســاسا للطعام على اللســان ·

فهل يمكن للســان أن يعرف طعم ما يأكله الا اذا حــدث تماس مباشر بين اللسان والطعام ، بالطبع لا ·· فانتقل المعنى من هذا الموقف المادى الى مجالات أخرى ·

فاذا قلنا ان الفن قائم على الذوق ·· فانه معنى يكفى فيه عنــد الفنان أو المشاهد أن يرى أو يســـمع ·· فيعجبه ما يراه أو يسمعه ، ولا يعجبه بغير تعليل ان أعجبه أخذه ·

أما العـــلم فغير ذلك اذا أردنا أن نقول ان الماء يغلى فى درجــة ١٠٠ مئوية ، لا يقال عنها اما تعجبنا أو لا تعجبنا ·· يقال عنها : هات الترمومتر لنقيس الماء يغلى ، فيقيم البرهان أو يسقط · ونسأل من هو الناقد ؟ ونجيب بغاية البســـاطة ·· قارىء من القــراء فى أول الأمر أو مشاهد من المشاهدين للفن التشكيلى ·· أو ســـامع من السامعين للموسيقى ·· هو انسان عادى يعجبه ما يعجبه ·· ما يراه وما يسمعه والى هنا أيضا لا نقد ·· فاذا تصـــادف لهذا الانسان العادى ان يقول لنفسه : لماذا أعجبتنى هذه القصيدة ، ما الذى فيها ؟!

فهنا يعود الى القصيدة أو قطعة الموسيقى ليحللها كى يرى عناصرها وطريقة تركيبها ·· فيلقى بذلك التحليل ضوءا على السبب الذى جعلها تعجبه عندما قرأها أو سمعها أو شاهدها ·

وفى هذه الخطوة الثانية فهو ناقد ·

هذا التحليل والتعليل هما علم كأى علم آخر ·· لأن من حق الآخرين أن يراجعوه فى هذا التحليل فالناقد الذى يخطو خطوتين بازاء العمــل الفنى ·· الخطوة الأولى : يشارك بقية الناس ·· وفى الخطوة الثانية : ينفرد وحده بعملية التحليل والتعليل ، لماذا أعجبه ما أعجبه ·· ولم يعجبه مالم يعجبه ؟!

واكتفى أستاذنا الدكتور بالاجابة عن الشق الأول من السؤال ·· واعترض على الشق الثانى والثالث ·

وقبل أن يتوقف شريط التحاور بيننا ونقترب من نقطة النهاية ، بعد أن اقتطعت من وقتــه قرابة ثلاث الساعات ·· كان لابد أن أطرح عليه هذا السؤال الحائر ·· الذى دائما ما تأتى الاجابة عليه مختلفة ، كل يدلى بدلوه من زاوية مختلفة ·· وهذا فى حد ذاته مكسب كبير ··

لكى ندرك ما نحن فيه من تدهور ثقــافى ٠٠ ومن ردة واضمحلال ٠٠ فجاء هذا السؤال ٠

تعليق على فكر ، وليست انتاجا

٠٠٠٠ يقال : ان الثـورة وما تلاها من مراحل لم تنتج ثقافة ، وانما عاشت على ثقافة الأربعينات ٠٠ وأن الديكتاتورية والحكم الفردى حالا دون تواصل الأجيال ودون التطور الثقافى ٠٠ ما رأيك فى هذا ؟! ٠

قال :

ــ نعم من غير شــك الفترة التى جـاءت بعد الثورة كانت بمثابة التعليق على فكر معين أكثر مما كانت انتــاجا لذلك الفكر ٠٠ ولكن هذا لا نعلله بصورة الحكم كيف كانت ؟! وانما نعلله بصورة التعليم كيف جاءت ؟! ٠٠ فالتعليم فى هذه الفترة ازدحـم بطلابه من جهة ٠٠ واقترن هذا الزحام بقلة الموارد من جهة أخرى ٠٠ مما أدى الى استحالة أن يخرج المتعلم ، وهو مزود بأسلحة الاستزادة من المعرفة ٠٠ لأن هذه الاستزادة تتطلب ثلاثة أشياء ٠

أولا : الرغبة فى أن يستزيد وهذه الرغبة كانت تريد ارشادا داخل المعاهد لم تسمح بها الظروف ٠

وتتطلب ثانيا : اتقانا للغة العربيــة لكى يستطيع المتعلم أن يقرأ وأن يكتب على مستوى مقبول ٠٠ لكن الناتج ، هو متخرجون لايحسنون القراءة والكتابة ٠٠ !!

ويتطلب ثالثا : اتقانا للغة أجنبية ، لتكون مصدرا للاطلاع على بقية العالم ٠٠ فى فكره وأدبه ٠٠ لكن الناتج المتخــرج يجهل جهلا شبه تام بأى لغة أجنبية ٠٠ من هذه العناصر الثلاثة ٠٠ فلا رغبة فى التزود ٠٠ ولا لغة تعينه على هذا التزود ٠٠ خرج من الجامعــة لايملك الا ما سمعه وما حفظه وهو طالب ٠٠ حتى ولو كان هذا المتخـرج موهوبا فى الفكر والأدب لماتت الموهبة أو على الأقل ضعفت ٠٠ ومن هنا جاءت المرحلة بصفة عامة ٠٠ !!

ازدد علما تزدد قوة

٠٠٠٠ وفى النهاية ٠٠ ماذا تقول لهذا الجيــل الذى يبحث عن

الشخصية ·· عن الانتماء ·· عن القيم ·· عن الحب ·· عن الأمان لغده ومستقبله ·· وكيف يمكن تغيير واقعه لنقفز به الى المستقبل ؟!

قال :

ــ أقولها بسيطة جدا لهذا الجيـــل ·· مختصرة ، وهى ازدد علما تزدد قوة وتزدد قدرة على التحليل والفهم الصحيح لما يقال لك ، ويصبح بعد ذلك من الصعب أن يضلك سواك ، كما يصبح فى الوقت نفســه من السهل أن تفيد نفسك ·· وأن تهدى أمتك الى طريق الصواب ·

أكرر مزيد من المعرفة ثم مزيد من المزيد ·· فاذا سئل معرفة ماذا ؟ معرفة أى موضـــوع تريد أن يكون لك به شأن ، فلا تتحدث عنه بكلمة واحـــدة الا اذا قرأت عنه ثم قرأت ثم قرأت ثم قرأت لتمتلأ الحويصـــلة بالغذاء ، ويهضم الغذاء ·· فيكون لك موقف آخر مضىء ·· فتكون لك القدرة ، ويكون النفع والهداية على الصراط المستقيم باذن « الله » ·

انتهى الحوار مع هذا الفيلسوف الكبير ·· الذى دائمـا ما تجده مشغولا بقضايا وطنه الكبير ·· قضية الأصالة والمعاصرة ·· قضية تجديد الفكر العربى ·· وربطه بمشاكل الحياة ·

هذا المفكر الكبير لايتوقف عقله لحظة عن البناء على أساس « المنهج العلمى التجريبى » ·· يحاول أن يصقله ويوظفه ليؤدى دوره التنويرى ·· فكتب عن « هموم المثقفين » ·· « وعن ثقافتنا فى مواجهة العصر » ·· و « عصر الضمير الغائب » ·· فهل يستيقظ هذا الضمير فى يوم ما ·· حتى نجد لنا واقعا حيا نابضا بالأمل ·· واقعا يضعنا فى مسارات صحيحة فى داخل خريطة العالم المتحضر ·· !!

محمود البـدوى

سرقوا عمرى ... ولكن ... !!

ذهبت اليه ، حتى لا تظل أصابع الاتهام تطاردنا ، بأننا نخمل مجلدا ضخما من النكران والجحود وعدم الوفاء للذين قد أعطوا — بنبل وسماحة بلا ضجيج — كل ما يملكونه ، ثراء القيم .ونبل الأحاسيس وهذا الأديب الكبير المبدع « محمود البدوى » الذى يعتبر « أبو القصة القصيرة » فى العالم العربى كله ، وأول من شق طريقها وبذر بذورها فى وطننا ، وظل فى محرابها يتأمل ويجود بعيدا عن كل المزايدات الا ضميره الانسانى ، بعيدا عن كل اثارة أو ابهار الا ايضاح المعانى الجميلة ، وتوثيق العلاقة البشرية وتوكيد العوامل الرحبة التى تستوعب كل القيم ، وتجعل التنفس الانسانى رقيا وتقدما وخيرا ودفعا للشر ، ودائما تكون أحداث قصصه متصلة اتصالا وثيقا بالموقف الانسانى وليس باستعراض عضلات فنية أو تقنية أيديولوجية « تقدمية » .. الا أنه جعل خيوط نسيج قصصه تتحرك فى دنيا مشبعة بالتنفس الانسانى .. فكتب المئات من القصص ، ورسم المئات من الشخصيات فى تفرد شديد ، القصة عنده تحمل كل المعانى ، والمعانى عنده حية متتابعة ، تهتم بكل ما يطرأ على الشخصية من أحداث ومتغيرات .

دائما يقول :

— الاهتمام بالنفس يلغى الاهتمام بالآخرين ، وأن للمجتمع والبيئة والمفاهيم السائدة تأثيرها الكبير فى تشكيل ملامح الفرد ووضع بصماتها القوية عليه ، فالاحساس بالظلم يجر الى الخبل وما هو شر منه .. ويدفع الى التمرد والضياع .. وتحت عذاب البشرية من شبح القنابل النووية

وقنابل الكوبالت ٠٠ ظهر « الهيبز » وخطف الطائرات وظهرت الدعارة والرقيق الأبيض وظهر التفسخ وهوس النساء » ٠

هذا الأديب لم يتوقف عند لون بعينه ٠٠ يتحرك بين الأبيض والأسود ، يهبط الى قاع المجتمع السفلى ، يؤكد قسمات الانسان ٠٠ الفلاح المصرى ٠٠ الرجل الصعيدى ٠

أى لون من الظلم قد أوقعناه بهذا الأديب الكبير الذى كتب ٧٠٠ قصة قصيرة ، ضمتهم عشرون مجموعة قصصية أو أكثر ، بداية من « الرحيل » عام ١٩٣٤ و « فندق الدانوب » و « الذئاب الجائعة » و « العربة الأخيرة » و « حدث ذات ليلة » و « عذارى الليل » و « الأعرج فى الميناء » و « زوجة الصياد » و « مساء الخميس » و « الباب الآخر » و « صورة فى الجدار » و « الظرف المغلق » و « الجمال الحزين » و « الزلة الأولى » و « غرفة النوم » و « حارس البستان » الى آخر هذه القائمة الطويلة من الأعمال الابداعية ٠

ورغم أنه قد بلغ السابعة والسبعين من العمر الا أنه لم يتوقف عن العطاء ٠٠ فآخر عمل له « الغزال فى المصيدة » عام ١٩٨١ ٠

ورغم أنه نال شهادة الجدارة عام ١٩٧٨ فى عيد الفن ٠٠ فهل هذا كان كافيا ؟! ٠

والشىء العجيب والمريب ، والذى يدعو الى الحيرة ٠٠ بعد كل هذا الكم من القصص الجديرة بالاهتمام ٠٠ لماذا لم تتعامل السينما مع قصصه ٠٠ ؟! وخاصة بعد أن سرق منه أحد المخرجين قصة ونسبها الى نفسه ونال عنها أكبر الجوائز هو وأبطال الفيلم ، وتجاهل حق هذا الأديب الكبير ٠٠ !!

ولماذا لم تتعامل الاذاعة معه ؟ والتليفزيون الذى قدم له عملا بعد أن حذف منه الكثير وقدمه على استحياء ٠٠ !!

ومصيبة المصائب ، لماذا صمت الأدباء والنقاد عن التعليق على أدب هذا الأديب الكبير ولماذا شاركت أجهزة الاعلام كلها فى صنع هذا الصمت ؟! ٠٠ هل هذا « جزاء سنمار » ٠٠ ؟!.أى شىء يدعونا الى القهر والكبت والتجاهل لكل الملكات الابداعية ٠٠ !!

هل لابد للأديب اذا أراد أن يكون مسموع الكلمة مرهوب الجانب ، أن يكون صاحب طبول تدق ، وحظوة ونفوذ ، أو تحيط به شلة من الذين يجيدون « الطنطنة » ، أو الذين ينفخون الأبواق « عمال على بطال » لكل

من « هب ودب » ولكل ما هو مزيف ، ليصنعوا منه نجما لامعا فى دنيا الأدب والصحافة ، والذين يستحقون المكانة والرفعة نهيل عليهم التراب ونقلل من قدرهم ، ونرهقهم من أمرهم عسرا ، ونحبط كل قدرتهم ، ونتجاهل دورهم الصادق لنشغل الناس بزبانية الافك والبهتان ·· !! ·

أى زمن نحن فيه ·· ؟ وأى عذابات تغمر طرق أصحاب النفوس الصافية والقلوب المحبة والعقول المستنيرة ؟!

آه يا زمن المواجع المخلوط والمغلوط بعدم الوفاء والحب ·· !!

آه يازمن المرارة والعلقم ·· !!

آه يا زمن الجحود والنكران ·· !!

آه يا زمن يا واكل كل ناسك المخلصين ·· !!

هل الدموع تزيل الغشاوة من على العيون ، وتزيل الضباب من العقول ؟!

أقول لكم الصدق عندما كنت أبحث عن عنوان أو رقم تليفون الأديب الكبير المبدع « محمود البدوى » ·· اكتشفت ويا خيبة ما اكتشفت ·· اكتشفت أننى كنت أبحث عن القارة المجهولة ، أو المستحيلات الثلاثة ، الغول والعنقاء والخل الوفى ·· الكل استغرب سؤالى ، وكأننى كنت أسأل عن « ابرة فى كومة قش » لا أديب كبير مبدع ·· ويعتبره الذين يفهمون أنه « تشيكوف » العرب ·· !!

ماذا أصابنا بحق الله ؟ ·· كيف نسمح بالعذاب أن يتسرب الى قلوب وعقول الأدباء الشرفاء الذين أخلصوا لبلدهم ، فأعطوا ، وأعطوا ، هل يكون النسيان هو الصفة الغالبة ؟! ·

فكم كان رده على فى التليفون موجعا **ومؤلما عندما قال :**

ـ لا أجد سببا لأن تهتم بى الصحافة المصرية الآن ·· أين كنتم طوال هذا الزمن ؟ ومن الذى فكركم بى ؟ بعد أن كتبت عنى الجرائد العربية وأشبعتنى كتابة ·· جئتم تبحثون عنى الآن ·· ماذا صنعت فى حقكم وفى حق وطنى حتى يكون هذا الصمت والتجاهل ؟! ·

قلت له :

- معك حق فى كل ما تقوله ، لكن أتمنى أن ألقـــاك ، وبرحابة صدر ، رحب الأديب الكبير « محمود البدوى » .

عندما قابلته ، ذهب من فوره الى مكتبته وجاء بمجلدين : واحد باللغة الانجليزية والآخر بالفرنسية وبعض الجرائد والمجلات الأجنبية ، وقال لى :

- انظر .. هذا المجلد يتحدث عن الأدباء فى الوطن العربى .. كتب عن « العقاد » و « طه حسين » و « المازنى » و « محمود تيمور » « ومحمود البدوى » .. لا يوجد فى مصر منه نسخة لولا صديق لى قد جاء به الى من « بلجيكا » .. والمجلد الآخر يتناول الأدب بصفة خاصة فى مصر . انظر انهم كتبوا عنى الكثير .. قيموا أعمالى ، ترجموا قصصى ، أين أنا من أهلى ؟ أين أنا من بلدى ؟ ومهما يكن فاننى **دائما اقول :**

بلادى وان جارت على عـــزيزة

وأهــلى وان ضـــنوا على كرام

اخترت هذا الطريق لنفسى .. رغم ما فيه من متاعب ومشقة لا أحب أن أغيره .. أشعر بعد كتابة القصة براحة وجدانية لا مثيل لها .. رغم ما لاقيته فى حياتى من صعاب ومشقة بسبب الأدب والتفرغ للقصة .. فأنا أشعر فى أعماق نفسى بالرضا والقناعة .. لم أفكر اطلاقا وأنا أكتب لا فى خلود ولا فى ذكرى ولا فى أى شىء من أحلام اليقظة .. لكن اعتبر أننى حققت بجهدى المتواضع شيئا .. لابد أن يعيش ما عاش الأدب فى محيطنا العربى ..

والشىء الذى يسعدنى أكثر ، أنه رغم أن كل وسائل الاعلام أغفلتنى عن عمد وقصد .. وكل النقاد الذين تخصصوا فى هذا النوع من النقد .. رغم أنهم أغفلونى عن عمد .. وأن بعض المحررين فى الصحف عنـــدما كان يرد اسمى على لسان غيرى كقصاص كانوا يحذفونه .. رغم كل هذا فاننى وكما قلت حققت لنفسى ما سيعيش ما عاش الأدب فى الســـاحة العربية .. ليس كل الكتب .. ولكن القليل من هذه الكتب يكفينى .. كما يكفى « ديستوفيسكى » أنه كتب « الجريمة والعقاب » و « تشيكوف » أنه كتب « بستان الكرز » و « الجاحظ » أنه كتب « البخلاء » و « ابن المقفع » أنه كتب « كليلة ودمنة » و « الأصفهانى » أنه كتب « الأغانى » .. كل هذه الكتب فيها الصدق والحياة .. وبالحياة والصدق عاشت .

ألاعيب الانتهازيين

حاولت أن أخفف عنه وطأة كل هذه الأحزان ، وكل هذا العذاب النفسى ، والاغتراب الفكرى ·· جعلت هذا الحوار هو وسيلة بسيطة للخروج به ــ من دائرة عدم الوفاء له ولأدبه والنكران والجحود لعطائه ــ الى دائرة التقدير والاحترام لكل جهد بذل فى سبيل غاية نبيلة واضافة جليلة لتراث أمتنا ··

ولذلك طرحت عليه هذا السؤال :

ــ ···· ما رأيك فيما يقال : ان الثورة وما بعدها لم تنتج ثقافة ، وانما عاشت على ثقافة الأربعينيات ، وأن الديكتاتورية حالت دون التطور الثقافى ، وحالت دون تواصل الأجيال ؟!

قال :

ــ الثورة فى شهورها الأولى ، أو السنة الأولى أو الثانية أو الثالثة ، لا شك أنها فكرت بجدية فى العناية بالثقافة ، وأكبر دليل على ذلك انشاؤها « المجلس الأعلى للفنون والآداب » ·· وتوسعت بعد ذلك فى « قصور الثقافة الجماهيرية » فى المحافظات ، لكنها شغلت بعد ذلك بالشىء المضاد وبألاعيب المستفيدين والمنتهزين لها كحكم شمولى ·· فعملوا أولا وقبل كل شىء ·· على وأد الفكر الحر ·· وبدأت الاعتقالات للشيوعيين وغيرهم ، وحركة « الاخوان المسلمين » التى جاءت بعد حادث المنشية المشهور ، بعد هذه الغمة التى خيمت على أذهان القادة الذين كان بيدهم الزمام ، تقلص ظل الأدب والثقافة ، وأصبحت الجرائد اليومية والمجلات لا يعنى بهما العناية الواجبة ، وأصبح أول شىء يمكن حذفه بعد الأخبار السياسية الهامة ، هو صفحة الأدب والنقد ، وخلاصة هذا الكلام ، أن الثورة بدأت بداية طيبة مع الأدب والثقافة ·· ثم انتكست ·· !!

واذا نظرنا الى ماهية الثقافة ؟ عبارة عن كتب وعبارة عن محاضرات لها قيمة ، وعبارة عن فنون مسرحية وعناية بالموسيقى ، وتطوير الحياة فى أذهان الناس الى تفتح وتقبل هذه الثقافة ·

ليس من المعقول أن أبنى مكتبة فى محافظة وأفتحها (الساعة ١٢) ·· المكاتب الثقافية فى المحافظات كثير منها مغلق ، وقليل منها هو الذى يقوم بعمله على الوجه المرضى ·· !!

فلا شك أن ظل الثقافة تقلص بالتدريج ، وأصبح من السهل أن تقول ان الثقافة التى كانت موجودة فى الثلاثينيات أو الأربعينيات كانت ثقافة مزدهرة ٠٠ وهى السبب فى وجود « المنفلوطى » و « العقـــاد » و « طه حسين » و « توفيق الحكيم » و « أحمـد لطفى السيد » ، وهذه الثقافة كانت مزدهرة نتيجة العناية الجدية المطلقة بالكتاب ٠

أضرب لك مثلا فى حصة الهندسة بمدرسة السعيدية ، دخل المعاون ووزع علينا مسرحيات شوقى ، ومثل هذا كان موجودا فى كل المدارس من الابتدائية والثانوية والجامعات ٠٠ كل ذلك كان به مكتبة ضخمة تضم كل الكتب والمراجع العلمية والأدبية ٠

والمدرسون فى ذلك الوقت حبهم للأدب واضح والاطـلاع والقراءة مستمرة ، وكانوا يضربون لنا المثل بشعر « شوقى » ، ونكت « المازنى » وفكاهاته وسخريته المطلقة ، وبعضهم كان يحب « مصطفى صادق الرافعى » لأسلوبه البليغ الى درجة التمجيد ، وليس هذا أستاذ أدب أو عربى ، ولكن يقطع الدراسة فى حصة الجغرافيا والطبيعة ، ويحدثنا عن خبر لهؤلاء الأعلام ٠

ثم كيف تنكر شخصا « كسعد زغلول » عندما يهديه « الرافعى » كتابا له فيقول عنه « سعد زغلول » :

« انه تنزيل من التنزيل » ٠٠ « سعد زغلول » العظيم الذى كان اسمه يدوى فى مشارق الأرض ومغاربها يقول عن أديب وأدبه أنه « تنزيل من التنزيل » ٠

صراع من أجل قصيدة

٠٠٠ أفهم من ذلك أنه كان هناك عناية وتشجيع على جميع المستويات للثقافة والأدب ؟!

ـ نعم ٠٠ كانت هناك العناية الجدية بالنقد ٠٠ فعندما يكتب « توفيق الحكيم » أهل الكهف ، يكتب عنه « طه حسين » و « مصطفى عبد الرازق » و « العقاد » و « المازنى » و « زكى مبارك » ٠٠ فأين ما يكتب الآن عن كتاب للمشهورين ؟! ٠

لا تجد كلمة واحدة يتناولها أديب دارس ، وانما هى عبـــارة عن مجاملات شخصية ، وسطور صحفية لا تعبر الا عن روح المجاملة البحتة ، وليس فيها أى ظل من التقييم أو التقدير ٠٠ !!

وعلى ما أذكر . وأتذكر أنه كان فى جريدة « البلاغ » مخصص للنقد « المازنى » وفى « كوكب الشرق » .. « زكى مبارك » ، وكان فى الأهرام أحيانا ينقد الشعر « أنطون الجميل » نفسه .

وأذكر حادثة وهى تدل على الاهتمام بالجو الأدبى كله فى هـــذه الفترة من حياتنا ، كان « شوقى » شخصا مثل طباعه ، لا يحب أن يواجه الجماهير ، فكان يتخير من يلقى قصائده ، ففى حفل من المحافل ـ وفى معظم المحافل يختار « فكرى أباظة » ليلقى قصائده ـ وقف « فكرى أباظة » وألقى القصيدة كالعادة .. وقبل الشطر الأخير تكاثرت الأيدى لأخـــذ القصيدة من « فكرى أباظة » فحدث شبه معركة نتيجة لتلهف الصحفيين لأخذ القصيدة ، حتى تكون كل جريدة أول من ينشرها ، وحدث أن قام وتقدم « توفيق دياب » ليكون أول من يستلب القصيدة من يد « فكرى أباظة » ، وعندما وجد يدا أخرى تمتد اليها ، ضرب « توفيق دياب » صاحب هذه اليد على صدغه بالقلم .. !!

وكان شعر « شوقى » ينشر فى جريدة « البلاغ » .. وكان البلاغ يصدر فى الساعة الخامسة مساء . وبعد ربع ساعة لا تجد نسخة فى السوق مادام فيها قصيدة لشوقى .. وهذا أكبر دليل على حب الناس للأدب وفنونه .. وعناية الصحافة وجو النشر كله بالأدب بكل أشكاله والوانه .. !! .

ـ .... ما هو تفسيرك لهذا ، عندما كان الانجليز والقصر والاقطاع يتحكمون فى الشعب ويعطلون قدراته ، كان الناس يبحثون عن الثقافة بمثل هذا الشغف ، وعندما جاءت الثورة لتحرر الانسان وكما قيل ادعاء أنه نال حريته ، تراجعت الثقافة وانتكست وأصابها التدهور ؟! .

قال :

ـ الثورة أحيطت بنفر قوى جدا من المنتفعين ، والمنتفع دائما يحب أن يتحرك فى الظلام ، فأول شىء يقاومه ، هو الشخص المستنير والمتعـــلم الذى يأتيه هذا من الثقافة .

هو يعيش فى الظلام ليتضخم ويزداد انتفاعه ، والشعارات التى يرفعها تدخل فى عقول الجهلاء والبلهاء ، أما المثقف فانه لا يقبل هـــذه الشعارات ولا يهضمها .. فهى موجة طبيعية لطمس النور من عقـــول الناس ، ليقبل هزيمة ١٩٦٧ ونســـميها له نكسة .. هذه هزيمة .. هزيمة .. والجيش لم يحارب ، والتفكك وسوء الادارة كانا واضحين لكل

من له دراية بفنون الحرب .. فكيف نقول نكسة ؟! وكيف يتقبل ذلك الا من كان مطموس العقل .. ؟! .

فموجة حب الأدب أيام الاستعمار الانجليزى لم يستطيعوا مقاومتها ، كانت أكبر وأقوى منهم وصراع الفكر رهيب .

الفرق واضح جدا لم يستطع الاستعمار بكل جبروته أن يطمس روح الأدب وفنونه من أذهان الشعب .. لأن هـذا كان فى صميم القلب .. أما المنتفعون والانتهازيون للثورة استطاعوا ذلك .. !!

أديب الأمس كان مخلصا

ـ .... عبر رحلتك الطويلة والممتدة ، كيف ترى أديب الأمس واليوم ؟ وكيف ترى فنان الأمس واليوم ؟ وكيف ترى موسيقي وغنـــاء الأمس واليوم ؟ .

قال :

ـ أديب الأمس ولظروف الحياة المادية نفسها فى ذلك الوقت ، كان روحيا ومخلصا للأدب وروحه متسربة لحبه الى درجة التضحية .

أنا شخصيا وجدت « أحمد حسن الزيات » كان يعطى لكبار كتابنا فى ذلك الوقت « العقاد » و « طه حسين » خمسة جنيهات ثمنا للمقالة ، وأظن أن هذا تطور الآن الى درجة أن الشبان الصغار يأخذون من ٣٠ جنيها الى ١٠٠ جنيه ثمنا للمقال والقصة .. صحيح أن الحياة تطورت بماديتها ، ويمكن أن الخمسة جنيهات تساوى الآن المائة جنيه أو أكثر .. لكن هذا هو ما حدث .. !! .

فالخمسة جنيهات هى الخمسة جنيهات ، وليست مائة أو خمسمائة جنيه .. فرسمها هو الخمسة جنيهات .

وروح التضحية برزت واضحة فى « لجنـــة التأليف والترجمـة والنشر » .. كانوا فى حارة « الهدارة » فى « عابدين » فى بناء متهالك ، يخرجون ويطبعون « مجلة الثقافة » متكاملة طباعة وفنا أدبيا ، ولا يأخذون نظير ذلك العمل أى ربح مادى يوزع عليهم .. بل كانت التضحية متضامنة .. وروح حب الأدب للأدب كان متغلغلا فى كل نفس تكتب فى هـذه المجلة .

فهل يمكن أن يحدث مثـــل هذا الآن فى نفـــوس الكتاب والأدباء المعاصرين ؟ قطعا لا ٠٠ !! ٠

ولم تكن هناك فى ذلك الوقت وسائل اعلامية أخرى ، كالسينما والتليفزيون ، تعين الأديب على تقبل التضحية التى أوضحناها فى الجو الأدبى الخالص ٠

كانت هناك مجلة « للشيخ البرقوقى » اسمها « الأديب » ٠٠ هذا الرجل كان يخرج المجلة وحده على نفقته الخاصة ، وكانت من أبرز وأحسن المجلات فى ذلك الوقت ، جمعت « المازنى » و « العقاد » و « صـــادق الرافعى » و « زكى مبارك » ٠٠ وهذا الشخص يعبر بشخصه ومجلته عن التضحية الكبرى التى لا مثيل لها للأدب البحت الخالص ٠

اديب اليوم لا يقرأ

أما جيل اليـــوم من الأدباء لا يقرأون مثـــل من ذكرنا من الأدباء السالفين ٠٠ فتسعة أعشارهم لا يعرفون أدب التراث ، ولم يفتحوا فى حياتهم كتابا « الأغانى ، للأصفهانى » أو « صبح الأعشى » أو « عيـــون الأخبار » أو حتى « كليلة ودمنة » أو « الأمالى » ٠٠ ٠

ولا يمكن اطلاقا أن يخرج أديب ممسكا بالقلم مالم يقرأ بعض هذه الكتب ٠٠ والقراءة الأدبية معـــدومة ٠٠ قل منهم من يجيد الانجليزية والفرنسية لضعف هذه اللغات فى المدارس والجامعات ، بعد خروج الإنجليز من التدريس والفرنسيين والألمان ٠٠ وهم يقرأون لبعض وتجـــد صورة تكرار واضحة بوضوح مطلق ، يكررون بعضهم البعض ، ولكننى لا أنكر أنه يوجد منهم من طور الرواية والقصة ، ودرس بجهده الشخصى الكثير من الأدب العالمى واطلع عليه ، حبهم الطاغى للشهرة يجعلهم لا يتأنون فى كتاباتهم ، وليس عندهم الصبر ٠٠ للمداومة وتحمل المشقة التى يعانيها الفنان ، ويجرون بسرعة رهيبة الى الحوادث الجارية فى الصحف ، كسقوط العمارات المشيدة حديثا ، والغش فى المواد الغذائية ، بمعنى يخلقون من الحوادث الجارية فى الصحف التى يكتبها الصحفى ويجعلون منها قصة ، ومثل هذا أزمة المساكن وأزمة الطعام ٠

ومثل هذه الأشياء لا يمكن أن تعيش الا في جوها .. أقصد القصص .. وعاش « شكسبير » وما زلنـــا نقرأ له وسنظل نقرأ له ، لأنه عالج الموضوعات الانسانية البحتة ، الحب ، الكراهية ، والخيانة ، وطبع المرأة فى كل العصور ، فهذه الأشياء خالدة فتظل تقرأ عنها وتقرأ كاتبها ،

ومثله عاش « ديستوفيسكى » لأنه عالج الموضوعات الانسانية البحتة ، وحرص على اضاءة الشخصية الانسانية من داخلهـــا وليس من ظاهرها السطحى ، وذلك عن طريق الاهتمام بالانفعالات النفسية ، وتأثير الظواهر الخارجية على الأعماق ٠٠ فعالج « الجريمة والعقاب » الى درجة أنه قال : « ان المجرم يعود الى مكان الجريمة » وقد أصبحت هذه نظرية علمية فى علم « الاجرام » ، وعالجها الايطالى « لامبروزو » بعده بخمسين سنة ٠٠ فالأديب الشفاف يتنبأ دائما ٠

المسئولية وضعف المستوى

ـ ٠٠٠٠ مسئولية من فى ضعف مستوى أديب اليوم ؟ ٠

ـ مسئولية العصر كله ٠٠ عصر الصحافة التى لا توجه ، وتنشر بالصلات الشخصية ، قصة أو مسرحية أو رواية أو مقالة لا تســـتحق النشر ٠٠ !!

ـ ٠٠٠٠ ما مدى مسئولية الأسرة والتربية والتعليم ؟! ٠

اننا الآن فى عصر جو مادى بحت ، الكل فاتح « بقه » للفلوس ، حتى الزوجة التى لم تستكمل تعليمها تحب هي أيضا أن تخرج للعمل لتأتى بالأجر الشهرى ٠٠ الكل يريد أن يعمل خارج البيت ٠٠ فكيف تأتى الرابطة الأسرية ؟ ٠٠ الزوج يعود من العمل الساعة ٤ والزوجـة تعود الساعة ٣ والأولاد فى مواعيد مختلفة ، لا يجتمعـــون على مائدة واحدة ٠٠ من أين يأتى التوجيه ؟! ومن أين تأتى المحبة ؟! ٠

لا وقت عند الأب لتربية وتوجيه أولاده ومثله الأم ٠٠ !! ٠

فمجرد أن يتحرك الولد ويجرى على رجليه ينطلق ٠٠ ولقد كنت وأنا أركب « المترو » ارى طلبة المدارس الاعدادية يدخنـــون ويوزعون السجائر على بعضهم ٠٠ واذا قاموا بما يسمى « الهزر » كانت حركاتهم ممجوجة وسط جموع الناس الراكبة ٠

واذا بنا نفاجأ الآن بشىء رهيب دخل صفوف الطلبة جميعا وهــو « المخدرات » بكل أشكالها وألوانها ٠٠ وأصبحنا نقرأ أن هناك طلبـــة سرقوا « شقة » وهذا شىء غريب وعجيب ، ما كان يحدث اطلاقا ، أو سرقوا « سيارة » أو اشتركوا فى جريمة « قتل » ٠٠ !! ٠

هذا يرجع لظاهرة التفكك الأسرى نتيجة لحب المال وطغيان المـادة

بشكل رهيب على كل شيء عداه ·· وأصبحت القيم فى نظر هؤلاء مجالا للسخرية ·· فالرجل الكامل الصفات أبله ·· والعـــالم مخرف ·· وهكذا ·· !! ·

أما التربية والتعليم فلها دور أساسى وحيوى ·· اذا نظرنا الى مدرس الابتدائى والاعدادى والثانوى ·· فهو مدرس وغير مدرس ·· لأن الفصل الذى فيه على الأقل ٤٠ شخصا لا يمكن اطلاقا أن يقوم بالتدريس فيـه وتوجيه أفراده شخص واحد ·· فلابد من حدوث خلخلة فى النظـــام نفسه ·· اما أن يسرع بالقاء ما فى جعبته ويخرج ·· أو أن يشغل نفسه فى الحصة كلها باسكات هذا وعقاب ذلك ·· ومثله فى الاعدادى وأقل من ذلك فى الثانوى ·· وتكون النتيجة كما نرى لا تربية ولا تهذيب ·· !!

والمدرس فى زماننا كان صديقا شخصيا للطالب ويعرف أسرته ·· ويتدخل معه كصديق فى كل متاعبه الشخصية ·· لا يوجد الآن من يفعل مثل هذا ·· !!

ليس عند الأستاذ وقت لمثل هذا ·· وكثرة العدد ، تحدث ما نراه الآن من جو التفسخ ·· فكيف نسمع أن طالبا ضرب أستاذا بمطواه لأنه ضبطه يغش فى الثانوية العامة أو فى أى شهادة · !! فهل بلغنـــا من التدهور الى مثل هذا الحد ؟ ·· الأستاذ معـــلم وكاد المعلم أن يــكون رسولا ·

···· عن الموسيقى ؟! ·

ــ فيما يختص بالموسيقى ·· أنا لا أسمع الا الموسيقى الكلاسيكى ·· « فاجنر » و « بيتهوفن » و « تشايكوفسكى » و « هاندل » ·

أما ما عندنا من الموسيقيين الآن والموسيقى ·· فأحب أن أقول لهم بكل صراحة انهم يستفيدون فائدة مطلقة وواضحة من هؤلاء الأفذاذ ·

وعملية الخلق عندهم تكاد تكون معدومة ·· وعندنا موسيقى واحد أنا أحبه لدرجة عميقة وهو « سيد درويش » وأكبر دليل على خلوده ، أنك لا تجد فى المناسبات الوطنية الا موسيقاه ·

···· وعن الأغانى ؟! ·

ــ قد أكون رجعيا فى تعبيرى هذا ·· أنا لا أحب الا « محمـــد عبد المطلب » و « وديع الصافى » ·· اتجاهى كله ــ منذ صغرى وأنا عمرى سبع سنوات ــ الى « القرآن الكريم » ·· وأعظم من أسمع له الشيخ

« محمد رفعت » والشيخ « عبد العظيم زاهر » والشيخ « منصور الشامى الدمنهورى » .

.... ومن الممثلين ؟! .

ـ أعجب بتمثيلهم وواقعيتهم الصرفة للحياة « محمــــود المليجى » و « اسماعيل ياسين » و « يوسف وهبى » و « فاطمة رشدى » .

الشخصية المهضومة

.... الشخصيات عندك متفردة بل شديدة التفرد ، ما هى رؤيتك للشخصية المصرية فى الماضى والشخصية المصرية الآن ، وكيف نبثيها من خلال الفن والأدب ؟ .

قال :

ـ أنا بارسم وماشى على خط واحد .

أرسم دائما الشخصية المهضومة الحق ، المعذبة ، القدرية ، العاجزة عن التحرك ومواجهة صعاب الحياة ، حتى أسماء القصص تدل على هذا ، ويأتى هذا من معايشة طويلة وبحتة .. تغلغل فى النفس وتجــــد أنه لا مفر ولا متنفس لها الا الخروج على الورق .

والشخصية المصرية فى قصصى لم تتغير قط .. وهى دلالة طيبة على الطيبة الى درجة البلاهة أحيانا ثم التمسك بالقيم .

وفى كل قصصى أنا أسعى الى الحقيقة والجمال .. وأكره القبح فى كل مظاهره .. القبح فى الشكل ، القبح فى الخلق .. القبح فى الطباع .. وليست هناك مبالغة .. ان كل أنثى فى قصصى فهى جميلة أولا .. ولا أكون مغرورا اذا قلت لك أننى أحببت القصة القصيرة وطورتها .. فالزمن الذى كان يستغرق القصة فى بداية حياتى من يومين الى ثلاثة ، أصبح يستغرق ساعة أو ساعتين .. وكذلك الأشخاص فى القصة ، فبعد أن كانت أربعة أو خمسة أشخاص ، تقوم على شخص أو شخصين .. وأنا أركز على الشخص الواحد لأبرز للقارىء جميع طباعه وليكون أسهل عند القارىء للفهم ولا أنكر عنصر التشويق فى قصصى وبعض الأحيــان الاثارة .

فالقصة قصة وليست مقالا .. ويجب اذا كانت حية ولها روح أن تجذبك من سطورها الأولى ، ولا يمكن اطلاقا اذا رجعنا للأفذاذ الكبار

الذين تعلمنا منهم .. أن تطوى كتابا « لديستوفيسكى » أو « تشيكوف » أو « جوجول » بعد قراءة سطرين من الكتاب .. فروحه الخلاقة وجاذبيته الشديدة تجعلك تستمر فى القراءة وتستمر وتستمر .

أما القصة التى لا روح فيها فانها ولا شك تنفرك من سطورها الأولى ، حتى وان كانت تحمل أعظم الأفكار « فسارتر » غير « ديستوفيسكى » و « همنجواى » غير « ناتالى ساروت » ..

والذى يدخل السياسة فى القصة يفسدها عامدا متعمدا .

وقد حاول الروس فى السنين الأخيرة طمس كتب « ديستوفيسكى » و « جوجول » و « بوشكين » ولكنهم أحسوا بالخجل .. وبالخجل الشديد عندما وجدوا كتب هؤلاء منتشرة فى جميع أنحاء العالم ، بكل اللغـات بصورة رهيبة ، ورجعوا اليهم وأخرجوهم الى النور ..!! .

فالفن الحقيقى الخالد هو الذى يعيش على مر الزمن .. لماذا نقرأ التراث الآن ونقرأه بشغف ؟ لأنه يعبر بصدق واخلاص عن صورة من حياتنا من تلك الحقبة من الزمان .

..... أنت لا تؤمن بالتصنيفات فى القصة ؟! .

قال :

ـ اطلاقا .. اطلاقا .. ولا بالمذاهب الأدبية ولا بالقواعد وهـذه تدرس فى الجامعات .. ولكن لا أقفز وراء كل مذهب كالجرادة .. واذا كتبت القصة فهناك من يقول انها واقعية أو واقعية طبيعيـة أو واقعية اشتراكية .. فهذا هو دور الناقد .

فأنا أكتبها بعفوية من معايشة صادقة .

وهناك أستاذ وأنا لا أحب أن أذكر اسمه ، لأن الله تداركه برحمته وضع ثمانى عشرة قاعدة للقصة القصيرة ، ولم يكتب قصة واحدة ناجحة ، لأن فى رأسه وهو يكتب عنصر القاعدة فسلبها الروح ..

ولو كان « ميكل أنجلو » درس القواعد قبل أن يصـنع تماثيله الرائعة ما صاغ وما نحت تمثالا واحدا .

الموهبة والحب يجبان كل شىء آخر .. والعرب نطقوا بالفصحى التى لا مثيل لها قبل أن توضع قواعد النحو والصرف .

.... كيف نبنى الشخصية المصرية ؟! .

– نبنيها اذا تجردنا من المادية المطلقة والجشع ، ورجعنا الى القيم المطلقة وتعلمنا الحب وكيف نحب ؟! •

•••• رغم المئات من القصص ، والمئات من الشـــخصيات التى رسمتها وقدمتها ، الا أن الأضواء تبدو عازفا عنها ، فما هو سر هـــذا الصمت المريب تجاه أعمالك وتاريخك الأدبى والابداعى ؟! •

قال :

– أولا : مسألة سهلة جدا •• أنا شخص منطوى على نفسى وخجول •• وليس لى أية اتصالات شخصية •• عشت طول عمرى الأدبى لا أقدم قصة لى – لمجلة أو جرنال ، وفى هذه الجرائد مئـــات الأشـــخاص – الا الأديب •• وهذا السلوك من بدايتى الأولى ، وتمكن من نفسى عندما كنت أعطى قصصى لأستاذنا الكبير « أحمد حسن الزيات » فى مجـــلة « الجيل » وفى « أخبار اليوم » وفى « الشعب » وفى « الجمهورية » •• وفى كل المجلات الأدبية لم أعط قصة لى الا فى يد أديب •• ولذلك لم أشعر بنكسة واستمريت •• ولا أذكر أن قصة لى تأخرت فى النشر أو ضاعت •• وهذا يحدث كثيرا •

وقد يكون من دواعى الخجل أننى أعطى القصة لشخص أديب •• وليس لرئيس التحرير أو سكرتير التحرير •• !!

ليس لى شللية ، أتحرك وحدى دائما فى جميع المواقع •• وهذا أكبر دليل على عدم ظهور شىء لى فى الاذاعة أو التليفزيون •• لأن هذا واضح من جو الشللية والاتصال الشخصى •• وقد أخرجت لى قصة « القرية الآمنة » •• بمحض الصدفة البحتة ، أن مخرجا شابا فى التليفزيون •• قرأها فى أخبار اليوم وأراد أن يخرجها بصورة مرئية •• والســـينما بالطبع أنا بعيد عنها كل البعد •• !!

وأما عن صمت النقاد •• ربما نقاد الجامعات لا يجدون فى قصصى المنهج الذى فى دماغهم سواء « الرومانســـية » أو « الواقعيـــة » أو « البنيوية » •• كل هذه المذاهب لا تدور فى رأسى وأنا أكتب القصة •• اننى رجل فنان ، وأحب الفنانين مهما تكن مذاهبهم ، لأنى أفكر فى الكاتب والفنان ، ولا أفكر مطلقا فى مذهبه ، فلا يمكن لهذا المذهب أن يضع على وجهى سحابة ضبابية أو يحجب طريق الفن عن نظرى •

الانسان والموجة

٠٠٠٠ **كتبت تقول :** « الكتابة رسالة ٠٠ واذا كنا نحلم بأحلام اليقظة ونقول ان الأديب رسول ، وعليه رسالة كرسالة الأنبياء ، الا أن هذا كله بالطبع فى واقع الحياة عبارة عن حلم » ٠

ما هى الدوافع وراء هذا القول ، وهل الكتابة فقدت قيمتها ورسالتها ، ومن الذى أفقدها هذه القيمة ؟!

قال :

ـ النظام نفسه ٠٠ جنازة «محمود تيمور» كان فيها ستون واحدا٠٠ لكن يموت أى واحد سياسى ، أو أى واحد داخل فى التشكيل تجد كل الوزراء والحاشية والطبول ٠٠ مات « عبد الحليم حافظ » الدنيا انقلبت ٠٠ « أم كلثوم » يريدون خطف نعشها ٠٠ !!

مات الأستاذ « محمد كامل حسين » صاحب « القرية الظالمة » مشى فى جنازته ٥ أفراد ٠

حتى السلطة نفسها تضخم فى أديب وتبرزه ٠٠ مغنواتى يتبرزه ٠٠ رقاص يتبرزه ٠٠ لاعب كرة يتبرزه ٠٠ !!

الشعب راكب هذه الموجة من سنين ٠٠ فأصبحت ممارستها عليه سهلة ، انه لا يتعود شيئا جديدا ٠٠ وهذه موجة سهلة دخلت فى طباعه السلوكية ٠

أنا لا أكتب لرواد النوادى

٠٠٠٠ دائما ! انتاجك القصصى المتنوع والمتعدد يتضمن تعاطفا مع الانسان ٠٠ فلماذا قلت لا أكتب ليقرأ كتبى رواد نوادى الجزيرة وهوليوبوليس ، ولست أعتقد أن بين هؤلاء الرواد قارئا لى ؟ ٠

هل أنت كاتب تكتب لطبقة معينة ، ولانسان معين ؟!

قال :

ـ أولا : عدم اختلاطى بهؤلاء لا يجعلنى أكتب عنهم ٠٠ أنا أكتب عن الناس الذين أعايشهم ٠٠ فتعبيرى هذا فيه كل الصدق ٠٠ وأنا اكتب، فكل قصاص يكتب لكل الناس ٠ ولكن أنا أكتب عن طبقة من الشعب

معينة ، وهى التى خرجت منها ، فطبيعة الحال يكون الذين يقرأون لى من هذه الطبقة ، ولا أذكر أننى كتبت قصة عن بطلة فى « نادى الجزيرة » ولا فى أى ناد من هذه الأندية ولم أدخلها الا عابرا .. فكيف أكتب عن هؤلاء وأنا لا أنتمى اليهم ؟!

.... لكنك تحبذ الشكل الانسانى ، تخاطب أى انسان فى أى مكان ؟!

المفروض هذا .. أنا لست بصعاد المنابر .. وقصصى تتطلب الذكاء المفرط من القارىء ، وكل قارىء يفهمها على درجة ثقافته .

يعنى أنا لست من خطباء المنابر .. لا أسعى ولا أدعو صراحة الى الخير والسلام ، وهذا بطبعه يفقد القصة قيمتها ، حتى عنوان القصة اذا كان يدل على كل ما فى القصة ، فانه يفسدها .. أعتقد أنه بعد كل هذه السنين وصلت بجهدى وبنفسى وبأساتذتى الذين أخذت منهم الفورم الى درجة لاتجعلنى أكتب عنوان القصة الى الحد الذى يشرح ما فيها .. !!

.... يأخذ عليك بعض النقاد أن الجنس فى قصصك يشغل مساحة كبيرة ، فما رأيك فى هذا ؟!

قال :

ـــ أنا لا أكتب عن الجنس اطلاقا .. وقد سألنى صحفى هذا السؤال فقلت له . ات لى بقصة واحدة فيها جنس ، فعجز .. !!

والمرأة والرجل يتحركان معا فى دروب الحياة ولابد من التفاعل ، ولابد من الاختلاط .

ونحن كتبنا عن المرأة بعد أن خرجت الى الطريق وأصبحت تعمل ، وأصبحت موجودة فى كل مكان فى الوزارة والمصلحة والشركة ، والتقى بها فى السكة الحديد وفى الترام .. فكيف أغفل وجودها ؟! وهى عندى شىء له قداسته . فكيف أدنسها ؟ واذا حدث منها الزلل القهرى ، فأسبابه عندى واضحة وهو من الشىء الذى سبق أن قلته وهو « قدر الانسان » .

ولا أذكر أننى كتبت قصة فيها المرأة داعرة أو ملوثة أو تدعو الى الفسق .. فالنساء فى قصصى دائما محرمات ، محجبات ، واذا حدث الزلل فهو لشىء قهرى يحدث لكل امرأة فى العالم .

فالمرأة التى زوجها سكير ومقامر ومدمن مخدرات مثلا ، وترك شئون البيت ، ولم يسمعها كلمة حب فى حياتها ، كيف تصد رجلا يحبها ويحترمها ؟!

الخلاصة أننى أريد من يدلنى على قصة واحدة فيها جنس متعمد للجنس ، ولا شأن لى بمن يكتب عن الجنس صراحة لأننى ما كتبت فيه قط .

وينتهى الحوار مع « تشيكوف » القصة القصيرة المصرية والعربية .. ولولا الكيد والدس لكان هذا الأديب الكبير المبدع « محمود البدوى » يملأ الدنيا نقاشا وجدلا حول أعماله .. واذا كانت بعض الأقلام قد تجاهلته عن عمد وبعض أجهزة الأعلام قد قررت نسيانه ، الا أن الأديب « محمود البدوى » سوف يأتى اليوم الذى يجد فيه ناقدا منصفا ليعيد اكتشافه من جديد .. عند ذلك تبرز القيمة الحقيقية لأدب هذا الأديب العملاق .. واذا كنا نهمل الذين يمدون لنا جسور العلم والمعرفة والأدب عن عمد وقصد .. أذكر كل هؤلاء القتلة لكل رأى مستنير وضمير يقظ .. عندما سئل « تشرشل » أيهما يفضل أن يكسب الحرب وتخسر بريطانيا « شكسبير » أو يخسر الحرب وتكسب بريطانيا « شكسبير » لها .

أسرع فى الاجابة بلا تردد .. وقال : تخسر بريطانيا الحرب ويعيش لها « شكسبير » .. لأن « شكسبير خالد وعرف الناس ببريطانيا .. أما الحرب فيمكن أن نكسبها فى أى وقت .. » .

هكذا تكون رؤيتنا للأدب وقيمة الأديب فى الحفاظ على ضمير الأمة ووعيها وثقافاتها .. فهل يحظى بالتكريم الأديب « محمود البدوى » ؟! (*)

(*) منح جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٧ بعد وفاته .

د • عبد الحميد يونس

من قتل عنترة • • • ؟!

أثار « الفولكلور » جدلا كبيرا بين المثقفين ، بين مؤيد ومعارض ، وبين متهم انه بالرجعية والقيم المتخلفة البالية ، ويعتبر الاهتمام به مصدرا خطرا على اللغة ، وتشبثا بماض لا طائل من ورائه ، وتمسكا بتراث عفا عليه الزمن وتجاوزه ٠

ومن الذين أيدوا الأدب الشعبى بتحفظ ، وكان يميل الى تسميته « المرددات الشعبية » الأستاذ « العقاد » يقول عنها : « ولكننا نجمعها لندرسها ونستخلص منها أطوار البلد فى عباراته وأمثاله ومواسمه وعاداته ، وقد يكون منها الحميد والذميم والمباح والممنوع ، كما تكون جميع الأعراض والعلامات التى تعرف منها دلائل الصحة والمرض ، وسمات التقدم والتأخر ، وقد يعنى الطبيب النفسانى أحيانا باستقصاء الفلتات العارضة التى يفوه بها مريضه ، ولا يقال من أجل ذلك أنه يتخذ من تلك الفلتات مثالا للحديث ، وذخيرة للحفظ والاستشهاد ٠

وعلى هذا النحو نستفيد من دراسة « المرددات الشعبية » فى بحوث التاريخ والأخلاق واللغة ، ولا يلزم فى عنايتنا بأمثالها وعباراتها ، وتراكيبها أننا نرتضيها ونرشحها للكتابة بها فى موضوعات الثقافة العليا ، فان الطبيب ـ كما تقدم ـ يدرس أعراض السقم ، كما يدرس علامات الصحة ، وغنى عن القول أنه يفضل الصحة على السقم كما يفضلها الناس كافة فى جميع الأحوال » ٠

لكن الدكتور « عبد الحميد يونس » كانت له نظرة أخرى « كان يعمل الى تصحيح النظرة الى التراث عامة ، والشعبى منه خاصة ، والكشف عن بعض أشكال التراث الشعبى الأدبى التى حظيت بالتدوين ودراستها

وتقييمها ووضعها فى مكانها فى التراث الفنى للمجتمع » وكمـــا يقول الدكتور « أحمد مرسى » عن الدكتور « عبد الحميد يونس » : « التراث الأدبى عنده ليس هو ما يصدر عن لهجة بعينها ، ولا عن طبقة بعينها لان التعبير الفنى حيوى فى جميع الشعوب والأفراد والطبقات » ، « والفيصل عنده بين الأدب الشعبى وغيره ، انما يلتمس فى واقع الأمر فى الوظيفة التى يقوم بها الأدب » .

فالسير والملاحم ، شكلت قديما الى حد ما الوجدان الشعبى العربى ، اقتحمت عقله ، صنعت جزءا من حماسه ، من شهامته ، من فروسيته ، غذت الحب عنده بأثواب البطولة فى كل أشكالها .

عندما قابلت الدكتور « عبد الحميـــد يونس » قال لى : قصتى مع الأدب الشعبى بدأت منذ الطفولة ، فأنا نشأت فى حى « السيدة زينب » واتصالى بالقرية فى أجازات الصـــيف جعلتنى أعيش الأدب الشعبى » ومن العجيب أنه فى احدى زياراتى الى قريتى فى « الشرقية » ، وجـدت نسخة مطبوعة قديمة « لسيرة بنى هلال » كانت بداية الانطلاق والعشق للأدب الشعبى ، تخصصت فيه ، وكان من الضرورى أن أؤكد بالدراسة العلاقة الإيجابية والمباشرة بين الأدب والحيــاة ، ثم تخصصت فى علاقة الأدب بالوجدان الشعبى كان ذلك قبل الدراسة الجامعية ، وفى الجامعة كانت دراستى فى سيرة « الظاهر بيبرس » والسيرة « الهلالية » لأظهر التحول من النص الشعبى الذى اعتمد على التدوين الى النص الشعبى الحى ، ولذلك اعتمدت فى رسالة الدكتوراة على التسجيل الصوتى وعلى النوتات الموسيقية وعلى الشعر الجاهلى ، ليكون الأصـــل قائما فيه على رواية شفوية ، وأن يعبر عن شخصية الجماعة لا الفرد . لذلك أردت أن أعرف من خلاله حقائق السير والملاحم .

●● .... كيف نشأت السير والملاحم الشعبية ، وما هى دوافع الشعوب فى خلق هذه السير والملاحم وهل تختلف من شعب الى شعب أو أنها تتشابه وتتقابل ؟! .

ــ نحن نتذكر دائما القاعدة البيولوجية ، وهى أن الوظيفة تخلق العضو ، أى أن السير والملاحم الشعبية ، انما تنشأ وتتطور لحافز حيوى أو اجتماعى أو قومى .

والسير والملاحم الشعبية تبدأ فى صورة نواة صغيرة ، وهى تختلف عن أجناس الأدب الرسمى لأنها لاتجمد على صورة واحدة ، كما أنها بحكم الرواية الشفوية ، تتأثر بالبيئة الاجتماعية ، هناك ســير شعبية تروى

في مصر والشام والعراق والشمال الافريقي ، ولكنها مع ذلك تختلف في التفاصيل وتصوير الشخصيات ، بل وفي تتابع الأحداث أحيانا طبقا لتأثير كل بيئة أو قطر .

أولا : من ناحية علاقة ولادة هذه السير بالأمم الأخرى ، نرى أنها تولد بحافز مباشر من بيئتها ، ولكنها في تطورها تتأثر بالعلاقات المختلفة بين هذه البيئة وبين سائر البيئات ، بحكم الهجرة والحروب والمتاجرة الى آخر ذلك من العلاقات الكثيرة المنوعة .

ثانيا : أن بعض الحوافز تجعل الشعب يركز الاهتمام على سيرة أو سيرتين ، وبذلك يخضعها لهذا الحافز ، وتبدو في ظاهر الأمر وكأنها ولادة جديدة ، ولكن الدراسة التحليلية تظهر ولادتها قبل ذلك بأجيال .. بقى أن نعترف بأن حلقات أو شخصيات توجد في مراحل متأخرة وتلتحم بالسيرة ، وهذا يتفاوت من حيث الأصالة ومن حيث التأثير .

وأهم مثل على موضوع ولادة السير الشعبية ، هو سيرة « عنترة بن شداد » فواضح أن البطل الأساسي من وحي الفارس الشاعر الجاهلي ، ولكن هذه الشخصية تطورت بحكم الحوافز المتأخرة والتحمت بها أحداث غير جاهلية ، بل ان وظيفة السيرة العنترية جعلت البطل يدافع عن الاسلام الى جانب العروبة ويحتفظ من حيث الزى الخارجي — اذا صح هذا التعبير — ببعض الملامح الجاهلية .

اعادة صياغة

● ● .... هل من الممكن أن نقدم السير والملاحم الشعبية في عمل سينمائي أو تليفزيوني مثلما قدمت « الالياذة » و « الأوديسا » في السينما الأجنبية ، وما هو التصور العام لما يقدم بشكل عصري حتى يترك أثره المباشر في المشاهد ؟! .

— من الطبيعي أن تعد الروائع من السير الشعبية موضوعا أساسيا في جميع وسائل الاتصال بالجماهير ، كالسينما ، والاذاعة ، والتليفزيون، ولابد أن نتحفظ بين اتجاهين :

الاتجاه الأول :

اعادة صياغة السير الشعبية بحيث نرقى بها إلى الخاصة والمتعلمين ، وأن نجعلها تتوسل باللهجة الفصحى ، وقد حدث ذلك باختيار بعض تلك

السير فلخصت لتتخلص من الاطالة التقليدية فى الســـير الشعبية ، ورشحت من الزوائد ومن الصيغ البيانية ، ثم ان بعض الأدباء حاول أن يعرضها بأسلوب يجتذب الأطفال ·

الاتجاه الثانى :

الاستلهام ·· فان بعض الأدبـاء المبدعين فى الشعر والنثر الفنى ، اجتذبتهم بعض السير فاستلهموها وتخيروا موقفا من مواقفها ، أو شخصية من شخصياتها ، أو صوروا الملامح الرئيسية للبطل ، ويجب ألا يغيب عن البال المزاوجة التى قام بها بعض الأدباء بين المأثور عن البطل فى الأدب الخاص ، وبين الرواية الشعبية لهذا البطل ، وهذا يبدو بوضـوح عند الأدبـاء المبدعين الذين جعلوا « عنترة » الموضـــــــوع الرئيسى لرواية أو مسرحية ·

البطل والبطولة

●● ···· هل السير والملاحم صورة تاريخية صادقة لحقبـة من الزمن ، أم أنها اختراع لتمجيد البطولة والأبطال واحياء نزعة التعصب ؟!

ـ هذا من أهم الموضوعات التى يهتم بها الدارسون المتخصصون ، فاننا نجد أبطالا شعبيين سجلهم التاريخ ، ولا يزال يعنى بهـــم ، ونجد شخصيات أخرى ليس لها الا ما يشبه الظل فى التاريخ ، ومنها ما لا يذكره التاريخ ، ومن هنا كانت عناية الدارسين ، لأن البطـــل الذى يجمع بين التاريخ والأدب الشعبى يحتاج الى دراسة مقارنة وقد يتصور الانســـان للوهلة الأولى ، أن التاريخ هو المقياس الأساسى الوحيد لضبط مقومات شخصية البطل ، فكثيرا ما تثبت الدراسة المقارنة تفاصيل لها واقعها فى الروايات المتناثرة ولها أيضا امكان حدوثها ، والمعين هو الأدب الشعبى ، أى أن الأدب الشعبى يفصل الحدث والصورة ويؤكد بعض الواقع ، الى جانب أن الواقع التاريخى يضبط المبالغة والتناثر وعدم الدقة فى العلاقات المباشرة بين الشخصية والحدث فى اطار العصر التاريخى المقصود ·

ان بعض السير ، ربما تكون قد ذكرت مجرد ذكر مقتضب ، ولكننا نحس بتأثيرها فى التاريخ بل ونجد آثارها فى المقومات الاجتماعية لهذه البيئـة أو تلك بين بيئـــات الوطن العـــربى ، وأهم مثل على ذلك هو « سيرة بنى هلال » فان هذه السيرة تصوير فيه قدر من الواقعية لحدث أشار اليه التاريخ مجرد اشـــارة وهى هجـرة بنى هـــلال من « الجزيرة

العربية » الى الشمال الافريقى ، وهنا يتأكد الفارق المنهجى بين التاريخ وبين السيرة الشعبية ٠

فمهمة التاريخ هى التسجيل والتركيز ، أما مهمة الأدب الشعبى فهى التفصيل الحى للوقائع والشخصيات ٠ وسيرة « بنى هلال » ليست سيرة بطل واحد كما تعودنا فى الأدب الشعبى ، ولكنها سيرة عدد من الأبطال مثل « السلطان حسن » الذى يصور ما ينبغى أن يكون عليه الحاكم من المظهر والسمت والسلوك ، والقاضى « بدير بن فايد » الذى يؤكد العدل فى العلاقات الانسانية كما يصورها القاضى فى حكمه وسلوكه ، ويبقى المحارب ، وتصوره شخصيتان هما « أبو زيد » الذى يجمع بين الشجاعة والحيلة ، و « دياب بن غانم » الذى يعد نموذجا فى الاقدام ٠٠ ومن أطرف ما فى هذه السيرة ، اعتراف المجتمع بالمرأة ، فهناك « الجازية » التى تركت زوجها وابنها وآثرت الخدمة العامة ، وكانت الى جانب الفرسان الأربعة الذين ذكرناهم ، الى جانبهم تعد شخصية بارزة ، حتى ان المجتمع اعترف بأن لها مكانا فى الديوان ، أى أن لها أن تحكم الى جانب الفرسان الأربعة ٠

الراوى والجماهير

●● .... ما هى الدلالات المؤثرة لشكل وجوهر السير والملاحم التى تروى مثل عنترة ، وذات الهمة ، وسيف بن ذى يزن ، وأبو زيد الهلالى ، فى حياة العرب وتاريخهم القديم والحديث وفى الفن القصصى والمسرحى؟:

المنهج الأول : يجب أن نتذكر أن السير الشعبية ليست جنسا أدبيا واحدا ، ولكنها جنسان يختلفان فى الاسلوب وفى الرواية ، وقد اعترف المستشرقون فى القرن الماضى بهذه الحقيقة ، هناك سير شعبية تقوم فى الأساس على الشعر ، أى أن محور الشخصيات والحوادث انما يروى بالشعر ، ولما كان الأدب الشعبى يعتمد على الرواية الشفهية الحية بين الراوى والجماهير ، فان الشعر استلزم بالضرورة الاعتماد على الانشاد وعلى الغناء احيانا ، وكان من الضرورى أيضا أن يفيد هذا المنهج من الايقاع الموسيقى ، وأن يصطنع آلة موسيقية رئيسية هى « الربابة » والراوية المتخصص فى هذا الضرب من السير الشعبية يعرفه الشعب المصرى باسم الشاعر وهو لم يبدع السيرة ، ولكنه يقوم بروايتها وانشادها ، ومع ذلك فله الحق فى التلخيص والتعديل والاضافة تبعا للظروف والمناسبات ولطاقة الشاعر ، ومن أهم السير الشعبية التى تقدم

بالشعر عندنا هما سيرة « عنترة » التى اختفت أو كادت منذ أجيال قليلة ، وسيرة « بنى هلال » التى لا تزال حية مرددة الى الآن •

أما المنهج الثانى : فى رواية السير الشعبية فهو السرد القصصى ، وهو يقدم طبعا بالنثر فى الغالب ويعتمد الراوى فى ترديده على نسخة مدونة يأخذها من « قبة قفطانه » يقرؤها على جماهيره ، وفى هذه السير النثرية مقطعات شعرية للغناء أو التنويع أو الاستشهاد بالحكمة ، والنثر يقترب من الشعر لأنه مسجوع وله فواصل وعباراته تساير ايقاع الراوى، والشعب يعرف المتخصص فى هذه السير باسم « الحكاواتى » أو « المحدد » ومن أشهر هذا النوع سيرة « الظاهر بيبرس » ولم يعد هناك من يقرؤها أو يرددها ، وكانت من أوائل السير التى تجاوزت التدوين الى الطباعة ، ان هذه السير المشهورة قد حظيت بالتدوين وبالطباعة ، وهذا يدل على احتفاظ الاسلوب بفترة التدوين التى جمدت عليها ، والدارسون يوازنون بين النص المدون من ناحية وبين النص الحى من ناحية أخرى ، لا يزال هناك فوارق بين سيرة « بنى هلال » المدونة أو المطبوعة وبين النص الحى الذى يردده شاعر الربابة •

●● •••• هل أثرت وسائل الاتصال الحديثة من « تليفزيون واذاعة وسينما » على مكانة وتأثير السير والملاحم فى الوجدان الشعبى ؟! •

ــ ان التحام البيئات الثقافية فى مجتمع واحد ووجود وسائل الاتصال كالتليفزيون والراديو والسينما ، جعلت البث المركزى هو الغالب ، ثم ان طبيعة الجماهير قد تغيرت • كانت « المقهى » هى المظهر الكبير والوسيلة الرئيسية فى التجمع والآن تحول الأمر الى استقبال الوجدان الشعبى للتاريخ والقصة ، انما يتحقق فى الدار وفى اطار الأسرة المجدودة ، وهى ظاهرة موجودة فى جميع القوميات ، بل ان تزاوج الصورة والصوت أضعفت من شأن الخيال فى تصوير الشخصيات كما أنه ركز الأحداث •

ان الأدب الشعبى يمر بما يسمى مفرق الطريق لاتزال له بعض آثاره ، ولكن وسائل الاتصال أضعفت من انتشاره الحى فى اطار الجماهير •

إن هذه الوسائل تقوم ببعض وظيفتها فى التسجيل وفى العرض ، ولكنها تتناسى بقية الوظائف ، يجب أن نحتفل بالسير الشعبية احتفالا يناسب مكانتها ووظيفتها ، وأنا أطالب باتساع رقعة التسجيل على أساس علمى يعتمد على العمل الميدانى ، لتكون هناك وثيقة صوتية

وتصويرية حيـــة الى جانب الوثيقة المكتـــوبة ، وأطالب بالانتخـــاب وبالاستلهام ، وأطالب بعدم مسح الشرائط والتسجيلات ويجب أن يكون لها أرشيف يستوعب الأنواع والبيئات ويعين فى العمل الفنى كما يعين الدارســـين ٠

مقتضيات التذوق

●● ٠٠٠٠ كيف يمكن أن نستفيد من تراث « ألف ليلة وليلة » ونخضعه لوسائل العصر من سينما وتليفزيون ومسرح ؟ وهل « ألف ليلة وليلة » رؤية فردية أم صورة اجتماعية صادقة ؟! ٠

ـــ ان الافادة من حـكايات « ألف ليلة وليـلة » تكافىء مكانة هذه الرائعة فى الحياة المعاصرة ، فعلى الرغم من أن هذه المجمـوعة حلقة من حلقات التراث ، وان كانت تتجاوز العصر الذى تكاملت فيه ، فهى لاتزال حية ومؤثرة ، لا فى الخيال القصصى فقط ، ولكن فى مجال التربية أيضا ٠

ان « ألف ليلة وليلة ، أثر عالمى فى الوحدات التي يتألف منهـا ، ففيه عناصر « هندية » وأخرى « فارسية » وفيه أصول «مصرية قديمة» ، الى جانب العناصر « العربيـــة » ٠٠ ان هذه الرائعة تفرض وجـــودها وبقاءها ، فلا تزال الحياة تتشبث بنصوصها وتعمل على طباعتها ونشرها ، ولكن هذه النصوص الأصلية **تتخذ فى المحافظة عليها طريقين** :

الأول : هو الحرص على حرفية هذه النصـــوص مع التعليق عليها بما يشرحها أو يكملها ، أو يصحح بعض الخطأ فى تدوينها ٠

الثانى : هو التخلص من العبارات المكشـــوفة التى لاتلائم الذوق الاجتماعى ، وكذلك الفقرات التى لا علاقة لها بالسرد ، والتى تخرج عن الاطار والمضمون معا ، أما كيف نفيد من هذه الرائعة فان الحياة قد أجابت ولاتزال تجيب فى مجال الابداع الأدبى ، نجد آحـــادا من الأدباء ـــ لا فى العالم العربى وحده ولكن فى العالم الكبير أيضا ـــ يختارون ما يلائم حوافز الابداع من شخصيات ومواقف ٠

نجد ذلك فى الأجناس الأدبية المختلفة كالرواية والدراما ٠٠ ورأى القوامون على السينما روعة بعض حلقات « ألف ليلة وليلة » فانتخبوا منها واستغلوا هذه الوسيلة الفنية استغلالا لا يزال له حوافزه الى الآن ٠

أما « الراديو والتليفزيون » وهو الذى يخضـــع لحركة الزمان فى الأداء ، فقد اختار المؤلفون والمخرجون بعض حكايات « ألف ليلة وليلة » ،

وجعلوا منها مسلسلات تساير استمرار السرد واستغلال وسائل الاجتذاب في التقسيم والعرض ٠٠ ولسنا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان كل الفنون اجتذبتها « ألف ليلة وليلة » ، فهي في الغناء ، وفي الموسيقى ، وفي الحركة ، والايقاع ، بل اننا نجد اختيارها واستلهامها موجودا في الفنون التشكيلية ، وأنا أقصد هنا الابداع الفنى لا مجرد اثارة الخيال عند القارىء بالتصوير التوضيحى ، أو المثير للدهشة ٠

ان وسائل الاتصال تعد جماهيرية في المقام الأول ، وهي تختلف باختلاف هذه الوسائل في الأداء ، وفي العرض ٠

اننا اذا تركنا الفيلم وركزنا الاهتمام على الاذاعة والتليفزيون ، فاننا نجد الجماهيرية أظهر في الاذاعة ، لأن الصوت تستقبله الجماعات كما يستقبله الأفراد ، أما التليفزيون فان اعتماده على الرؤية المباشرة يحدد من هذه الجماهيرية ، ومع ذلك فان الحكم لابد وأن يعتمد على طبيعة الاختيار أو الاستلهام أو الاقتباس ، كما هو الشأن في علاقة الفن بين المبدع أو المقتبس من ناحية ، وبين المتلقى والمتذوق من ناحية أخرى ٠

وتبقى نقطة واحدة على غاية من الأهمية ، وهي مسايرة العصر ، وذوق الجماهير في الافادة من هذه الرائعة العالمية ٠٠ ان مقتضيات التذوق الآن تختلف كثيرا عنها منذ قرون ٠٠ ان المبالغة في الخيال ، ان الاستغراق في الخرافة ، ان الاعتماد الأول والأخير على اثارة الدهشة ، ان محاولة استغلال الخروج على الحياء ٠٠ كل ذلك انحراف عن الغاية المنشودة في الفن المستلهم في « ألف ليلة وليلة » ٠

طاهر أبو فاشا

حكايتى مع أم كلثوم ...

يذوب الأمس مختلطا بندوب اليوم ، الملبـــد بكل غيوم الظنـــون والأكاذيب ، فالحياة خدعة كبيرة تطويك بين جناحى لذاتها ، تتورط معها ، تدرك أو لا تدرك ، لكنك سوف تقف يوما ما متأملا ، متأرجحا بين الحلم واليقظة ، بين الدهشة والتخيل ، وعندما تحاول أن تهرب من كل شىء ، لتنسج بنفسك عالمك ، يكون قد مضى قطار العمر ، وتقبض على الريح •

وتظل ظلمة المخبوء تطاردك بأفعوانية قاتلة ، وعنـــدما يأتى اليك النهار ركضا ، وتلوح فى الأفق السكينة ، يكتشف المرء أنها ســـكينة مهمومة ، كبخار مسموم مكتوم فى الصدور •

ومهما تنكسر الغصون ، تبقى الجذور لتطرح من جديد فروعهـــا ، لتتوالد وتتوالد مهما كانت الرياح والعواصف ، فبذرة الحياة تظل فى بطن تربتها ، حتى يتساقط المطر ، وتنبت الزهور من جديد •• !!

وكما يقول الشاعر « طاهر أبو فاشا » :

وخرجنـــا الى الحيـــاة مثاكيل نجيـــد النواح والاعوالا

وقنعنا من المعارك بالوصف وخضنا غمـــارها أقوالا

ونصبنا لكل ســـاع شراكا • وملأنا طريقـــه أوحالا

واحتمينا من الحقائق بالجهـــل وسرنا وراءه أشـــكالا

بدأ رحلته فى صراع مع بؤس الحياة وجهامتها ، الفقر نال منه .. لكنه لم يستسلم له ، تمرد عليه وثار ، لم يكن زاده فى هـــذا الكفاح

الا نبوغه المبكر وشاعريته ، وهو القادم من بعيد ، من « دمياط » ، ليس له سند ولا قوة دافعة عنه كل الشرور والضياع ، الا أن يؤكد ذاته ويحفر لنفسه دربا لم يكن مسبوقا اليه من أحد غيره ، عاهد نفسه أن يطفو على سطح الحياة ، وأن يلمع نجمه ، فهو شاعر يمتلك أدوات شعره ، ويمتلك أن يؤكد موهبته بالمثابرة ٠

وأكد هذا بقوله :

وان كان من يبنى العمائر معظما ٠٠ فان الذى يبنى النفـوس لأعظم

« طاهر أبو فاشا » الذى لم يستكن أمام الحياة وصخبها ، ضحك منها وصخب معها ، ونال منها ما أراد ، ولكنها فى أخريات أيامه نالت منه ، رمته بسهامها القتالة ، أصابته فى مقتل ، عندما انتزعت منه رفيقة حياته ، وتركته فى وحدته مغتربا مع شيخوخته ، لا يسمع لصوته السامر ولا لصوت سماره الا رجع الصدى ، انكفأ الرجل مع ذاته ودموعه وغربته ، مغردا عسى أن يتطهر من شقوته ، ويغنى من جديد ، لكن كما يقول : هيهات ، فأنا

غريب على باب الرجاء طريح

يناديك موصـول الجوى وينوح

يهون عذاب الجسم والروح سالم

فكيف وروح المســتهام جروح

و « طاهر أبو فاشا أديب قص علينا ما حدث وكان في سالف العصر والأوان ، من حكايات جميلة وأحـداث عجيبة غريبـة ، التى روتها « شهرزاد » الى مليكها « شهريار » ، وكيف كانت « ألف ليلة وليلة » ونيس الجليس فى رمضان أيام زمان ؟!

أيام ندرت فيها وسائل الترفيه الا من راديو يصخب ـ على موجة واحدة ، البرنامج العام ـ فى افتنان وتأنق ، لتقديم كل لون اذاعى جميل ومتفرد فى ذلك الوقت ٠

عشنا مع أشهر « دراما اذاعية » ـ أيام كان الزمان انســانا ، والانسان انسانا ـ كتب ذلك الشاعر المبدع الفنان « طاهر أبو فاشا » ٠٠ راهب الليل ٠٠ عاشق الروح مستهام ٠٠ وعشقه فيه متعة الطـائر

المفرد ، يجذبك بتغريده من عشق الجسد الى عشق الروح ، الى عالم الشفافية ، فتستغرقك معه الترانيم العلوية التى صاغها وجدا ولوعة على لسان « شهيدة العشق الالهى » ، « رابعة العدوية » ٠٠ وتذوب صبابة والقلب يخفق ولهانا ، وهو يجسد بكلماته صدق دموع ولوعة هذه العاشقة « لله » ٠٠ التى كانت تبحث عن طريق الخلاص ٠٠ عن الوسيلة ٠٠ عن الدرجة المبتغاة لرحلة رفيعة القدر ، شريفة المنزلة والفضيلة ، بعيدا عن الفضوليين النهاشين للأعراض « الخراصون ٠٠ الهمازون بنميم ٠٠ » ٠

واذا كان هذا العاشق لدنيا الخيال ، قد حبب الينا « ألف ليلة وليلة » بعطرها التاريخى والاجتماعى و « شهرزاد » بفتنتها وجمالها الأخاذ ، وثقافتها ووعيها ، وقدرتها على صياغة القصص والحكايات والأساطير ، و « شهريار » بدمويته وتسلطه ٠٠ !!

ولقد صاغ « طاهر أبو فاشا » كل هذه الحكايات والليالى فى أكثر من ٨٠٠ حلقة اذاعية ، كان لها أثرها الفعال فى عقول الصغار والكبار ٠

ويقول « طاهر أبو فاشا » : ان « ألف ليلة وليلة » التى يعرفها الناس انتهت فى سنتين فقط ، ولم تكن تصلح للاذاعة بشكلها هذا ٠٠ !!

حاولت أن أستدرج هذا العاشق لعطر التراث ، الذى نقلنا اليه ، ووضعنا فى داخله ، فلم يكتف « بألف ليلة وليلة » فقدم كتاب « ألف يوم ويوم » فى صياغة درامية اذاعية جديدة ٠

طلبت منه أن يغير المقاعد ، يحكى عن نفسه ، عن مشواره ، ويقص علينا قصته ورحلته ، وما حدث له مع هذا العمل الكبير الذى امتد قرابة الأربعين عاما مع الليالى ، والأوبريتات الاذاعية ٠٠ ؟ ولماذا يعصر الندم فؤاده ؟ أبعد كل هذه الشهرة والمجد ، يخالطه الخوف والشك ، وتكويه الحرقة بلظاها لأنه قد بدد كل هذه السنين من عمره ؟ أبعد كل هذا يبلغ به الألم منتهاه ويقول :

انني ظمآن ٠٠ ظمآن على ورد المياه
انني حيران ٠٠ حيران تردى فى أساه
ليس يشفينى سكوتى ٠ لا ٠ ولا تجدى الشكاه
ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠
ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

حاولت أن أبدد الانقباضة والحرقة ، أن أذيب مرارة العـــلقم من كلماته ، وأن كل شيء فى الحياة قدر ومكتوب ، ويهون عـــذاب الجسم والروح سالم ، أليس هذا كلامك ؟ ألست أنت القائل :

ولطفك يا خفى اللطف ان عادى الزمان عدا

تركت اللحظة تمر عابرة ، حاملة معها كل السهام المسمومة ، أخذت أجذبه الى عالم الذكريات الناضرات ، الى عصر الفتوة ، الى عصر كان الأمل فيه رحيقا عذبا لا يكدره طغيـــان أو اســـتعباد أو ديكتاتورية الفرد المتسلط .

اصل الحكاية

●● ...... حكايتك مع « ألف ليلة وليلة » .. لماذا اخترتها بالذات من كل كتب التراث ، هل لأنها الأكثر شهرة ، وبذلك تحقق لك الانتشار السريع والشهرة الأوسع نطاقا ، وهل كانت تشغلك قضية أن تضفى عليها الشكل العصرى ، أو أنك اقتنعت بتقـــديمها فى شكلها الأسطورى المملوء بعوالم الغموض والسحر والشهوة ؟! .

ـ عن الشكل المعاصر ، حرصت على عمل المعادل الموضوعى فى القالب الرمزى ، كنت أقصد « بالعفاريت » القوتين العظميين ، فسلطان « الجن الأزرق » أمريكا ، وسلطان « الجن الأحمر » روسيا ، والقصص وان بدت خرافية لكنها فى الحقيقة لو ترجمتها تجدها تنطبق على واقع معين من واقع بلادنا العربية .

ـ .. ..

●● .. .. .. حقيقة الاختيار ؟!

ـ الذى حدث أن مدير الاذاعة ، ولعله كان « الرحمانى بيه » ، كان له أستاذ اسمه « برانق » ، أستاذ لغة عربية ، كان يحب الأدب ، فعمل « أدبتيشن » لكتاب « ألف ليلة وليلة » هو وزميل له ، وأهدى الكتاب لمدير الاذاعة ، فقال : لماذا لا تقدم « ألف ليلة وليلة » فى الاذاعة ؟ .

طلبوا من « السيد بدير » أن يخرجها .

وهنا أتوقف وقفة قصيرة لأقول قاعدة مهمة جدا فى الكتـــابة الاذاعية ، المهم الصيغة الاذاعية ، كيف نصل الى الصيغة الاذاعية ، التى تصب فيها الحوادث والشخصيات التى تريد أن تجسدها ؟! .

البحث عن هذه الصيغة كان مصدر عناء وتعب لى فى الأول ، ظللت مدة طويلة أفكر فى كيفية عمل الصيغة الاذاعية ، حتى توصلت فى النهاية الى الصيغة التى أذيعت بها ، وفى الأول كنت أختمها « بجونج » ويطلع المذيع ليقول : « وهنا أدرك « شهرزاد » الصباح ٠٠ لم أرض عن هذه النهاية ، وفى ليلة من الليالى وأنا أكتب حتى الفجر ، سمعت صـــياح الديكة ، فكرت لماذا لا يكون صياح الديكة هو النهاية بدلا من « الجونج » ٠

وبعد أن انتهيت من كتابة عدة حلقات ذهبت بها الى « بابا شارو » الذى كلف باخراجها بدلا من « السيد بدير » الذى تنحى عن اخراجها ، وبالفعل أخرجها « محمد محمود شعبان » اخراجا جميلا جدا ، لأنه استعمل فيها قطعة موسيقى « هارب » فقط ٠٠ وعملها « تتر » له ، العجيب أنه جاء بموسيقى « كورساكوف » وركب عليها لحن « ألف ليلة وليلة » ٠٠ وكانت هذه النهاية الجميلة ٠

ومن الذكريات التى لا يمكن أن تمر سريعا ، عندما فكرت الاذاعة أن تستكتبنى وقعت على عقد ١٥ حلقة فقط ، الحلقة بخمسة جنيهات وكنت قانعا وراضيا بهذا المبلغ ، بل كنت أراه كثيرا ٠٠ !!

هذا الكلام قبل الخمسينات ، وبعـــد أن أذيعت الحلقة الأولى فى الاذاعة ، انقلبت الدنيا على الاذاعة ما بين الجوابات والتلغرافات والتليفونات ، ومن هنا كان الاقبال على عجيبا جدا ، فبعد هذه الضجة سحبوا منى العقد وجعلوه ٣٠ حلقة فزاد اقبال الناس عليها أيضا ،فسحبوا منى العقـــد ثانية وجعلوه ما لا يقل عن خمسة وأربعين حلقة ، وظللنـا نكتب حتى كتبنا ٨٠٠ حلقة ، ثم كففت يدى لأسباب لا داعى لذكرها ٠٠ !!

وهنا أريد أن أقول ان « ألف ليلة وليلة » تمتاز بميزة غريبـة جدا ، يسمعها رجل فيلسوف مثل « لطفى باشا السيد » يجد فيها لذة ومتاعا ، ويسمعها بواب عمارته فيجد فيها لذة ومتاعا ٠

« ألف ليلة وليلة » كتاب خدم الفن عن كتاب « كليلة ودمنة » رغم أنه أرقى أسلوبا وأدبا والذى كتبه « ابن المقفع » ، ولكن لم يخدم الفن كما خدمته « ألف ليلة وليلة » ٠

جلس اليها السـينما ، والمسرح ، والتمثيليـات ، والاذاعــة ، والتليفزيون ، والنحت ، والأغانى ، والفن التشكيلى ٠٠ كل هذه خدمتها « ألف ليلة وليلة » ٠

لم يتوقف عطاء « طاهر أبو فاشا » عند حدود « ألف ليلة وليلة » ،

بعد أن توقف عن كتابتها لأسباب رفض ذكرها . قال لى : لقد استكتبنى « فهمى عمر » كتابة « ألف يوم ويوم » وهو كتاب يشبه « ألف ليلة وليلة » فيه أساطير .

ـ .. ..

الفرق بين اليوم والليلة

●● .. .. .. الفرق بين الاثنين ؟!

ـ « ألف ليلة وليلة » دفاع عن المرأة ، لأن « شهرزاد » طلبت من أبيها أن يزوجها من الملك الدموى « شهريار » حتى تلهيه عن دمويته .. ظلت تحكى له كل ليلة حكاية وتقف عند نقطة مثيرة ولا تكمل فيضطر الملك الى استبقائها لليلة التالية ، وبهذا أسلخت معه « ألف ليلة وليلة » وبرىء الملك من دمويته .. !!

فهى دفاع عن المرأة فى مواجهة جبروت الرجل وطغيانه ، أى قصص المقصود بها الهاء الملك بالخيال وبالقصص الرائعة .

ـ .. ..

ـ .. ..

ـ « ألف يوم ويوم » دفاع عن الرجل ، لأن الأميرة بنت الملك « طومان » خرجت لصيد الغزلان ، وأرسلت العبيد فنصبوا الشباك والشراك ، ووقفت الأميرة تنظر من بعيد فسقط فى الشراك غزال ، فوجدت أن الغزالة كادت تقتل نفسها عليه ، تشد الشرك بأسنانها محاولة انقاذ الغزال ، وقفت الأميرة مشدوهة من المنظر العجيب ، حتى نجحت الغزالة فى انقاذ الغزال .

عندئذ تأثرت الأميرة كل التأثر ، وقالت « لا اله الا الله » ، حتى الحب والوفاء يعرفه الحيوان ، ما أجمل الحياة وما أجمل الحب ، لم تكمل كلامها ، فقد سقطت الغزالة فى نفس الشرك الذى وقع فيه الغزال من قبل ، فوجدت الغزال أقبل على الغزالة ومر عليها ثم تركها ، فاغتاظت الأميرة وقالت : لم يحاول أن يقدر الجميل ويرده بقدر ما قدمت له ، ولم يكتف الغزال بهذا ، بل جاء بغزالة أخرى ومر بها من أمام الغزالة الأسيرة حتى يكسر بخاطرها .. !!

تعكر صفو الأميرة ، وأمرت باطلاق سراح الغزالة ، وتوقفت عن

الصيد ، وتعكر يومها ، وتعكر مزاجها ، وقالت : « ان ما حدث بين الغزالة والغزال ، هو مجرد رمز أو مثال لغدر الرجال ، ويا من تامنين الماء فى الغربال لا تامنى للرجال » ٠

طردت جميع الخطاب من على الباب وهم من خيرة الشباب ، غضب والدها الملك كل الغضب ، فكيف تقف الأميرة هذا الموقف ، وتطرد الخطاب والأمراء وهم من خيرة الناس ، وأراد أن يكرهها على الزواج ، ولكن مربيتها « جلفدان » ركعت بين يديه ٠

وقالت له :

ـ يامولاى ، ان الزواج امتزاج ، والاكراه يكرهه « الله » ويأباه ولا يرضاه ، ولابد أن نعرف لم وقفت الأميرة هذا الموقف من الجنس الآخر من الرجال ، فأرجو أن تمهلنى يومين حتى أتسلل اليها وأعرف السبب الذى من أجله راحت تطرد الخطاب وترفض الأمراء ، فوافق الملك ورجعت اليه « جلفدان » لتقول له : ان الأميرة قد تسلطت عليها فكرة ويجب ألا تكره ، اذ لا يحارب الأفكار الا الأفكار ، وأنت تعرف أنى أحفظ من أساطير الأولين ، وحكايا السابقين الكثير والكثير ، فلو أنك سمحت لى فانى أنتقى لها من الأساطير ما يثبت لها ، أن الرجال أوفياء ، وأقصها عليها ، فان هذا يؤثر فى نفسها ويجعلها تعدل عن موقفها هذا وتعتدل وتنصلح أفكارها بالنسبة للحياة الزوجية ، فقال لها : دونك وما تريدين ٠

فراحت « جلفدان » المربية تترقب الفرصة ، حتى كانت الأميرة فى البستان يوما بدأت تقترب منها وتفتح لها الموضوع من بعيد لبعيد ، وبدأت تحكى لها حكاية مثيرة جدا فيها قصة وفاء ، وفيها واحد أحب حبيبته بعد أن سحب منها جمالها وفقأوا عينيها ، وأصبح شكلها قبيحا ، فظل على حبه لها ، لكنها ظلت غير مصدقة ، فقال لها :

« أتظنين أننى أحبك من أجل جمالك ، أو من أجل شعرك الحالك ، أبدا ، انك تهينين الحب يا حبيبتى ، الحب شىء فوق هذا كله » ، الحب شىء تعلق به الروح ، الأميرة سمعت القصة ولم تنم ليلتها ، فلما كان الصباح أسرعت الأميرة الى البستان ، وجلست الى مربيتها « جلفدان » وتحت فروع الخميلة ، وعلى أنغام الطيور فتحت « جلفدان » باب الأحلام وجعلت تستأنف الكلام وتبدأه بالصلاة والسلام ، وهكذا حتى حكت « ألف يوم ويوم » ـ كانت تحكى بالنهار وتنتهى عند آذان الظهر ـ حتى أقنعتها أنها خاطئة وأن الوفاء يوجد فى هؤلاء ويوجد فى هؤلاء ، وأن

جنس الرجال ليس كما تتصور ، وشفيت الأميرة من عقدتها وتزوجت ، وهذه القصص ممنهجة لها منهج الوفاء عكس « ألف ليلة وليلة » قصص « ليلية » أى قصة خيالية مدهشة لاقناع الملك وتسليته وتستلب منه اعجابه وميله ٠٠ !!

●● ٠ ٠٠٠٠ ٠٠ هل « ألف ليلة وليلة » فقدت بريقها الاذاعى ، فقررت أن تتحول بها الى التليفزيون ؟ ٠

ـ أنا لم أقرر هـذا ، وانمـا الذى قرره التليفزيون والمخرج « فهمى عبد الحميد » هو الذى سمع حلقات الاذاعة ، وفكر أن يعملها فى التليفزيون ، وطلب منى أن أعمل لها الفوازير فرفضت ، وقلت له أنا غير مؤمن بحكاية فوازير بعدما أقول القصة ، وهذا هو موضوع انتقالها الى التليفزيون ٠

فى العام الماضى أخذوا « عروسة البحـور » وذهلت من اخراج « فهمى عبد الحميد » وخاصة فى لقطة خروج « عروسة البحور » من وسط المياه ، ذهلت ، كيف صنع هذا الرجل هذه الحيلة ٠

وأخذوا منى هذه السنة قصة « ماندو اللى مفيش حد قده » ٠

●● ٠٠ ٠٠ ٠٠ بنظرة متأنية الى الأمور ، ما هو تأثير مثل هذه الأعمال الدرامية التى تدور وتتحرك فى نطاق حكايات مشبعة بجو الاسطورة وعالم السحر ، على العقلية وخاصة اذا كانت نسبة الأمية مرتفعة ، ونحن فى زمن أحوج ما نكون فيه الى دراما ترتكز على العلم والتكنولوجيا ، لا الى تكثيف كمية السحر فى هذه الأقاصيص ، وخاصة اذا كان البعض يعتقد فى صحة هذا السحر وفاعليته وأنه الحقيقة التى يمكن الاعتماد عليها فى تغيير الأوضاع والأشياء ٠٠ ؟!

ـ فى قصة « ماندو » اتصال بالعوالم الأخرى ، وسكان الكواكب ، فعندما خطف الى هذا العالم ٠٠ قال لهم : أنا جائع ، سخروا منـه ، « وقال دا لسه بياكل ، يا أخى انتهت حكاية الأكل والشرب من زمان ٠٠ ازاى ٠٠ تاخد الحباية دى تغنيك عن كل شىء ٠٠ أنا تعبان عاوز أنام ٠٠ دا لسه بينام ٠٠ انتهت الحكاية دى من زمان ٠٠ « خـذ الحباية وانت ما تنامش » ٠

فالقصة هنا تدور فى نطاق العلوم والكواكب والأقمار والعـوالم الأخرى والتكنولوجيا ٠

واذا وصلت القصة الى حد الاقناع فتكون نجحت ، لو أقنعتهم أنها

حقائق وليست من الخيال ، من هنا فعلا تؤثر « ألف ليلة وليلة » فى احساس الناس ، وتؤثر القصص فى نفوس الناس ، والأسطورة تمثل ضمير الشعوب ، موجودة فى كل لغة ٠

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

●● ٠٠ ٠٠ ٠٠ ما هو احساسك بألف ليلة الاذاعية وألف ليلة التليفزيونية ، وما الفرق بينهما ؟! ٠

ـ « ألف ليلة وليلة » فى الاذاعة تعطى الخيال والفسحة للسامع ، فعندما أقول ان الجدار انشق وطلع منه العفريت ، السامع عندما يسمع هذا الكلام يتخيل الصورة أمامه ، فى التليفزيون وفى السينما لا تكون هناك فرصة للسامع كى يتخيل الصورة ، ومن هنا تكون فى الاذاعة مثيرة جدا ولذيذة جدا ، لأنها تشرك السامع فى الأحداث ، والمهم فى النهاية أن يجد السامع والمشاهد وجبة فنية فيها غذاء روحى قليل ، وغذاء خيالى كبير ، وهذه مهمة صعبة جدا وليست بالشىء البسيط ٠

انا حزين

●● ٠٠ ٠٠ ٠٠ تردد دائما أنك نادم ، وأنك أضعت من عمرك ٣٥ عاما أو قرابة الأربعين فى خدمة الاذاعة ، هل هناك مبرر محدد لمثل هذا الندم والألم ؟! ٠

ـ بعد أن سألته ذلك السؤال ، غلف المكان صمت عميق ، ونظرات انزلقت الى بعيد تبحث عن البداية ، خرج الصوت من الأعماق مشروخا واهنا فى ألم ، يغلفــه الوقار الممزوج بكبرياء وحكمة الزمن قائلا : أنا حزين لأنها صرفتنى عن الشعر ، وأنا لست مغرورا ، لكننى أزعم أننى لو كنت انكفأت على الشعر وتوفرت له كل هذه السنوات الطويلة ، فلعلى أكون قد صنعت شيئا ٠

●● ٠٠ ٠٠ ٠٠ أيكون مثل هذا الألم كله وأنت صنعت ما صنعت من امتــاع درامى وشعر صوفى وأوبريتات اذاعية ، ماذا أبقيت للذى لا يصنع شيئا فى الحياة الا أنه مثل السائمة ؟! ٠

ـ أنا عندى عقيدة أن ما يذاع على الهواء يذهب الى الهواء ، أين كتاب الاذاعة الكبار ، أمثال « عم أمشير » و « يحيى نصار » فى تمثيلياته النفسية الجميلة ٠٠ ذهبوا ولا أحد يذكرهم أبدا ٠٠ هؤلاء كتبوا للهواء

وذهبوا مع الهواء ٠٠ لو أنهم ألفوا كتبا لبقوا ٠٠ وأنا أرى أن الاذاعة ليست خالدة ٠٠ ولا تخلد أحدا ٠٠ !!

لكن « ألف ليلة وليلة » ٠٠ هى التى ظلت تقاوم فبقيت ٠٠ !!

●● هل حجب جائزة الدولة التقديرية عنـــك من أحـد آلامك أيضا ؟! ٠

ـ حكاية الجائزة ٠٠ رشحونى لها مرة وأنا فرحت بالترشيح ٠٠ رغم معرفتى أننى لن أنالها ٠٠ فقد كان من المرشحين معى الأستاذ « أنيس منصور » وغيره ، وهذا بالطبع جعل أملى فى الحصول عليها ضعيفا جدا ٠٠ وخاصة أنها كانت تقديرية وليست تشجيعية ٠٠ وأنا لا أنظر الى الجائزة التشجيعية وأنا تجاوزت السبعين ٠٠ والليالى بعد هذا أنا منها وهى منى ٠٠ اسألونى أنا عنها واسألوها هى عنى ٠٠ بعد أن جاوزت السبعين ومازلت أغنى ٠٠ !! ٠

فأنا لست من المؤمنين بالجوائز ٠٠ ولكن سرنى أنهم رشحونى ٠٠ ووجدت أن الترشيح فى حد ذاته تقدير لى ٠٠ ولكننى كنت واثقا أننى لن أحصل على الجائزة ٠٠ (*) » !!

●● ٠٠ ٠٠ اذا كنت من الذين يعتقدون أن ما يذاع على الهواء يذهب الى الهواء ، لماذا لم تتدارك الموقف وتحول أعمالك الى كتب ؟! ٠

ـ أنا نشرت « ألف يوم ويوم » ، وحاولت أن أنشر « ألف ليـلة وليلة » لكن الاذاعة رفضــــت ذلك ، وكان مديرها فى ذلك الـوقت « عبد الحميد الحديدى » وقال لى وقتها : « ان العقد الذى بيننـا وبينك يمنعك من النشر ، وأن الاذاعة صاحبة الحق فى استغلالها نشرا واذاعة وأى استغلال ٠٠ » ومنعت من نشرها ٠٠ !!

وعندى ديوان كامل اسمه « الليالى » وأمنيتى أطبعه ، لذلك أفتش عن أحد لا يتعبنى فى مثل هذا السن ٠٠ !!

●● ٠٠ ٠٠ ٠٠ الدراما الاذاعية كيف يراها صاحب أشهر مؤلف اذاعى الى الآن ؟! ٠

ـ كله عظيم ٠٠ والعمل الجيد لابد أن يكون له وجوده وله مذاقه ٠٠ المهم أن يكون العمل جيدا ويكون مكتمل العناصر الأخرى ٠

(*) حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٩ بعد رحيله بشهور ٠٠ !!

فمثلا أوبريت « رابعة العدوية » غناء « أم كلثوم » لم يأخذ حظه من الشهرة مثل « ألف ليلة وليلة » ، رغم أنه أقيم ، ومكتوب بلغة عالية جدا وفيه شعر جميل جدا ·· ومع ذلك الذى بقى لى « ألف ليلة وليلة » لأنها كتاب مبروك ·· يعشقه الجمهور ·· !!

هكذا كانت اجابته ··· !!

حكايتى مع أم كلثــوم

●● البداية الحقيقية لى مع « أم كلثوم » عندما كتبت لها أوبريت « رابعة العدوية » ·· وقد حدثت لى معهـــا مواقف تجمع بين الطرافة واختلاف الرأى ·

أما اختلاف الرأى فعندما كتبت أغنية « يقولون لى غنى » وكلماتها تقول :

غريب على باب الرجـاء طريح
يناديك موصول الجوى وينوح
يهون عذاب الجسم والروح سالم
فكيف وروح المسـتهام جروح
وليس الذى يشكو الصبابة عاشقا
وما كل بـاك فى الغرام قريح

وضع لها « كمال الطويل » لحنا جميلا جدا ·· وكان الذى يخرج الأوبريت « عثمان أباظة » ·· سمع اللحن ثم مال على أذن « أم كلثوم » وقال : « ان اللحن غير مناسب للموقف والمشهد » فاللحن أقرب الى البهجة منه الى موقف رابعة العـــدوية وهى تجـــلد ، فكيف تغنى مثل هـــذا اللحن ·· ؟ ·

طلبت منى « أم كلثوم » أن أكتب لها أغنية أخرى ·· رفضـــت وقلت لها : اذا لم يعجبك الملحن ، فابحثى عن ملحن غيره ، قالت : لا نريد أن نغضب « كمال الطويل » فاكتب قصيدة ثانية ·· لا يمكن أن أكتب لك قصيدة ثانية ·· هل يعقل أنا بنيت لك بيتـــا وجاء المبيض يبيضه ولم يعجبك بياض المبيض تهدمى البيت ·· لا يمكن أن أفعـــل ذلك ·

استمر الحوار بيننا ٦ أشهر بين الأخذ والرد ·· التليفون « يرن » أقول « مين » :

– تقول ستك ·

– أقول لها أنا ماليش غير ســـت واحدة ســـاكنة فى ٥ شارع أبو الفدا ·· تضحك ·· وفى النهاية كتبت قصيدة أخرى هى « فى بحار الندم » ولحنها الأستاذ « رياض السنباطى »

على عينى بـكت عينى
على روحى جنت روحى
هـــواك وبعــد ما بينى
وبينـــك سر تبــريحى

وماتت القصيدة الأخرى ·· لكن « أم كلثوم » غنتها ·· وبعــدها علمت أن قريبة « أم كلثوم » أخذت الشريط وسوقته فى السعودية · وأصبحت القصيدة تذاع فى السعودية وأنا لا أعرف ولا أعلم عنهـــا شيئا .. ولا أتقاضى عنها أجرا ومحروم منها وهى كيانى .. قصيدتى .. !!

●● ·· ·· ·· وبنظرة متأنية نجد أن أغانى رابعة العدوية قد نالت قبولا واستحسانا ·· والبعض كان يأمل أن يستمر التعاون بينكم لاثراء عالم الأغنية بكل معنى وصوت عظيم وأداء مبهر ·· فهل بعد هذه الأحداث حدثت بينك وبين « أم كلثوم » قطيعة أو ما يشبه القطيعة ·· ؟!

– أبدا لم يحدث قطيعة ، وأنت تدخلنى مع حكاية « سميراميس » ·· فأنا كتبت لها أوبريت « سميراميس » ·· بعد الحاح منها على ، وخاصة أن « جمال عبد الناصر » اتصل « بأم كلثوم » بعد أن ســـمع أوبريت « رابعة العدوية » ·· وقال لها : هذا انتاج عال جدا ولابد أن تستمروا لتقدموا لنا عملا جديدا ·· فكرت فى هذا البرنامج الوطنى « سميراميس » أسطورة جميلة جدا وفيها ١٣ لحنا ·· بدأت أكتبه ، وهى بدأت تتدخل فى القصة ، ورفضت بالطبع هذا وحدثت بينى وبينها ما يشبه المشاحنة ، قلت لها :

– يا ست أنت مطربة « على عينى وراسى ، مالك أنت ومال الأدب والكتابة » ·

قالت :

ـ ربنا يكفينا شر الغرور .

قلت لها :

ـ لا .. ماتشتمنيش .. أحســـن أرد عليك .. وأنا باحترمك وأحبك .. ماتخلنيش أطول لسانى عليك .. تضحك .. !!

ظللنا ٣ سنوات نختلف فى بناء القصة ، حتى استقرت ورضـيت عنها .. أعطوها للأستاذ « رياض السنباطى » من أجل أن يلحنها وعملوا معه عقدا .. وطلبوا منه أن يكون لهم حق الطبع الميكانيـــكى .. رفض الأستاذ « السنباطى » وطلب منهم أن يشتروا حق الطبع الميكانيكى منه مقابل أن يعطوه خمسة آلاف جنيه ، كان مبلغا ضخما فى ذلك الوقت ، وكان الرفض من جانبهم أيضا .. ومات البرنامج .. !!

لكن بعد ذلك حدث اتصال بى ، فقد كنت موظفا بالقوات المسلحة ، واتصل بى « سعد الدين وهبة » وكان يرأس يومها قطاعا فى السينما .. طلبنى .. ذهبت اليه فى الهرم .

وقال لى :

ـ عملت ايه فى « سميراميس » .. ؟!

قلت له :

ـ ايه اللى عرفك .. ؟!

ـ أنا عارف كل حاجة .. !!

ـ أنا ماعنديش غير نسخة واحدة .

أعطيتها له .. أخـذها وذهب بها الى « صـلاح عامـر » وكان كبير مهندسى الاذاعة ، وبينه وبين « أم كلثوم » صلة وثيقة .. واتفق معها على أن تغنيها للسينما .. ووافقت وبالفعل اشتروها منى وطلبت فيهـا مبلغ ألفى جنيه ، وعندما بدأت أوقع العقد أعطونى ٧٠٠ جنيه ، لـكن تدخل أحد كبار الناس وكان يريد أن يعمل عملا ، ولا يوجد ميزانيـة الا الميزانية الكبيرة التى وضعت « لسميراميس » ٣٠٠ ألف جنيه ، وأعدوا أيضا ٣ مخرجين ، مخرج « دراما » ومخرج « أغان » ومخرج « للصوت »

وكان « بابا شارو » ، فتدخل هذا الفنان الكبير وأوقف العمل من أجل انجاز عمله هو الذى لم يصنعه الى الآن ٠٠ !!

بعد ذلك تقهقرت الدنيا بنا وحدثت الهزيمة القــاتلة فى ١٩٦٧ وكبرت السيدة « أم كلثوم » ٠٠ ومات « الأوبريت » عندى ، ولا أحد يستطيع أن يغنيه الا « أم كلثوم » ٠٠ لأن البطل فى هــذا العمــل « الصوت » ، وهذه قصة غانية أذلت الجبابرة بجمالها ، وقادت الشعب وراء غنائها الى النصر ٠

فليس هناك أحد يؤدى هذا الدور الا « أم كلثــوم » ٠٠ راحت « أم كلثوم » ماتت ٠٠ ومات الأوبريت ٠٠ !!

والأستاذ « مدحت عاصم » اتصل بى كثيرا ، لنقرأها معا ، يريد أن يأخذها منى ليعطيها لأحد ، وأنا لا أستطيع أن أعطيها لأى انســان أبدا ٠٠ هذه قتلت وماتت بموت « أم كلثوم » ٠٠ !!

ارفض الأغنيــة الفردية

●● ٠٠ ٠٠ ٠٠ على مستوى الأغنية الفردية لا نجد لك انتاجا ، رغم قدرتك وتفردك على امتلاك الجملة الرشيقة الجميلة المعبرة ، المشحونة بالطاقة الروحية والتأمل الفلسفى ؟! ٠

ـ أنا لا أميل الى كتابة الأغنية الفردية ٠٠ ولا أقتنع بالأغنية الا فى عمل اذاعى ٠٠ هل معقول واحد يطلع يقول لواحدة أنا باحبك من غير سبب كده ٠٠ انما فى القصة حاجة مقنعة واحد بيحب واحــدة وعاوز ينتحر يبقى هناك مبرر ٠٠ أما واحد يغنى من غير سبب فهذا غير معقول ٠٠ فأنا أميل الى كتابة الأغنية فى عمل درامى ٠٠ ولا أؤمن بكتابة الأغنية الفردية أبدا ٠٠ !!

●● ٠٠ ٠٠ ٠٠ اذا كنت مقتنعا بذلك فلماذا لم تطور الأغنية لتشارك بها فى المسرح الغنائى ؟! ٠

ـ بعد ايه ٠٠٠ تدينى كام سنة ٠٠ !!

●● ما أقصده بعد أن خطوت خطــوات موفقة فى الكتــابة والشهرة ؟ ٠

ـ فى الزمن الماضى كنت مشغولا بكتابة « ألف ليلة وليلة » ٠٠ وكفاية أنى أعمل « رابعة العدوية » و « سميراميس » كفاية قوى قوى ٠

أنا عملت فى الاذاعة سلسلة اسمها « أعياد الحصاد » أذيعت فى « ركن الريف » خاصة أن كل محصول له عيد ·· عيد القمح ·· عيد الذرة ·· عيد القطن ·· عيد الأرز ·· عيد العدس ·· عيد القصب ·· عيد الزهور ·· وكان كل عيد من هذه الأعياد يحيرنى ·

عندما فكرت أن أكتب عن العدس ، ذهبت أفتش على الصعايدة لأسمع المزمار بتاعهم ·· وأكتب بلهجة صعيدى ·· وفعلا وجدت المطلع ··

اسناوى يابوى ·· اسناوى وبس

بس اللى مايخبرش يقول عدس

الله على العدس يابو جبة وبس

وفعلا العدس ··

لابس توب عايش عليه يادوب

والجبة لما تدوب لون الدهب بيبان

ياما يخلق الرحمن ··

كتبت ٣٠ صورة غنائية من أعياد الحصاد · وكل عيد ينتهى برقصة ، يعنى حركة ·

شيل الفاس بايديك الاتنين

واوع تجور بالفاس ياحسين

اعزق يالله ·· هيله ·· هه

يفرجها الله ·· هيله ·· هه

وفى عيد الأرز يدخل الفلاح ومعاه عصاية ويرقص رقصة الأرز وهو يغنى :

من قش الرز أعمل حزام

أرقص وأتهز وأقوله كلام

اعملى حزام من قش الرز

دنا عندى كلام على قش الرز

فهذه الأشياء كلها شغلتنى عن التفكير فى أى شيء آخر ٠٠ وأنا رجل موظف ولست محترفا ٠٠ وأذكر أنهم عندما أعطونى فى حلقة « ألف ليلة وليلة » ٥ جنيهات ٠٠ استغربت كيف يدفع هؤلاء الناس كل هذه الفلوس ٠٠ ايه الهبل ده ؟! خمسة جنيهات فى الحلقة يا خبر ٠٠ تصور ٠٠ !!

●● ٠٠ ٠٠ ٠٠ كيف ترى الأغانى أيام زمان واليوم سـواء فى الكلمات أو الألحان أو الأصوات ؟! ٠

ـ التعميم آفة من آفات الفكر ٠٠ فيه أغانى جميلة ٠٠ وفيه أغانى قبيحة ٠٠ ومازلت أقول ان التعميم آفة من آفات الفكر ٠

●● ٠٠ ٠٠ ٠٠ ممكن تحدد أكثر ؟! ٠

ـ يعنى مثلا فيه أغانى جميلة جدا بتعجبنى ٠٠ أغانى « أم كلثوم » قصيدة « الأطلال » ٠٠ وفيـه أغانى كثيرة حلوة ٠٠ وفيه أغانى بتبقى « هفق » لا تعجب الانسان ٠٠ !!

●● لابد من ارتفاع درجة حرارة المحاورة ، وفض غلاف حذر الأريب ، انفلت الخيط من الطرف الآخر الذى كلما أمسكت به أراه قد ذاب منى وزاغ ٠٠ نفخت فى الرماد حتى أصبح جمرا ٠٠ قلت له : الأغنية الآن منحدرة المستوى فى الكلام وفى الأداء وفى اللحن ، وكان قد « زن دبور » أحمر بجوار أذنه فقال :

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

ـ أنا لا أرى أنها منحدرة ٠٠ وضد هذا الكلام ٠٠ منحدرة ليـه ؟ لماذا الأغنية هى التى تنحدر ٠٠ يعنى البلد كلها نجحت وكل حاجة عظيمة وكويسة ما عدا الأغنية هى التى تنحدر ٠٠ لماذا يعنى الأغنية ؟! ٠

●● لأن الأغنية هى الكلمة ٠٠ والكلمة هى الوجود ، فاذا افتقدنا قيمة الكلمة أو تصحيح الكلمة ، افتقدنا الوجود ٠٠ ؟ ٠

ـ طيب يعنى الوجود كله كويس ما عدا الكلمة ٠٠ !!

● الوجود مبنى على الكلمة والكلمة مبنية على الوجود ؟

ـ الوجود مبنى على الكلمة ، ما هذا ٠٠ ؟ هذا كلام أدبى وليس كلاما علميا ٠٠ !! ٠

● هذا كلام علمى أيضا ٠٠ فأى نظرية علمية كيف تتحقق ؟ تتحقق من خلال الكلام ، يكتبها عالم من خلال لفظ معين ، فتتحول الى عمل ٠٠ البداية اذن كلمة ٠٠ فنقول س + ص = ص + س ولو صنعنا كذا وكذا الناتج يكون كذا ٠٠ فالكلمة تتحول الى عمل ؟

ـ هذا حق ٠

.. ..

.. ..

●● عالم الثقافة .. عالم غائم .. ملبد بالغيوم والمتاهات .. وان منهجية الثقافة عندنا مفتقدة ، وبنظرة عميقة وصادقة فى البحث عن علاج لابد من معرفة الأسباب الحقيقية لمثل هذا الداء الذى مازال ينخر فى العظام ، فما رأيك فيمن يقول ان الثـورة لم تنتج ثقافة وانما عاشـت على ثقافة الأربعينيات ، وأن الديكتاتورية حالت دون تواصل الأجيال وحالت دون التطور الثقافى ، ما رأيك فى هذا ؟! .

ـ حاجة لا تنكر .. وخاصة أن الحكم كان فرديا .. خاليا من الحرية .. فلا يمكن أن تزدهر فيه ثقافة ولا حاجة أبدا .

أنا أميل الى أن الثقافة لم تكن مزدهرة .. ولا ازدهرت .. ولو كانت هذه الثورة حقيقية .. وكان فيه حرية للشعب .. لازدهرت الثقـافات وأزهرت ونضجت .. لكن هذا لم يحدث أبدا .. !!

●● .. .. .. ألا تريد أن تضيف شيئا ؟!

ـ عدى عنزة .. .. .. !!

●● هل الفن والأدب عبرا عن الشخصية المصرية ، أو أنهما هزما الشخصية من أعماقها فتبددت طاقاتها وانهزم الانتمـاء والولاء وسادت الحيرة ؟ .

ـ ... لا .. الفن والأدب طبعا صورا الشخصية المصرية ، وعبرا عنها كما نرى فى أدب « نجيب محفوظ » والأستاذ « توفيق الحكيم » وبعض اخواننا الأدباء .. واذا كان بعض الأدباء لم يكتبوا ولم يتجاوبوا بأدب يعبر عن الشخصية المصرية .. هذا شىء طبيعى .. لأن الثـورة لم تكن ثورة شعبية فعلا .. بل هى حركة قاموا بها شوية عسكريين ، وكانوا مسمينها فى الأول حركة .. ولم يسموها ثورة أبدا لغاية الآن .

ونحن نتمنى أن تكون المسألة فى أيدى المدنيين ، وليست فى أيدى العسكريين وكفانا ما حدث .

●● .. .. . .ألا تريد أن تضيف شيئا جديدا ؟! .

ـ .. .. عدى عنزة .. لماذا تضعنى على الأشواك ؟! .

لنعرف الحقيقة من الذين شاهدوا كل شىء وسمعوا كل شىء وعاشوا

فى كل شىء ومع كل شىء ·· وخاصة اذا كان الصدق هو دليلهم وليس المتاجرة بشعارات على حساب الشعب ورفاهيته وتقدمه ·· أين نحن على خريطة العالم ·· وأين العالم منا ؟!

صـــلاح طاهـــر

هذا ليس بفن ... !!

اللون عنده تجسيد لعالم المشاهدة بالبصيرة ، يبلور من خلاله رؤاه للقيم والفكر والمشاعر والحب ، تنجذب الأفئدة ، تظل متعلقة بما فى اللوحة من حركة وسكون ، بما فيها من حرارة وقلق ، بما فيها من شك وتمرد وبحث . وكلما ارتقت اللغة اللونية كلما صنعت وحـدة موسيقية تناغمية مع الكون ، ويؤكد هذا ما قاله « بدر الدين أبو غازى » عنه « اللون فى لوحات « صلاح طاهر » الأخـيرة ، كائن حى له قوامه وشخصيته ووظيفته ، وهو عند هـذه المرحلة يجمع فى الأشـكال بين التشخيص والتجريد ، عوالمه لا تصور الطبيعة فى ذاتها ولكنها تقدم ايحاءات منها ، انه يضفى عليها قناعا لونيا ويحور مشاهدها ، فيخلق عالما آخر معادلا لها ، عالما موسيقيا » .

● هـــو ●

عندما قابلته فى منزله بالجيزة قال لى :

ـ لأول مرة لا أستطيع أن أتحكم وأسيطر على ما أرسمه ، بل حدث العكس تحـــكم في وفى قدرتى وارادتى ، وسـيطر على كل مـدركاتى ما أرسمه ، فقد وجدت نفسى أرسم كلمة « هو » ثمانين مرة ، كل مرة بلون مختلف وشكل مختلف وطريقة مختلفة ، ومذاق مختلف حتى أننى لم أصدق نفسى وأنا مستمر فى رسم كلمة « هو » بحب ليس له مثيل ، بشغف فوق حـدود طاقاتى ، وبنفس هـذا الاصرار والحماس ، بدأت أسأل نفسى لماذا لم أتوقف عن الرسم ، رغم أن الاعياء قد نال منى مناله ؟

ما الذى يشدنى بمثل هذه القوة والعنف ؟ ما الذى يربطنى بهذه الكلمة حتى عجزت عن الفكاك منها والتوقف عن رسمها ؟ ٠

وعندما قلبت الأمر بينى وبين نفسى فى لحظة التأمل ــ التى أمارسها مرتين فى اليوم ــ فى لحظة التجليات ، وجدت أن كلمة «هو» تحوى كل الكون بما فيه ، وهى غاية الغايات ، والطريق ، فمن هذه الكلمة خلق كل شىء واليها يرجع كل شىء ، هو الظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم ، هو الخير ، هو الأبد ٠

وسوف أحاول أن أكمل هذه اللوحات الى المائة ، وسوف أتمم هذا العمل الكبير بلوحة ضخمة مرسومة بكلمة كبيرة هو وتحتها « كل شىء وليس كمثله شىء » ٠

وعندما زارنى الأديب الكبير « أنيس منصور » وشاهد هذه اللوحات، أخذ يضرب رأسه ويقول ، هذا اعجاز ٠٠ هذا اعجاز ٠٠ أفى مثل هذه السن تكون هــذه النقلة الكبيرة ٠٠ ماذا أرى ؟ ثمــانون لونا ، ثمــانون تشكيلا ، ثمــانون فكرة ، انه أقصى مراحل الابداع وذروته ، أن ترسم كلمة بمثل هذا الثراء ، وهذا التنوع ، وهذا الاختلاف ٠

ويلخص ما ذهب اليه « صلاح طاهر » فى رسم هذه اللوحات ، قول المتصوف « محمد بن عبد الجبار النفرى » فى كتابه «المواقف والمخاطبات» ، « كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة » ٠

والمدركات عند « صلاح طاهر » لا تتوقف كما يقول على الحواس الخمس فقط ، بل تتجاوزها الى عالم « البصيرة » ، لذلك كانت هــذه اللوحات التعبيرية التجريدية ، التى تتكاثر فيها الرموز والمعانى ، الأقرب الى الرموز الصوفية ، والتصوير الرمزى الدينى ، الذى تمتلىء كل مساحاته بثقافات عميقة متعددة التنوع ، لذلك يجد البعض صعوبة فى قراءة لوحاته، وخاصة اذا كانت نظرته غير واعيــة ودقيقة ، فيبدو أمام هــذه اللوحات كالحائر ، لأن مبدعها ارتقى بابداعه ونقله من حالة البصر الى عالم البصيرة، وتكون معطيــات هــذه النظــرة عميقــة ، وتحتــاج الى نوع من الرقى والشفافية ، حتى تكون قراءة هذه اللوحات صحيحة ٠

ومن هنا تكون صعوبة ادراك ما فى هذه اللوحات من معان ورموز ، وكمــا يقــول بليك : « ان مدركات الإنســان ليست مقيــدة باعضــاء الادراك ، فهو يدرك أكثر مما تستطيع حواســه أن تكتشف ، رغم أن ما يدركه يكون بالغ الدقة » ٠

وفى أثناء رحلتى فى البحث عن البصيرة تنقلت بين محطات الفن الكثيرة ، فتعدد العطاء ما بين الأسلوب الكلاسيكى القديم ، وعشت فيه فترة طويلة وارتشفت منه قطـرة قطـرة حتى استزدت ، واختزنت من الحضـارة الفرعونية حتى الاسـلامية ، وعشت ما بين سـطور التأثيرية والتعبيرية ، وعندما بدأت قفزتى نحو التجريدية التعبيرية ثم قفزت الى ما وراء التجريد ، هذا الأسلوب الجديد فى حياتى ، جعل البعض يتخوف من هـذا الأسـلوب ، ولكننى تذكرت قول « كنفوشـيوس » : « اذا ما أحسست بقلبى أننى مخطىء وجب على أن أقف خائفـا حتى لو كان خصمى أقل الناس قوة ، ولكننى لو أحسست بقلبى أننى على صواب فسأسير قدما حتى ولو كنت سأواجه آلافا أو عشرات الآلاف .. » .

ومن هنا كنت أتوقف وأستجلى غموض أعماقى ، وأسأل كما سأل « يانج شو » : « ما قيمة حياة الانسان ، وما هى المباهج التى فيها ؟ هل هى الجمال والثروة ، هل هى وقف على الصوت واللون ؟ ولكن يحل وقت لا يحقق فيه الجمال والثروة على الاطلاق متطلبات القلب ، وتصبح فيه تخمة الصوت واللون مجرد اجهاد للعيون وطنين فى الآذان !! » .

وبدأت أبتكر من خلال الفن ، وأحلم ، واتسعت دائرة هذا الحلم لأهـرب من التقليد ، الذى ما هو الا الغاء لشخصـية المقلد أو انتحـار لشخصيته كما يقول « الدكتور زكى نجيب محمود » : « غصت فى روح العالم ، بدأت أضيق بالجمود ، بحثت لنفسى عن مكان حتى وجدته ، أحاول أن أعمقه ، أتمكن منه ، « فمن الصعب أن نتوقع أى شىء من أناس يمتلئون من الطعام طوال اليوم ، فى حين أنهم لا يستعملون عقولهم فى أى سبيل على الاطلاق ، بل ان المقامرين يفعلون شيئا ، وفى هذه المرتبة هم خير من هؤلاء الكسالى » وهذا ما قاله « كنفوشيوس » بالنص ...

فكان لابد أن أتثقف ، لأعـرف ، وأحل كل هذه الطلاسـم التى تقلقنى ، وتكوينى بنارها ، **فمن ليس مثقفا فهو بهيمة ، ومن ليس مؤدبا فهو متوحش ..**

« وأن الرجال الأغنياء بدون ايمانهم هم أخطر على المجتمع الحديث من النساء الفقيرات بغير عفة » كما يقول « **برنارد شو** » ..

ولذلك كان ايمانى بالتحضر والتطرو ، والبحث عن ذلك فى كل مكان .. فكانت هذه النقلة الكبيرة فى حياتى .

هـذا ليس بفن

●● ...... العلاقة بين الفن التشكيلى والسينما والمسرح والتليفزيون ؟!

ـ كل الفنون فيها نوع من الاتصال ببعضها البعض ، على الأقل ، لان كل الفنون تنبع من وجدان الفنان لتصل الى وجدان الآخرين ، وطبيعة الوجدان تختلف عن طبيعة العقل البحت ، ولو أن كل عمل فنى يتطلب قدرا من الفكر أيضا ، ولكنه ليس بالقدر الكبير .

فالفن وجدان فى معظمه وعقل فى أقله ، بينما العلم عقل فى معظمه ووجدان فى أقله .

فمن البديهى أن السينما والفنون التشكيلية وغيرها كلها تخضع لقوانين فنية تنعكس من فن الى آخر ، ولابد أن تتحقق فى كل الفنون .

فالفن ليس بالأمر العابر فى الحياة . ولكنه فى صميم طبيعته يعيد تشكيل الحياة مرة أخرى وأخرى وأخرى .. وان لم يحدث هذا فى عالم السينما ، أى اعادة تناول المسائل والأشياء فى حياتنا هذه تناولا يخضع لقوانين الفن ، فلا يكون هناك فن حينئذ ، بل تكون هناك « كاميرا » على كتف شخص يديرها حينما يتجه ، فتلتقط تأثراته من هنا وهناك ، لا يمكن أن نطلق عليهـا فنـا على الاطلاق ، ونفس هـذا الكلام ينطبق على الفن التشكيلى أيضا .. !!

أين القيـم الفنيـة ؟

●● ..... وما نشاهده الآن فى السينما والتليفزيون والمسرح .... ينتمى الى فصيلة الفن أو لا ينتمى ؟!

ـ معظمه لا ينطبق عليه ما أقول ..

●● ..... والسبب ؟

ـ لسوء فهم معنى الصدق ، ومعنى الموضوعية ، ومعنى الواقعية ، فمفاهيم هذه الصفات الثلاث تغيب فى أحيان كثيرة عن المشتغلين بتلك الأمور أو على الأقل تشكل مفاهيم ساذجة عند البعض .

فليس الصدق فى الفن أن تعيد الظاهرة « الفلانية » بحذافيرها ، « بعبلها » .. بل الصدق الفنى أن تكون صادقا مع الفن قبل كل شىء ،

مع « القيم الفنية » والموضوعية ليس معناها أن أنقل الحالة أو الشيء من الحياة العابرة وأضعه فى اطار سينمائى ، أو فى لوحة على الاطلاق ، ولكن لابد أن أشكل هذا الشيء بحيث يستجيب الى بقية العمل الفنى استجابة حية لا تتكرر فى أوصافها وأشكالها فى كل عمل يعمله الفنان ٠

فعلى سبيل المثال كثيرا ما أرى بين الممثلين على يد المخرج لقطة فى عملية الارتباك أو التردد ، واذا فى كل موقف ارتباك وتردد لأى ممثل وأى مخرج ، هو بعينه ، التهتهه وتأكيد اللخمة فى اخراج الألفاظ وما الى ذلك ٠٠٠ وهـذا يتكرر على السنة وأشـكال كل الشخصيات أيا كان موقعها فى الموضوع ، هذا مجرد مثال ، ولكنه أصبح غير محتمل ٠٠ فكل فرد من الناس يختلف عن غيره ، وليس هناك اثنان يتشابهان فى كل شيء ، أى فى التعبير على الأقل ، ويمكن أن نتناول اللقطات نفسها من الناحية التشكيلية ، فالزوايا هى بعينها دائما ، والعدسات المقربة تعمل آليا فى يد المصور ، والمخرج يتخطى أهمية التناول الممتاز الجديد المبتكر ، واذا كان مخلصا أكثر فانه يركز على الموضوع بشكل عام ، أى موضوع القصة ، ولكن الفن السينمائى ليس مجرد قصة تسرد أو تمثل ، ولكنه تناول متكامل تدخل فيه عوامل كثيرة جدا تتطلب ادراكا واسـع الأفق ، ومتعدد الجوانب من قبل الذين يعملون فى هذا الميدان ٠

أقول ان هذه بعض مآخـذ ، ولكن هنـاك أمثـلة عالية من الفن السينمائى عندنا اخراجا وتمثيلا وديكورا ٠

. . . .

. . . .

شـعار التجـار

●● ٠٠٠٠٠ الجمهور يريد ذلك ٠٠ البعض يرددها بعنف وقسـوة واحتيال عن طريق الفن !؟

ـ نحن نسمع هـذه الجملة باسـتمرار ، وهى جملة خطـيرة كل الخطورة ، وسوف نحلل دلالتها فيما بعد وهى « الجمهور عاوز كده » ٠٠ كلمة « الجمهور عاوز كده » ، يمكن أن تكون شعار التجار ، وليسـت شعارا للفنانين الخلاقين ، فان أول واجبات الفنان أيا كان موقعه ، هو خلق المناخ الحضارى الثقافى فى البيئة التى يعيش فيها ، واذا قصر فى ذلك فسوف تكون مأساة التخلف الرهيب ٠

فالفنان الخلاق فى كل ميدان من ميادين الفن ، موسيقى ، عمارة ، مسرح ، سينما ، تصوير ، رقص ، نحت ، باليه ، قصة ، مقالة ، شعر .. الخ .

أقول ان الفنان الخلاق فى ميدان من تلك الميادين له صفة القيادة والقدوة والتعليم الذى ينضح به عمله .. ينضح بطاقة ايحائية نفاذة من العمل الفنى ، تشكل وجدانا مثقفا ومصقولا للمواطن الذى يتلقى تلك الأعمـــال .

فاذا سلك الفنان ما توحى به كلمة « الجمهور عاوز كده » فسوف يفقد الفنـــان الأصيل كل صـــفاته وفى هـــذه الحالة يحسن أن يعمـــل بالتجـــارة .. !!

الفن سمو .. الفن يبنى الحضارة ويعكس الحضارة .. الفن يوجد المناخ الحضارى الثقافى .. ذلك المناخ الذى يفرز العناصر الممتازة من المجتمع ، فى كل ميدان من ميادين الحياة المتحضرة .

●● ..... الفن لابد أن يدخل فى هيكله التجارة ، لأنه سلعة وفكر وتجـــارة ؟!

ـ حينما أقول تجارة ليس معناه أنى أحط من قدر التجارة ، بل التجارة أساسية فى كل حياة اجتماعية عبر التاريخ ، ولكنى أعنى التفنن فى وسائل الكسب المادى وسحق الناحية المعنوية المتحضرة .. المتصلة بالوجدان ، فحتى التجارة المتحضرة الآن تعمل على الارتفاع بمستوى الفرد وليس الوقوف عند مستوى معين لا تحيد عنه ... !!

فالجمهور دائما وأبدا له قابليات عظيمة ورائعة ، فهو دائما فى انتظار المثل الرفيعة والقيادات المخلصة المتحضرة ، ليسلك فى اتجاهه ويرتفع حضاريا بلا توقف فى ذلك المضمار .

وفى نفس الوقت فان الجمهور بفطـرته السليمة قادر على الحـكم الصحيح فى أحيـــان كثيرة ، فمثـــلا حينما ظهر مغنون فى عالم الغنـــاء والموسيقى فى الآونة الأخيرة ، وشعر الجمهور بمستواهم الهابط أخذ يعبر عن نفوره منهم وعدم رضاه ، وعاد يشيد بصوت مرتفع بالملكات العظيمة السابقة .

ويمكن مثـــل هذا القول فى ميادين أخرى من الفن ، أدب وشـــعر وما أشبه ، لأن هذه الفنون أقرب الى الجماهير منها الى الفنون الأخرى ، فنون القول يمكن للناس ادراكها قبل فنون الشكل والنغم .

تثقيف الحواس

●● ٠٠٠٠٠وعند الانتقال الى محطة أخرى من محطات النبش فى تكوينات العقل عند الرسام الكبير « صلاح طاهر » ٠٠ وعندما قلت له : جماليات الفن عندك تنبع من ٠٠٠ ؟

ـ غاص فى أعمـاقه ليتأمل ذاته ، تأمل العاشـق الذى صهر كل وجدانه فى ذرات الكون الفسيح ، سابحا فى خيالاته ، عاد كمن أضناه البحث عن شيء مفقود منه ، وارتد طرفه اليه قائلا :

ـ أكثر منبع للفن بالنسبة لى الموسيقى ، والموسيقى السيمفونية على وجه الخصوص ، فانها تحرك نفسى الى آفاق لا حدود لها ، وتخرج نفسى من حالة الركود الى حالة الحركة الفعالة ٠

بعد ذلك يحركنى فن العمـارة حينما يكون فنا حقا ، من العمـارة الفرعونية ، والعمارة الاسلامية ، والعمارة المعاصرة ، كذلك قراءاتى فى الأدب والشعر ومشاهداتى للباليه ٠٠ والى جانب ذلك فأنا مولع بالفلسفة وعلم النفس منذ مطلع شبابى ، فبرغم الجانب الفكرى الجاف فانها كثيرا ما تبعث فى نفسى هذه القراءات التى هى اعادات النظر فى مسائل كثيرة وأشكال عديدة من الحياة المتتالية ، تفسح لى المجال لابتكار عملية فنية جديدة دائما ٠

الى جانب هذا لى بعض القراءات فى ميدان التصوف ، قد أهدتنى الى نظرية يزداد ايمانى بها يوما بعد يوم فى عالم الفن ، وهى الوصول الى مرحلة البصيرة بعد أن مررنا بمرحلة البصر ٠

ان هـذه الفكرة صـوفية كانت أم فلسفية أم فطرية حياتية فكل هذا سواء ٠

يبدأ الفنان عادة باستعمال حواسه لادراك الحياة المحيطة به ، من أشكال وأشياء وحالات يستوعبها عن طريق الحواس الخمس ٠

وأقول دائما ان هذه المرحلة لابد أن نهتم بها اهتماما كبيرا بتثقيف الحواس ، فهنـاك حواس متثقفة مصقولة ، وهنـاك حواس غير متثقفة ولا مصقولة ولكنها تؤدى وظيفتها البدائية ٠

بعد مرحلة الادراك عن طريق الحواس ، وهى المرحلة الأولى ، والمدخل الأول للحياة الفنية السامية ، بعد ذلك وجب أن تفتح الآفاق «للبصيرة» ٠

بعـد مرحلة البصر ٠٠ بالبصر لا يمكنك أن تدرك ما وراء هـذه الجدران ، ولكن بالبصيرة يمكنك أن تتصور ماذا هناك فى المريخ ؟!

البصيرة هى القدرة على الاتصال بالعقل الكونى أو الوعى الكونى على الأصح أو القانون الذى يشمل الوجود ·· ذلك القانون هو المصدر الأكبر للفنان الخلاق المبدع فى كل ميدان من ميادين الفن ·

ومن أكبر الأمثلة التى يمكن أن يدركها القارىء بسهولة ، قانون الموسيقى الراقية فهو أن الموسيقى المؤلف قد استلهم القانون الكونى لوضع ألحانه الأخاذة العميقة التى تحرك النفوس فى أسمى مستوياتها ·

انا بطبيعتى متمرد

●● ····· التمرد من أجل البحث عن أشكال جديدة من خصائص الفنان المبدع المبتكر ، لأنه يصاب بالقلق المستمر من أجل الوصول الى الأفضل والأحسن والأعمق ، وهذا يخضع بالتحديد للتعاقبات والانتقالات الداخلية فى أعماق الفنان نفسه ، أو تكون هذه التعاقبات خارج نطاق النفس ويتحكم فى هذه التعاقبات والانتقالات ، الاتجاهات التاريخية التى تحكم حركة المجتمع ، فلماذا تمرد « صلاح طاهر » على الأسلوب الأكاديمى ، لأنه قرر الاستغناء عن الاعجاب الشعبى الى اعجاب المثقفين ، فكانت التعبيرية التجريدية التى لا تخدم المزاج العام للمجتمع ··· ؟!

ـ بطبيعتى أنا متمرد فى كل لحظة ، فى كل ثانية ، من أجل التطور، وهذا ليس عيبا ، ولكن لنحلل كلمة « شعبى » التى تشير الى كتلة من الجهل يعايشها صفوة المثقفين ، وهذا مفهوم يجب أن يصحح ، فليس بالضرورة أن يكون الاتجاه الشعبى هو الاتجاه المتصف بالجهل على الاطلاق ، لأنه من الممكن أن يكون المناخ العام فى بلد ما على مستوى رفيع عال ، بحيث يصل الأمر الى أن يكون عامة الناس الذى نطلق عليه « عامة الشعب » مستواها الثقافى أعلى من صفوة ومثقفى بلد آخر ·

فمثلا حينما نذهب الى النمسا مكان العباقرة من الموسيقيين « بيتهوفن » و « شوبان » و « شوبيرت » الى آخره ، نجد أن عامة الشعب هناك لها قدرة على تذوق الموسيقى الرفيعة بكل بساطة وعلى دراية بهؤلاء العباقرة الى جانب المستويات الأخرى من الشعب ، فهى أيضا تصل بادراكها الى مستوى استيعاب الموسيقى الرفيعة أيضا ··

وقد تكون الأمية فى مثل تلك البيئات معدومة والكل يقرأ ، وفى نفس الوقت لو ذهبنا الى بلد آخر متخلف حضاريا ·· ممن نسميهم بالعالم الثالث نجد أن استيعاب المسائل الفنية وغير الفنية لدى عامة الشعب

أصبح أمرا عسيرا ، وقد يصل الأمر بصفوة هذا المجتمع أن تكون أقل ادراكا للمنتجات الحضارية اذا ما قارناها بمستوى الشعب فى البلاد المتقدمة حضاريا ٠

فيخيل الى أن الأمر بالنسبة للفنانين وقادة الفكر والعلماء وأمثالهم ، أن يدرك كل منهم أنه يحمل رسالة فى عنقه نحو مواطنيه ، فيكون بمثابة القائد والمعلم والأب والأخ والابن لمواطنيه ، وبهذا يمكن ايجاد وخلق المناخ الفكرى والثقافى والحضارى المرتفع ، فى مثل تلك البيئات ، لأن وجود هذا المناخ الرفيع سيفرز عناصر رفيعة فيما بعد ، وسيمضى فى طريقه نحو التكامل الحضارى ٠

انها مهمة تتطلب يقظة مستمرة ونشاطا وممارسة ليس فيها هوادة من جميع أجهزة الاعلام والتعليم ٠

وأما الشق الثانى من السؤال ٠٠ فالأسلوب الأكاديمى يبدأ به معظم الفنانين فى العالم ، ولا أقول كلهم ، يكاد يكون اتجاها واجبا ، ولكنه أبعد ما يكون عن رسالة الفن بمعناه الصحيح ، فأول صفة من صفات الفن هى الابتكار ، ومعنى الابتكار هنا ، الابتكار فى التناول وليس فى الموضوع فقط ، فعدد لا يحصى من القصص الغرامية التى ألفها ألوف القصصيين لا تخرج عن قصة « روميو وجوليت » و « مجنون ليلى » و « كثير عزة » ولكن الذى يروعنا فى عالم فن القصة هو ابتكار التناول ، وهناك قول مشهور للكاتب الفرنسى « أناتول فرانس » حيث يقول :

« الفنان أو الرجل هو الأسلوب » فحينما لا يكون للفنان أسلوب ، فليس هو بفنان بعد ، وحينما يقلد الفنان فنانا آخر ، فقد ألغيت شخصية المقلد وانمحى ، فأنا حينما بدأت حياتى الفنية فى مرحلة الدراسة وما بعدها كان أسلوبى أكاديميا ، وقطعت شوطا كبيرا فى هذا الاتجاه قرابة ١٥ عاما ، لم أكن راضيا عن نفسى خلالها ، لأنه كان يمكن لأى شخص غيرى أن يضع امضاءه على اللوحة وينتهى الأمر ، ولكن العمل الفنى الصحيح الحقيقى ، هو الذى تعرفه فورا بمشخصاته المميزة الخاصة ، وكلما كان العمل قد دخل فى مرحلة ابتكار أكثر كانت له قيمة فنية أكثر ، لأنه قد يكون الابتكار محدودا جدا ، وقد يكون الابتكار بالغ الارتفاع ولم يسبق اليه أبدا ، وهو أكبر هدف يحلم به الفنان الحقيقى ٠

فأنا لم أكن مقتنعا على الاطلاق بمجرد أنى أجيد صناعة الفن فقط، وهى المرحلة الأكاديمية فقد جودتها وجودتها ، ولكن ماذا بعد ذلك ؟ ٠٠ أين أنا ؟ أين الهدف الكبير ، والقيم الكبيرة التى يحتويها الابتكار الصحيح ؟

من أجل هذا حدثت الثورة العنيفة على نفسى ومع نفسى ، فانتقلت فى يوم واحد وليس بالتدريج من الاتجاه الأكاديمى المعروف ـ الذى يسهل على كل مشاهد أن يعرف محتوياته ـ الى النزعة التجريدية ، التى تتطلب ادراكا من نوع آخر سنده الثقافة الفنية .

وقد أعاننى على ذلك حبى الكبير للموسيقى الرفيعة «السيمفونى» الى جانب حبى للموسيقى الشرقية أيضا ٠٠ وأرانى الى الآن تحكم أعمالى الفنية الموسيقى بمعناها العميق سواء من ناحية الصنعة أو الحس الفنى .

التحولات فى حيــاتى

●● ٠٠٠٠٠ التحولات الاجتمــاعية وأثرها على رؤى الفنان ، وأيضــا التناقضات الاجتماعية تكون أحد الدوافع الى هروب الفنان ، والبحث عن أساليب غريبة على روح المجتمع ، وبالطبع يكون مرجعه الى حجم القيــود والسلاسل ، التى تقيد نظرة الفنـــان وحريته فى الفكر والتعبير ، ومن هنا يحاول الفنان أن يصطنع لنفسه عالما متميزا ، لا يقترب منه الا القلة المدركة الواعية مثله ، أو القلة المتمردة مثله من أجل واقع أفضل ؟

ـ لقد عانيت الكثير فى اكتشاف نفسى ، فمعظم البيئة التى كانت تحيط بى لم تستسغ ذلك ، ولكن لم يثبط ذلك من عزمى واستمرارى ٠٠ غير أنى أنا نفسى بعد حوالى ســنة أو ســنة ونصف لم أكن قانعا بالذى حدث ، فحدث تطور آخر وثورة أخرى على ما أعمله ، وعدت مرة أخرى للطبيعة وللأشخاص ، أتناولها كعناصر للوحاتى ٠٠ ولكن ليس بالأسلوب القديم اطلاقا ، بل حدث انقلاب أساسى فى الأسلوب نفسه ، فلا هو تجريد بحت ، ولا هو تشخيص بحت ٠٠ وأيضا بعد حوالى سنة أخرى لم أقتنع بما حدث فى هذه المرة الأخرى ، بل حدثت ولادة جديدة لأسلوبى، الذى أخذ يتبلور ويتبلور حتى وصل بى الى ما أنا عليه الآن ٠٠ فأحيانا يكون تجريدا بحتا ٠٠ موسيقى بحتة ، وأحيانا تجريديا تعبيريا ٠٠ وأحيانا أخرى عنصر الطبيعة يغلب عليه ، ولكن فى كل الأحوال « هو أسلوبى أنا » ٠٠ وتسانده الموسيقى باستمرار فى كل حالاتى ٠ ولا يمكن اغفال أثر الحيــاة الثقافية التى أعيشــها والقراءات المستمرة فى مختلف آفاق الثقافة والمعرفة ٠٠ الأمر الذى أعاننى على تلك الثورات الفنية ٠٠ وحقيقة الأمر أن هذه الثورات الفنية تحركنى من وقت لآخر ، ولم تدعنى فى حالة هدوء فمنذ شهر تقريبا قد انتهيت من عملية فنية جديدة ، ولم يسبق اليها لا منى ولا من غيرى « مع التواضــع » والغريب فى الأمــر أنى لم أكن أنا

الثائر ، بل كان العمل نفسه هو الذى يثور على ويحركنى ، بحيث لم يدع لى أى وقت أو أى نشاط آخر أنفقه فيما عداه الى أن آكد وجوده بالتمام والكمال ، والحقيقة أن كلمة التمام والكمال يجب أن تمحى ، لأن لا شىء فى هذا الوجود قد بلغ التمام والكمال ، فقانون التطور لن يتوقف لحظة والى الأبد ٠

انه قانون هدفه الأحسن والأفضل ، ويجب هنا أن نتدارك أيضا ونفسر هذه الكلمة على نطاق واضح ، فقد يحدث التطور نحو الأسوأ فيدهشنا الأمر ونقول : كيف ؟ ولكن هذا التطور نحو الأسوأ ما هو الا خطوة أو خطوات من الحياة لنتحرك نحو الأفضل ، بعد تجربة من الأسوأ تفيد أبناء الحياة ٠٠ انه قانون الفعل ورد الفعل ٠٠ الحياة تجرب دائما ، ثم تتمسك بالأفضل بعد ذلك ٠٠ ينطبق هذا على الشعوب والحضارات ، كما ينطبق على الأشخاص والفن والعلم والفنانين والساسة والعلماء ٠

ان الحضارة بمعناها المتكامل من أجل أن تقف برسوخ عبر التاريخ يجب أن تمر بمراحل صعود وهبوط الى أن تستقر وتؤكد ذاتها بكل ثقة وقوة وسعادة ٠

الركود الثقافى

●● ٠٠٠٠٠ ولكى تكون الخطوات صحيحة ، لابد أن نقترب من نقطة تماس الثقافة ، فهى المحور والمحرك الأساسى لكل تطور وتحضر ، وهى طوق النجاة أمام الأمواج العاتية التى تحاول أن تمزق أشرعة قلاعنا ، واذا كان « كلود ليفي شتراوس » قد ذهب فى كتابه « الأسطورة والمعنى » مذهبا يتسم بالحدة والصرامة نحو كيفية الثقافة وقال : « ولكى تكون الثقافة هى ذاتها حقا ، ولكى تنتج شيئا ما ، لابد للثقافة وأبنائها من التمسك بيقين أصالتها وبتفوقهم على الآخرين بدرجة ما ، ويمكن للثقافة أن تنتج كل شىء فى ظل شروط الحد الأدنى من الاتصال ٠ نحن الآن مهددون باحتمال تحولنا الى مجرد مستهلكين ، قادرين على استهلاك أى شىء من أية نقطة فى العالم ومن أية ثقافة ، والثمن دائما فقداننا لأصالتنا بأكملها » ٠

وحيث أن الفنان « صلاح طاهر » عاش ثقافة جيل العمالقة ، وعاش أيضا عصر التحلل من الثقافة والانحدار نحو هاوية الجهل والضمور ٠

فهل الثورة حقيقة لم تنتج ثقافة وانما عاشت على ثقافة الأربعينات ، وأن الديكتاتورية حالت دون تواصل الأجيال ، وحالت دون التطور الثقافى ؟!

ـ أولا : لست أدرى ما هى حدود فهم الذين ينادون بالأصالة والعودة الى التراث ، وكيف يمكن تطبيق كلمة الأصالة ، وأيضا الذين ينادون بالمعاصرة وينسلخون من جلودهم ، فلا هذا على صواب ولا ذاك ، وانما يجب على الذين يثيرون هذه القضية الآن ألا يقفوا أمام الأسباب طويلا ، ولكن لابد من ادراك النتائج وكيفية تحقيقها ؟ وهل تخدم المجتمع وتدفع به الى الأمام أو تجعله فى دائرة مغلقة تكتم أنفاسه •

فالفكر فى العالم انسانى ، وكلما اقترب الانسان من الانسانية كلما كان أكثر ثقافة وتطورا •

وأما عن معاصرتى لثقافات مختلفة ، كل هذا واضح ، وقد عايشنا هذه الفترة ، ما قبلها وما بعدها ، فكان هناك مناخ خاص يحتوى الشعب المصرى كله فى أثناء الثورة ، لم تكن للحياة الفكرية فيه قابليات جديدة ، فكان ذلك المناخ حينما يتوق للثقافة فكان يجتر ثقافة ما قبل الثورة ، فالناس والحكومة كلهم مشغولون بأشياء كثيرة ما عدا الانشغال بالثقافة المتطورة ، حتى ان كثيرين منا شعروا بحالة ركود فيها ، حتى أن الجيل نفسه الذى كان يعايش تلك الفترة قد ألف ذلك الركود الثقافى •• حتى عمليات التفكير والاستيعاب والنزوع الى اعادة النظر فى أى شىء كلها قد توقفت ، فالانتقال من حالة ما قبل الثورة الى حالة الثورة ، كان انتقالا كبيرا جدا وغريبا على الناس بوجه عام ، حتى اقتضى الأمر فترات طويلة من أجل أن يستوعبوا ويدركوا أهدافهم •

لكن بطبيعة الحال لا يمكن للعناصر المفكرة وبرغم قلتها أن تتوقف عن التفكير ، فقد كان هناك قادة فكر عظام ، ولكنهم لم يولدوا فى الثورة ، بل سبقوها ببضعة أجيال واستمر عطاؤهم الثقافى خلالها •

ومن العسير أن نجد عذرا لذلك ، فقد كان « ديجول » رجل حرب وسياسة ورجل دولة على أعلى المستويات ، ومع ذلك أعطى قيادة الثقافة الى « مالرو » أكبر مفكرى فرنسا وكان الرجل الثانى يضعه على يمينه •

من أجل هذا حينما نبحث عما تصدره فرنسا الى العالم الى جانب الصناعة والتجارة الى آخره ، فهى أكبر دول العالم المصدرة للثقافة •• ومكانتها الثقافية موضع اعتبار العالم كله •• وواقع الأمر أن معيار

التقدم الحضارى فى أى دولة فى العالم عبر التاريخ ، هو بحجم المناخ الثقافى الفكرى العام ومستواه ونوعه فى تلك البلاد المتحضرة ٠

فحينما ينكمش المناخ الثقافى فى بيئة ما ، تنكمش فورا السمات الحضارية والعكس صحيح ٠

السياسة والفن

●● ٠٠٠٠٠ ما هى العـلاقة بين الفن التشكيلى والسياسة ، وأيهما أكثر تأثيرا وتغييرا فى المجتمع وفى الرأى العـام ؟ وهل العلاقة بين الفن والحضارة بفروعها المختلفة علاقة ارتبـاط أم عـلاقة تغـاير ؟

ـ السياسة تتفاعل مع الثقافة والفن ، والفن يتفاعل مع السياسة، وكلاهما يؤثر فى الآخر ٠٠ ومن أجل هذا نقول : ان المثقف والفنان يمكن أن نطلق عليهما أصحاب رسالة ، وهذه الرسالة تجشم صاحبها الكثير من المشاق فى تأكيد وايجاد المناخ الحضارى والثقافى الذى نشير اليه دائما ، اذ بدون هذا المناخ الثقافى والحضارى ، الحياة السياسية سوف تتعثر ، وسوف يكون التفاعل والتعامل بين كل فريق وآخر يعوزه آنذاك الاتساق والادراك والوعى المتكامل ٠

ولسنا فى حاجة الى أن نقول ان الثقافة ليست ترفا ، وأن الفن ليس تسلية ٠ فالفن والثقافة ، « ويجب أن نقول ان الفن ثقافة أصلا » لا يمكن أن ننتزعهما من سياق الحياة المتحضرة على الاطلاق ٠

والأمر الآن بالغ الوضوح ٠٠ فلا حياة ولا مجتمع ولا حضارة بدون سياسة وبدون ثقافة فى نفس الوقت ٠٠ ويمكننا بكل بساطة أن نتخيل دولة ما أسقطت من حسابها الثقافة والفن ، ماذا يبقى لها ؟!

صحيح أن الفن يجب أن يدعم فى ظل سياسى رشيد على درجة كبيرة من الوعى ، معترف بقيمة الانسان ، وبقيمة المواطن ، وبقيمة الفرد ، من أجل أن يشعر الفنان والمثقف بحريتهما الكاملة ، وفى الحياة التى يحياها داخل هذا الوطن ، والا اضطر الفنان تحت الضغط غير الواعى أن يزيف حياته ويزيف فنه من أجل البقاء ٠

وقد حدث مثل ذلك فى التاريخ القديم والحديث ٠٠ وكم يعرض علينا التاريخ أمثلة بالغة الروعة من علاقات حميمة جدا بين حكام الشعوب أو ملوكهم بعبقريات فنية أو فكرية فذة عبر التاريخ ٠٠ فقد كانت هناك

صداقة حميمة بين « فلاسكر » و « فيليب الخامس » فى « أسبانيا » لدرجة أنه أقام له مرسما فى القصر خاصا به ٠

وهناك أمثلة أخرى كثيرة فى الوقت الحاضر من هذا القبيل ، « فرنسيس بيكون » وصلته بالملكة « فيكتوريا » و « مالرو بديجول » ٠٠ وهكذا الكثير من الأمثلة عبر التاريخ ، فهى ليست مجرد مصادفة ولكنها ذات قيمة دلالية كبيرة من الناحية الحضارية ٠

أمية العين

●● ٠٠٠٠٠٠ يقول مخرج ايطالى « اللون يساعدنا على أن نرى العالم بعيوننا نحن ، ويسمح لنا بأن نغير من طريقة تفكيرنا » ٠

ما رأيك فى هذا ، وما هى الأسباب التى أدت الى « أمية العين » عندنا وكيف يمكن التغلب عليها ؟

- مما لا شك فيه أن هناك صلة وثيقة جدا بين الألوان وحالة الانسان والحيوان الصحية جسديا ونفسيا ، وهناك بحوث مستفيضة عملت فى ذلك المضمار وانتهت الى أساليب حديثة فى علاج الكثير من الأمراض ٠

فاللون مع ألوان أخرى الى جانبه هو أقرب ما يكون نغمة الى جوار نغمات أخرى موسيقية ٠ فنحن نعرف تماما كيف أن الاذن البشرية تنزعج كل الانزعاج الذى قد يخرج الشخص عن وعيه ، اذا ما سيطرت عليه نغمات متنافرة مزعجة ، قد تصل به الى حالة الجنون أو المرض ٠

الأمر هو بعينه بالنسبة للألوان ، وان شئت الدقة لجميع الحواس الأخرى ، حاسة اللمس والذوق والشم الى جانب السمع والبصر ، الحواس الخمس هى المدخل الى الادراك ، وهى الخطوات الأولى التى تحرك النفس الانسانية والفكر الانسانى ، من أجل الخطوات الأهم بعد ذلك التى تصل وتتصل بالبصيرة بعد ذلك ٠

فالبصيرة هى أسمى مايمكن أن يتصف به انسان فى حياته ، البصيرة ذات السمو الرفيع ٠٠ ولكن كما أشرنا الوصول الى درجات السمو الرفيعة حتى نصل الى البصيرة ، المدخل اليها الحواس الخمس ، وحينما تدخل المادة المشوهة عن طريق الحواس فانها تفسد الكيان الانسانى كله ٠

فمشكلة الحواس ورسالتها أن الحاسة عادة تتطبع بما الفته بعد

فترة قصيرة من الزمن ، فاذا ما وقع نظر شخص ما على قبح دائما فى غدوه ورواحه ، سوف يألف هذا القبح مع مرور الأيام القليلة ، ولا يثور عليه بعد ذلك ٠٠ !!

وحينما تتسرب الى خياشيم انسان ما رائحة كريهة فسوف تنشل حاسة الشم بعد عشر دقائق وتألف تلك الرائحة ٠٠ انها الكارثة الخطيرة بالنسبة لبيئة ما ، اذا ما أصيبت بذلك النوع من التراكمات التى تؤذى الحواس ، سوف تعوق أى خطوات فكرية وفنية وحضارية حتى تزال تماما ويتفق أهل الحى أو المجتمع على احلال الجمال محل القبح ٠

ولقد سمعت من صديق لى عاش سبع سنوات فى « طوكيو » وكان يسكن فى حى جميل بسيط ونظيف الا أن فى مدخل الشارع الذى يسكن فيه شجرة موضعها ليس بالجميل ، فكانت تزعج عيون الناس فى ذلك الموضع ، واذا بسكان ذلك الحى يتفقون مع بعضهم البعض على أسلوب ازالة هذه الشجرة القبيحة ، وما الذى يمكن وضعه فى مكانها ، نفذوا ما اتفقوا عليه وأصبح المكان بالغ الجمال ، والراحة النفسية لمن يشاهده ٠

الموسيقى حياة

●● ٠٠٠٠٠٠ اذا كانت الموسيقى تمثل جانبا حيا وحيويا فى حياتك ، فما هو تقييمك للموسيقى العربية والغناء العربى ؟!

ـ كل انسان له قابليات متعددة من حيث تلقى أنواع وألوان مختلفة المذاق من الفنون ، وخاصة الموسيقى ، فانا أحيانا أتشوق لسماع موال من فلاح تحت شجرة فى الطريق الزراعى ، أو فى الحقل ، قد يكون هذا مرة فى السنة ، كما اشتاق مرة أخرى للاستماع الى « أم كلثوم » و « زكريا أحمد » ومرة أخرى أحب أن أستمع الى « صالح عبد الحى » ، ولكن باقى المرات أحب أن أستمع الى « بتهوفن » و « شوبان » و « تشايكوفسكى » و « رحمانينوف » و « فاجنر » و « خاشادوريان » فهذه الأنواع من الموسيقى ، وهذا اللون من الموسيقى السيمفونى له مفعول ساحر فى نفسى الى أبعد الحدود ٠

وحينما ذكرت تلك الأسماء ، ليست وحدها بل هناك الكثير من عباقرة الموسيقى أحب الاستماع لأعمالهم بلا انقطاع ، ولقد أثر ذلك فى فنى الى أبعد الحدود ، حتى انى الآن شرعت فى تصوير سيمفونيات

لونية وخطية وشكلية من أعماق نفسى ، مما يشعرنى براحة كبيرة بعد ذلك ، وأتمنى أن يحدث تطورا فى موسيقانا نحو المستويات الموسيقية ذات القيم الرفيعة ·

فموسيقانا لها وقع لطيف فى نفسى ، وكما ذكرت أحب أن أستمع اليها من وقت الى آخر ، ولكنها لاتخرج عن نطاق الطرب ، وكثيرا ما تدور حول الأسى واللوعة والحزن ·· فالحياة ليست كلها لوعة وأسى وحزن ، ولكنى أخشى الافتعال فى عملية التطور ، فيخيل الى أن المسألة تتطلب عبقريات فذة ، من أجل أن ننتقل بمناخنا الموسيقى من الطرب والحزن الى آفاق أوسع وأعلى وأكثر ثراء ، وقد سمعت مناقشات كثيرة حول هذا التطوير وقرأت عنها ، وكثيرا ما قيل ان مشكلة « الربع تون » هى عقدة صعبة فى الموضوع وهم يبحثون لها عن حلول ·

ونحن نعرف بداهة أثر الموسيقى فى الشعوب ، فكلما ارتفعت القيم الموسيقية الى أعلى ارتفع معها الشعب بكل فئاته ·· شأنها شأن باقى الحياة الفكرية والثقافية والفنية الى آخره ·

حرية الفنـــان

●● ······ متى تبدأ حرية الفنان وعند أى نقطة تتقاص هذه الحرية ؟!

ـ النقطة لها جانبان ، جانب خاص بالفنان نفسه حينما « يلفع » نفسه بأفكار محدودة ، بحيث انه يفقد مرونة التفكير والتصور والتخيل ، ويتجمد فكره وينصب فى قالب معين ، فهنا وصل الى استعباد نفســـه أو نفسه استعبدته ·· تتقلص حريته عندئذ من غير أن يعى أنها تتقلص ولا يقوى على العطاء ولا مسايرة الحياة المتطورة ولا يستطيع الاتصـــال بروح العصر الذى يعيش فيه ، بعد أن كان صاحب عطاء كبير فى مرحلة من المراحل التى مضت به ·

أما الجانب الآخر فيكون من ضـــغط البيئة التى يعيش فيها والتى تفرز ألوانا من النقد والنقاد من شأنهما تكبيل خيال وقدرات وتطورات الفنان ، والالحاح عليه بنوع معين أو اتجاه معين أو مواصفات معينة لعمله الفنى ، هنا يمكن أن يفقد كل ذاته فنيا بالمعنى الحقيقى العميق الصحيح حينما يرضخ لتلك الضغوط ، وقد تكون تلك الضغوط سببها الأساسى هو الناحية المادية أو بعبارة أصح أنه يريد أن يجد رزقه من خلال انتاجه ، فينتج النوع الذى يطلبه المستهلك أو المتلقى ·

« بيكاسو » حينما هاجر الى « باريس » وكان فى سن التاسعة عشرة من عمره وبدا يفرز ابتكاراته الفذة ، فقد هوجم بعنف من نقاد كثيرين ، وحوصر فنه وتقريبا جاع لمدة ٥ سنوات حتى أكد اتجاهه الفنى المشهور الذى غير شكل العالم كله من عمارة وموسيقى ومسرح وأدب وشعر ونحت الى آخره .

فهل كل الفنانين أصحاب الرسالات الكبيرة مثل « بيكاسو » ؟!

وهل يمكن لجمهور المتذوقين والمتلقين للفن أن يدركوا ما تمليه البصيرة على الفنان وليس البصر .. ومع ذلك فان حرية الفنان بالغة الأهمية ولا يمكن لرسالة الفن أن تحقق ذاتها فى جو من القسر وغياب حرية الفرد .

ولكن لابد أن نذكر هنا أنه ليس هناك حرية مطلقة بلا حدود ، فاذا ما كانت رسالة الفنان أن يهدم أخلاقيات مجتمع ما بفنه فتكون هنا المغالطة لاستعمال الحرية ولابد من حدها فورا ، وعلى العموم هذه مسألة يندر أن تحدث مع الفنانين فى أى مكان من العالم .

الابتكار هو أساس كل فن ، ويتطلب الابتكار مناخا حرا طليقا للمبتكر .. صحيح أن كل جديد يقاوم ويحارب الى أن يصبح قديما وهكذا ، ولكن الفنان صاحب رسالة على علم بتلك المسألة تماما ، فاصراره على تحقيق رسالته تدفعه الى أن يخوض مغامرات متعبة أحيانا .

الهجوم على العقاد

●● ...... وفى النهاية ما رأيك فى « موضة » الهجوم على عملاق الفكر العربى « عباس محمود العقاد » ومحاولة حجب دوره الثقافى والاسلامى . وهدم كل انتاجه .. ولم كل هذا العداء ؟!

ـ العقاد عبقرية متعددة الجوانب .. شامخة البناء الفكرى والفلسفى .. كان العظماء فى زمنه بجانبه أقزاما .. لأنه كان يشع عليهم ، فتجد أن غزارة علمه كانت تبتلع أمامها كل شىء ، وهؤلاء الذين يهاجمونه بعد موته ، لم يستطع أى نفر منهم أن يفتح فمه فى حياته ، ولا أستطيع أن أقول لهؤلاء الا كما كان يحب دائما أن يصفهم أنهم « يقتصون لحقارتهم » .

ابراهيم الابيــارى

هل ألف ليلة وليلة « قلة أدب ... ؟!

بين الحين والحين تتفجر قضايا التراث الموروث ·· يخرج البعض حاملا سيف الجلاد « مسرور » لينقض على هذا التراث ، اما بالاتهام بأنه كتاب كفر والحاد وزندقة ويجب اقامة الحد عليه ·· كما حدث مع كتاب « الفتوحات المكية » ، « لمحيي الدين بن عربى » ·· واما بالحرق أو المصادرة أو السجن ·· فى مثل كتاب « ألف ليلة وليلة » لأنه كتاب يخدش الحياء ·· !!

ومن هنا كان لابد أن تتوالى الأسئلة حائرة باحثة عن اجابة صادقة ·· هذه الكتب قرأها أو على الأقل عرفها رجال أفاضل من علماء الدين على امتداد الألف عام أو يزيد ·· يوم أن كان للأزهر ورجالاته سطوتهم وقوتهم الروحية والدينية قبل التأميم ·· وكان رجالاته لا يخشون فى الحق لومة لائم ·· وأن قوة الشريعة السماوية فى ذلك الوقت فوق قوة التشريع الوضعى ·· فلماذا صمتوا ؟ وهم الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة الا قالوا فيها رأيا جازما قاطعا ·· أو أفتوا بفتوى أمضى من حد السيف ·· !!

فهل التدهور الثقافى والعقم الفكرى عن ابداع شيء جديد الآن ·· هو الذى ولد هذا الصراع الخفى تجاه التراث ، وأدى الى تداعى الأشياء وتسليط معاول الهدم للقديم ، الذى على الأقل تعرفنا من خلاله الأمم الأخرى ــ ونستطيع من خلاله أن نرفع أعيننا أمامهم ويعلو صوتنا فى الحوار معهم ــ بعد أن ترجم الى كل اللغات الحية ؟

والسؤال المهم جدا ·· هل ألف ليلة وليلة أدب اباحى ؟ ولماذا الفت أصلا ؟ وهل نستطيع أن نسلب هذا الكتاب حقه فى الحياة ، بعد أن

لم يعد ملكا لنا وحدنا ، لأن ألف ليلة وليلة أصبحت ملكية عالمية ؟ أى كتاب عالمى لايمكن وقف تأثيره عند حدود مكان بعينه أو زمان بعينه أو جنس بعينه .. !!

وهل عندنا مفهوم واضح ومحدد للفرق بين الأدب الذى يصور الواقع ويعريه بكل محتوياته .. وبين الاباحية التى كتبت فى عمل أدبى المقصود به أصلا اثارة الغرائز والشهوات فى النفوس وتدعو الى الفجور والتفسخ لقيم المجتمع وتدميرها ؟

وهل هناك تلاعب من الناشرين فى تزوير كتب التراث ؟ ومن الذى له الحق فى التأكيد على أن هذا التراث قد زور ؟ وكيف نتعامل مع هذا التراث ؟ وما هى حدود الرقابة والقانون على ذلك ؟

وحتى لا نتهم بأننا نتدخل فى قضية مصادرة قانونية . لايجوز الخوض فيها قبل أن يصدر القضاء العادل حكمه .. قررت أن استعرض بعض القضايا التى نوقشت فى الغرب فى مثل هذه الأمور .. التى وردت فى كتاب عن « تاريخ الاباحية فى الأدب » المؤلف باللغة الانجليزية ، والذى نشر فى لندن فى منتصف الستينات ، تأليف « مونتجمرى هايد » أحد الشهود فى وقائع قضايا الأدب الاباحى ، وأيضا بدراسة « لسيمون دى بوفوار » . عنوانها « هل يجب أن نحرق ساد » ونشرتها فى عددى ديسمبر ١٩٥١ ويناير ١٩٥٢ فى مجلة « الأزمنة الحديثة » .. وقرأت أيضا ما كتب عن كتاب « فن الهوى » ، « لأوفيد » ترجمة الدكتور « ثروت عكاشة » .. وعن « محاكمة مدام بوفارى » ، « لجوستاف فلوبير » ترجمة الدكتور « محمد مندور » .. ولم أتوقف عند هذا الحد ، فحاولت أن أربط المواقف ببعضها حتى لا تبدو الصورة مشوشة أو ناقصة ، فكان لابد أن نستعرض رأى أستاذنا « العقاد » فى هذا .. وأن نأخذ رأى أحد كبار المحققين لتراثنا العربى الأستاذ « ابراهيم الابيارى » .

ومهما تختلف الآراء أو تتفق الا اننا نحاول أن نضبط الايقاع بتقديم ما قيل فى هذا الموضوع .. وليس معنى هذا أننا نؤيد الخروج على القيم أو أن تشاع الفاحشة ... أو أن يتخذ بعض المتاجرين بسوقية الموضوعات وخلاعة الأوصاف والابتذال فرصة للكسب والحصول على مغانم زائلة بترويجهم مثل هذه الاباحيات .. لكن ما نبغيه أن نضع الأمور فى مواضعها الصحيحة .. وكيف نتعامل مع التراث ؟ وكيف يكون هناك انطلاقة من الأصالة الى المعاصرة ؟

ومتى نستطيع أن نقف في شموخ عندما نحقق أن التعصير من التأصيل ؟ عند ذلك يكون المزيد من الرقى والتقدم ٠٠ فمن ليس له ماض ٠٠ ليس له حاضر ٠٠ !!

وحتى لا تكون هناك شبهة أو مظنة أو اتهام لنا بالتحريض على قلة الأدب ، نقول نريدها أدبية خالصة لوجه « الله » ٠

فلنستعرض ما تم مع الأدب الاباحى فى المحاكم فى الغرب ٠٠ فماذا حدث مع « أوفيد » مؤلف كتاب « فن الهوى » ٠

ما الذى يخدش الحياء

يقول الدكتور « ثروت عكاشة » :

« لا شك أن القارىء سيجد للوهلة الأولى أن الكتاب حافل بالمجون والخلاعة ، وأن مؤلفه يعالج الحب كطرفة من طرف الحياة ومتعة من متعها ، وأن ذلك الحب ينشده المؤلف ليس ذلك القدر المحتوم الذى يجرى فى التراجيديات الاغريقية ، ولا ذلك الهوى المشبوب فى رومانتيكيات القرن التاسع عشر ، الذى يستشهد العاشق فى سبيله اذا لم يصل به الى حافة الخبل والجنون ، ولا ذلك الحب الصوفى الذى يدله فيه المرء ويوله حتى ينفصل عن العالم المادى ويرقى الى عالم الروحانية المتبتلة لا ينال جسده فيه متعة ، وانما الحب الحسى الغارق فى اللهو وملذات الجسد ٠

بل سيرى القارىء أن أوفيد لايتحرج من أن يعلن أنه لا يكتب عن الهام « أبوللو » اله الشعر ولا من ربات الفنون ، بل بوحى « فينوس » الهة الهوى والمتعة ٠ لقد اختارته هذه الربة الخليعة وصيا على ابنها « ايروس » « كيوبيد » وأستاذا خاصا به ٠

وقد دفع « أوفيد » ثمن ذلك حين أخرج على الناس كتابه « فن الهوى » فقد وجد فيه الامبراطور مبررا لنفيه الى مدينة « توميس » المهجورة على شاطىء البحر الأسود بعيدا عن أهله وأصدقائه ومنتديات الفكر والأدب ٠ اذ زعم أن هذا الكتاب دعوة اباحية ، ومن ثم أمر بحرق كل نسخه ٠

لكن هل اندثر الكتاب بعد أن احترق واختفى من الوجود أم أنه استمر وعجز رجال الدين عن مقاومة سطوته وتأثيره ٠

يواصل الدكتور « ثروت عكاشة » فى ترجمته قائلا :

ـ ليس بغريب اذن أن يكون « أوفيد » قد انتزع اعجـاب الكثرة من علماء العصـور الوسطى وتقـديرهم ، لاهتمـامهم بالتراث اليونانى واللاتينى ، فكان القديس « ازيدور الاشبيلى » (٥٧٠ ـ ٦٣٦ م تقريبا) ، صاحب كتاب « مشاهير الرجال » والذى يعد من أهم المراجع فى دراسة « تاريخ القرون الوسطى » ، يحذر من مطالعة شعر « أوفيد » لما فيه من مجون ، ولكنه مع ذلك لم يستطع مقاومة تيار الولع به فى عصره ، بل لقد ذكره هو نفسه فى كتبه أكثر من عشرين مرة مقتبسا من شعره .

واتخذ القديس العلامة « فولجينتيوس » ، (٤٦٨ ـ ٥٣٣ م) من كتابى « مسخ الكائنـات » و « فن الهوى » أساسـا للقصص الرمزية الأخلاقية التى دونها فى كتابه « الأساطير » .. أما العلماء الذين أحاطوا بالامبراطور « شارلمانى » فكانوا يتدربون على كتابة أشعار لاتينية تحاكى شعر « أوفيد » .. بل لقد أصبح « أوفيد » لهم مثـلا يحتـذى فى نظم الشعر وفى اختيار موضوعات الشعر نفسها ، وكان نتيجة ذلك أن وجد بعد ما يسمى « بالعصر الأوفيدى » .

وقال العلامة الانجليزى « ك . س . لويس » فى كتابه « قصة الحب الرمزية » . ان شعر العصور الوسطى كان على نهج « أوفيد » وقد أسىء فهمه اذ أخذوا دعاباته على محمل الجد .

وتفسير ذلك من الوجهة التاريخية فى رأى الأستاذ « لويس » ، يرجع الى أن نظرة المجتمعات المسيحية فى أوربا بعد سقوط الحضارات الوثنية الرومانية والبربرية الجرمانية ، لم تغير كثيرا من مفهـوم الناس للحب ، فكان الزواج لايزال رهن اعتبارات غير عاطفية تسيطر عليهـا عوامل المصلحة ، والتحالف بين الأسر ، والتيارات السياسية ، فى حين انحصرت عاطفة الحب فى نوعين :

أولهما : دينى تصوفى ينتظم الضراعات للعذراء مريم .

وثانيهما : ما سمى فى لغة الشعراء الجرمان فى العصور الوسطى « بخدمة السيدة » أى الخدمة العاطفية العذرية لزوجة السيد الاقطاعى الذى يعد حاميا عسكريا للمنطقة التى بها قصره » .

وفى أواخر القرن الثانى عشر ، دون الشـاعر الفرنسى « أندرياس كابيلانوس » كتابا باللاتينية اسمه « كتب ثلاثة عن الحب » وضـع فيه بطريقة منهجية كل القواعد والنصائح التى أوردها « أوفيد » فى كتابه ، ولكن بقصد تطبيقها على مواقف الحب الرفيع ، ورغم ذلك فقد ثار الرأى العام المتزمت ، واعتبر هذا التحوير امتدادا للاباحيـة التى وردت فى

« فن الهوى » ومع ذلك كله لم تنحسر موجة انتشار كتاب « أوفيد » ، فاضطر رجال الكنيسة أن يرتضوا ما جاء فيه بعد أن أولوه ، فكتب أحد القسس كتابا باللغة الفرنسية القديمة سماه « أوفيد معالجا معالجة أخلاقية » ، (١٣٠٠م) حول فيه مواقف « فن الهوى » الى مواقف دينية أخلاقية ، رمز فيه بالحبيب الى الفضيلة والتقوى ، وبالمحب الى الناسك المتعبد على غرار شعر التصوف « لابن الفارض » فى الأدب العربى ، و « المثنوى » ، « لجلال الدين الرومى » فى الأدب الفارسى .

وأما القضية الثانية : فهى التى رفعت على مؤلف « مدام بوفارى » ، « جوستاف فلوبير » .. ونظرت أمام محكمة جنح باريس الغرفة السادسة برئاسة السيد « دى بارل » جلسة ٣١ يناير و ٧ فبراير سنة ١٨٥٧ ، ومرافعة اتهام المحامى العام السيد « ارنست بينار » .

أيها السادة :

عند مواجهة هذه القضية تجد النيابة العامة نفسها أمام صعوبة لاتستطيع ان تخفيها وهى صعوبة ليست من طبيعة الاتهام ذاته ، فالاساءة الى الأخلاق العامة والى الدين ، كل هذه عبارات لاشك غامضة الى حد ما ومطاطة ، بحيث يتم تحديدها . ولكننى عندما أوجه الحديث الى نفوس مستقيمة علمية ، يصبح من السهل التفاهم فى هذا الصدد ، وتحديد ما اذا كانت هذه الصفحة من كتاب تحمل اساءة الى الدين أو الى الأخلاق . والصعوبة ليست فى اتهامنا ، بل انها على الاصح وبالأحرى فى طول الكتاب المعروض عليكم للحكم فيه فهو قصة كاملة .

فما العمل فى هذا الوضع ؟ وما دور النيابة العامة ؟ هل تقرأ الرواية كلها ؟ هذا مستحيل ، ومن ناحية أخرى فان قراءة النص موضوع المؤاخذة وحده يعرضنا للوم له ما يبرره . فمن الممكن أن يقال لنا : انكم اذا لم تعرضوا القضية بكافة أجزائها ، فانكم تهملون ما سبق وما يلحق الفقرات المدانة . ومن الواضح أنكم تخنقون القضية بتضييق مجال المناقشة .

أيها السادة :

ان الاتهام ينحصر فى جريمتى : اساءة الى الأخلاق العامة واساءة الى الأخلاق الدينية ، فى صور شهوانية ممتزجة بالأشياء المقدسة .

ان أمامكم أيها السادة ثلاثة متهمين : السيد « فلوبير » مؤلف

الكتاب ، والسيد « بيشــا » الذى قبله ، والسيد « بيلين » الذى طبعه .
وفى هذا الموضوع ليست هناك جريمة بدون علانية ، وجميع من اشتركوا في هذه العلانية يجب أن ينالهم العقاب ولكننا نسرع بأن نقول بأن مدير المجلة والطابع لا يأتيان الا فى المرتبة الثانيـــة ، والمتهم الأساسى هو المؤلف ، هو السيد « فلوبير » – السيد فلوبير الذى نبهته ملاحظة التحرير فاحتج ضد الحذف الذى أجرى فى كتابه ، ثم يأتى بعــده فى المرحــلة الثانية السيد لوران بيشا الذى ستحاسبونه – لا على الحذف الذى أجراه – بل على ذلك الذى كان يجب أن يجريه ، وأخيرا يأتى فى المرحلة الأخيرة الطابع الذى يعتبر الديدبان الأمامى ضد الفضيحة . والسيد « بيلين » بعد ذلك – رجل فاضل ليس لدى ما أقوله ضده ، ونحن لانطلب اليكم الا شيئا واحدا هو أن تطبقوا عليه القانون ، فالطابعون يجب أن يقرأوا . وعندما لا يقرأون أو يكلفون غيرهم بالقــراءة ، فانهــــم يطبعون تحت مسئوليتهم الخاصة . فالطابعون ليسوا آلات ، ولهم امتياز فهم يقسمون اليمين ، وهم فى وضع خاص ، وهم مسئولون ، وهم عنــدما يتركون الجريمة تمر يكونون كمن يترك العدو يمر ، ولتخففوا العقوبة كما تشاءون عن « بيلين » ، بل وكونوا رحيمين بمدير المجلة ، وأما « فلوبير » المجرم الأساسى فهو الذى يجب أن تحتفظوا له بقسوتكم .

ولسوف يقال لنا كاعتراض عام . ان الرواية فى النهاية أخلاقية مادام الزنا قد عوقب ، ولهذا الاعتراض جوابان ، فأنا أفترض افتراضا أن الكتاب أخلاقى ، ولكن الخاتمة لايمكن أن تغفر للتفاصيل الشهوانية التى يمكن أن توجد فيه . ثم أننى أقول ان الكتاب ليس فى جوهره أخلاقيا .

أننى أقول ان التفاصيل الشهوانية لا يمكن أن تغطى بخاتمة أخلاقية ، والا لأمكن أن تقصى كافة القاذورات التى يمــكن تصــورها ، وأن توصف كافة خلاعات عاهرة مع جعلها تموت فوق حصير قذر بمستشفى . وكان من الجائز دراسة واظهار كافة الأوضاع الشهوانية ...

ان فى هذا ما يتعارض مع كافة قواعد التفكير السليم . وان فيه وضعا المسم فى متناول الجميع . والفن بغير قاعدة لا يعود فنا ، وهو كالمرأة التى تتخلى عن كافة ثيابها ، واخضــاع الفن للوقار العــام ليس استعبادا له بل تشريفا . والانسان لايكبر الا بقاعدة . وهذه أيها السادة هى المبادىء التى ندين بها ، وهذا هو المذهب الذى ستحمونه استجابة لضميركم .

مرافعة الدفاع السيد سينار

أيها السادة :

ان السيد « جوستاف فلوبير » متهم أمامكم بأنه قد وضع كتابا رديئا ، وبأنه قد أساء في هذا الكتاب الى الأخلاق العامة والدين . والسيد « فلوبير » موجود الى جوارى ، وهو يؤكد أمامكم أنه قد وضع كتابا شريفا ، ويؤكد أمامكم أن فكرة كتابه منذ السطر الأول حتى الأخير فكرة أخلاقية دينية .. تدعو الى الفضيلة ببشاعة الرذائل وهو ليس بالرجل الذى تستطيع النيابة بخمسة عشر أو عشرين سطرا منتزعة من هنا وهناك ، أن تقدمه اليكم كصانع للوحات شهوانية .

الحــــكم

ولكن بما أن الكتاب الذى ألفه « فلوبير » كتاب يلوح أنه قد عمل فيه بجد ، ولزمن طويل من الناحية الأدبيـــة ، ومن ناحيـــة دراســـة الشخصيات ، حتى ان الفقرات التى انتقاها قرار الاحالة مهما تكن معيبة ــ الا أنها قليلة العدد اذا قورنت بطول الكتاب ، وهذه الفقرات ــ سواء من ناحية الأفكار التى تعرضها ، أو الأوضاع التى تصورها ، تدخــــل فى مجموع الشخصيات التى أراد المؤلف تصويرها ، مع المبالغة ومع صبغتها بواقعية مبتذلة منفرة فى كثير من الأحيان .. ولما كان « جوستاف فلوبير » يعلن احترامه للمواضعات الحميدة وبكل ما يتصل بالأخلاق العامة ، وكان لايلوح أن كتابه قد كتب كبعض الكتب الأخرى لهدف واحد هو اشباع الشهوات الحسية وروح الاباحية والعربدة أو تسفيه الأشياء التى يجب أن تحظى باحترام الجميع » .

وكان خطؤه هو فقط اغفاله أحيانا للقواعد التى لايجوز أن يتخطاها قط أى كاتب يحترم نفسه ، وأنه نسى أن الأدب كالفن ، لكى يحقق الخير الذى ينتظر منه ، لايكفى أن يكون فقط عفيفا طاهرا فى صـــورته وفى عبارته » .

وفى هذه الظروف بما أنه لم يثبت الثبوت الكافى أن « بيشــــا » و « جوستاف فلوبير » ، و « بيينه » قد ارتكبوا الجرائم المنسوبة اليهم .

« فان المحكمة تبرئهم من الاتهام وتسرحهم بدون مصاريف » .

تغير المعايير الاجتماعية

واذا كنا قد تجاوزنا الحدود فى الاستشهاد بهذه المحاكمات ، فالذى تبغيه أن نزيد الأمور ايضاحا للقراء ، وكل يأخذ منه ما يبغيه ويدع مالا يبغيه ٠٠ لكن ماذا ورد فى كتاب « مونتجمرى هايد » عن بعض القضايا الاباحية فى الأدب ٠٠ فسوف نجتزىء بعض المشاهد القصيرة والمتنوعة سواء بالنسبة الى المؤلف أو الناشر ٠٠ فضرب لنا المؤلف أمثلة كثيرة منها ٠٠.

أن الناشر « ريتشارد بيرتون » طبع كتابا باسم « ليالى عربية » ٠٠ احتوى الكتاب على ملاحظات شائقة وتعليقات لبيرتون على بعض النصوص الاباحية ٠٠ وبعد أن نجحت تجربة الكتاب ولاقى رواجا كبيرا من القراء ٠٠ فتمادى هذا الناشر فى طبع مثل هذه الكتب فرصد ١٠ آلاف جنيه استرلينى ٠٠ وطبع « نزهة الخاطر فى الروض العاطر » ٠٠ ففزع المجتمع من هذا الناشر وطالب بمصادرة كل مطبوعات هذا الناشر الذى يروج للاباحية ٠

وفى عام ١٩٣٣ فى الولايات المتحدة ، أصدر القاضى « جون ٠ م ٠ ولسى » قرارا بمصادرة رواية « عوليس » متهما اياها بالاباحية ، وأنها تثير الغرائز الجنسية ٠٠ لكن تلى الحكم حكم ثان « محكمة عليا » أصدره القاضى « أجوستس ٠ ن ٠ هاند » ٠

ان العينة التى قدمت من الكتاب وان كانت ذات مدلول اباحى الا أن السؤال فى هذه القضية هو هل الكتاب « عوليس » ككل له نفس المدلول ؟ ٠٠وبالنسبة لكتاب « جويس » أن الكتاب ككل ليس اباحيا ، وهو فى رأينا لا يثير الغرائز ، وأن العينة محل النقاش أو التحقيق لاتؤثر فى الكتاب ككل الا أثرا ضعيفا ٠

مخبر يقبض على كتاب

لكن ماذا حدث مع كتاب « مذكرات امرأة عن المتعة » والمعروف باسم « فنى هيل » للمؤلف « جون كليلاند » والذى ظهرت طبعته الأساسية عام ١٧٤٩ ٠٠ قدم للمحكمة بعد صدوره ب ٢١٥ عاما أى فى عام ١٩٦٤ ٠٠ وقبل القضية ذهب أحد المخبرين السريين واشترى نسخة من الكتاب فى نوفمبر ١٩٦٣ على اثر ذلك قام البوليس باقتحام دار النشر واسمها « مى فلور ليمتد » حيث صادر « ١٧١ » نسخة من الكتاب

المطبوع بالدار مستندا الى « البند الثالث » من قانون المطبوعات المخلة بالآداب لقانون ١٩٥٩ ·· على اثر ذلك حاول الناشرون اقناع السلطات بمعاملة قضية الكتاب طبقا « للبند الثانى » حتى يمكن أن تعرض قضية الكتاب المصادر على هيئة المحلفين كما حدث فى أكتوبر ١٩٦٠ عندما نظر قضية « عشيق الليدى تشاترلى » ·

وكتب الناشرون خطابا يوضحون فيه موقفهم قالوا فيه : « نريد أن نوضح لكم فى الحال أن عملاءنا كانوا أصحاب القرار فى طبع هذا الكتاب باحساس عميق من المسئولية والثقة ·· ودار نشر « ماى فلور ليمتد » لم تأخذ فى عين الاعتبار الى أن الكتاب ككل مخل بالآداب أو أنها أكدت على قيمته الأدبية والفنية أو أية عوامل أخـــرى · فقـــرار النشر كان لعملائنا فقط » ·

ماذا قال الشاهد الأول ؟

القضية نظرت فى ٢٠ يناير ١٩٦٤ ·· استمعت المحكمة فى البداية الى اثنين من شهود الاثبات من رجال الأمن ·· اللذين تركزت شهادتهما حول عرض الكتاب للبيع · لكن ماذا قال شـهود النفى ؟ ·· كان أول شاهد من شهود النفى فى هذه القضية هو « بيتر كونيل » قدم نفسه على انه مؤلف وناقد نشرت أعماله فى عدة صحف بريطانية وأنه ناشر الدورية الشهرية ·· طلبت منه المحكمة فى البداية أن يشرح لهـم الأوضـــاع الأدبية والسياسية والاجتماعية للفترة التى عاش فيها « جون كليلاند » مؤلف الكتاب موضوع القضية ·· بدأ الشـــاهد يشرح للمحكمة معنى الاباحية فى الأدب وعلى أساس التعريف الذى أعلنـــه أكد أن كتـــاب « فنى هيل » ليس اباحيا ·

● وعندما سألته المحكمة عن تضمن الكتـاب لبعض صور قلمية جنســـية ؟

ـ أجاب الشاهد ·· بأن هذه الصور لم تخل من القيمة الأخلاقية ·· حيث ان بطـلة الرواية كانت تعتبر أن الحب هو التتويج الطبيعى للجنس ·· فهى تقول : « ان الحب هو توابل المتعة » ·

● وحول سؤال آخر عن القيمة الأدبية للكتاب ؟

ـ أجاب الشاهد :

بأنه شخصيا لا يعتبر كتاب « فنى هيل » تحفـــة أدبيـة بل على العكس ٠٠ هو ذو قيمة أدبية متواضعة ٠٠ لكن ليس مجموعة من المغامرات الجنسية فقط ٠٠ فهو يصور بعضـــا من حيـــاة القرن الثامن عشر ٠٠ ولا شـــك أن « كليلاند » قد عاش وقرأ كما كبيرا من أدب هذه الفترة ٠
واستمرت مناقشة نفس الشاهد فى الجلسة الثانيـــة التى عقدت بعد الأولى بأسبوع وتركزت أقوال الشاهد حول مدى صدق تصوير الرواية للحالة الاجتماعية فى هذه الفترة ٠

● واستجوبته المحكمة عما اذا كان يعتقد أن هنـــاك من سيقرأ الكتاب بغرض معرفة الحالة الاجتماعية التى كانت عليها « انجلترا » قبل قرنين من الزمان ؟

ـ أجاب الشاهد ٠٠ أنه يعتقد أن هناك من سيشترى الكتاب لهذا الغرض ٠٠ وأضاف أنه اكتشف أن صديقا له قد نصح من أستاذه بجامعة « كمبردج » بقراءة هذا الكتاب ٠

الشاهد الثانى

الشاهد الثانى كان « اتش مونتجمرى هايد » ٠٠ أســـتاذ كرسى الفنون فى جامعة « أكسفورد » ، ودكتور الآداب فى جامعة « بلفاست »٠٠ كما أنه عمل أستاذا للتاريخ والعلوم فى جامعة « البنجاب ولاهور » ٠٠ أعلن فى المحكمة أنه يستعد لنشر كتابه تاريخ الاباحيـــة والذى اضطره لقراءة كميات هائلة من الأعمال الأدبية المتفـــاوتة الاباحية منـــذ كتاب « فن الهوى » « لأوفيد » حتى آخر ما نشر فى هذا المجال ٠ وهذه الرواية قيمتها فى تطور القصة ٠

● سألته المحكمة عما اذا كان الكتاب يرسم صورة غير واقعية لحياة عاهرة عاشت فى الماضى ؟

ـ أجاب الشاهد بالنفى وأضاف أن الرواية تقوم على عنصر رومانسى له ظلاله الواقعية الواضحة ٠

بعد هذا الأخذ والرد ٠٠ أجمع الشهود وهؤلاء النقاد والادباء وأساتذة الأدب على أن الكتاب وان كان يحوى بعض الصور الاباحية الا أنه لايعتبر عملا اباحيا ككل ٠

وقبل أن ننتقل الى قضية « ألف ليلة وليلة » أو رأى الأستاذ « العقاد » والأستاذ «ابراهيم الابيارى» ٠٠ ماذا قالت «سيمون دى بوفوار» عندما كتبت دراستها ونشرتها فى عددى ديسمبر ١٩٥١ ويناير ١٩٥٢ فى مجلة « الأزمنة الحديثة » تحت عنوان ٠٠ هل يجب أن نحرق ساد ؟

قالت :

ـ « ان كثيرا من النقاد عندما يتحدثون عن القرن « الثامن عشر » أو الحياة الابداعية فى القرن الثامن عشر ٠٠ لايعيرون أى التفات لأسم المركيز « دى ساد » ، ولعل هذا التجاهل غير المبرر هو الذى جعل المتحمسين « لساد » يعتبرونه عبقريا ، وهم يزعمون أن أعماله تضارع أعمال « نيتشة » و « فرويد » وكبار السرياليين ٠٠ وأن عدد النقاد الذين لم يجعلوا من « ساد » شيطانا ولا ملاكا ، ولكن فقط انسانا وكاتبا ، يمكن أن نحصيهم على أصابع اليد الواحدة ٠

وبفضل هؤلاء النقاد المعدودين عاد « ساد » مرة أخرى الى الأرض بيننا ، ولكن ما هو مكانه بالتحديد ، لماذا يثير انتباهنا ؟ حتى عشاقه يعتبرون أن أغلب أعماله غير قابلة للقراءة من وجهة النظر الفلسفية ، فهو أى « ساد » لم يأت بجديد فى هذه الناحية ، ولكن الحقيقة التى تقول انه لم يكن كاتبا فقط ، ولم يكن كذلك مارقا جنسيا فقط يمكن أن تقودنا الى هوية « ساد » الحقيقية ، تلك الهوية التى تأكدت فى العلاقة بين الصفتين السابقتين ٠

لقد جعل « المركيز دى ساد » من فكره الاباحى المعنى والتعبير عن وجوده كله ٠٠ ودور « ساد » هنا ، هو أنه أعلن بصراحة وشجاعة عما يدور فى أحلام الكثيرين ويخجلون ليس فقط من محاولة تجربته ولكن أيضا من سرده على الناس ٠٠ لقد اختار « ساد » تحمل كل الصفات السيئة التى التصقت به ومازالت حتى الآن بدلا من أن ينسحق للمجموع ٠٠ فما انسحاق الأقلية أمام الأغلبية الا صورة تقليدية للسادية ٠

لابد من التفرقة بين القواعد والقيود

فى كتاب « اللغة الشاعرة » للأستاذ العملاق « العقاد » يقول عن هذه الظاهرة فى الشعر ٠ « وقديما وجد فى الشعراء والفنانين من يجنح به هواه أحيانا الى رفع الكلفة واطراح الحشمة والابتذال فى اللفظ أو فى المعنى أو فى كليهما ، فيسترسل فى الهذر واللغط كأنه فى اجازة

من « نفسه الفضلى » كما يقولون ٠٠ وينسب الى هذه النزوات شعر المجون والهزل وشعر الاباحة والجموح ، وينسب اليه كذلك ضرب من الشعر الذى يخيل الى الناس أنه محدثهم بالحكم والأمثال وهو فى أسلوبه الهازل ساخر بضروب الحكمة والمثل ٠٠ » ٠

والسير الشعبية ٠٠ كانت تقوم على معرفة دقيقة واحساس صادق بالبيئة والمجتمع اللذين يقدم لهما هذا العمل الأدبى ٠٠ ومن هنا يأتى التوفيق التام بين العمل الأدبى فى صورته التى استوحاها من الماضى ، وبين أثره الفنى على المتلقى لما حققه من مواءمة ناجحة بين البيئتين ، هى فى حقيقتها العنصر الأول فى فنية العمل الأدبى الذى يمكنه من أداء مهمته نحو المجتمع والحياة ٠

فضل ألف ليلة وليلة

وكما يقول الشاعر « هوراس » وقبل أن نفرغ من حديثنا ٠٠ قد يفلت الزمن هاربا ٠٠ ذلك الماكر الغادر ٠٠ فاقبض على يومك ٠٠ ولا تثق مثقال ذرة فى غدك » ٠٠ فبعد ألف سنة وسنة ٠٠ تقف « ألف ليلة وليلة » حائرة تبكى بدموع الحرقة ولوعة الأسى ٠٠ فقد قبض عليها وأودعت بين قضبان السجن متهمة بأن فيها كلمات معيبة والفاظا قبيحة ، قليلة الأدب تسببت فى خدش الحياء العام ٠٠ وأساءت الى الحرائر فى خدورهن ٠٠ وهتكت ستر الشريفات اللاتى يعرفن معنى العيب ٠٠ ولا يرتدين الا « المينى جيب » ولا يذهبن الى المصايف الا « بالبكينى » ٠٠ وفتحت أعين الشباب النزق على أشياء قبيحة تؤدى الى خطف الفتيات واغتصابهن ٠٠ لأنها ذات حوادث عجيبة وقصص غريبة ٠٠ فلياليها غرام فى غرام ٠٠ وتفاصيل حب وعشق وهيام ٠٠ وحكايات ونوادر فكاهية ٠ ولطائف وطرائف أدبية » ٠

ونسى فضلها فقد تأثر بها « توفيق الحكيم » وكتب مسرحية « شهريار » ٠٠ والدكتور « رشاد رشدى » فى مسرحيته « شهر زاد » ٠٠ وألف « كورساكوف » عن « شهرزاد » القصيد السيمفونى ومن « ألف ليلة وليلة » وضع باليه « الشاطر حسن » وأوبرا « السندباد » ٠

ولا يشفع لها أن كتبت عنها الدكتورة « سهير القلماوى » رسالة « الدكتوراة » وقدمها لها عميد الأدب العربى الدكتور « طه حسين » وقال عنها « انها كتاب متعة ولهو وتسلية ، وأنه خلب عقول الأجيال فى الشرق والغرب قرونا طوال ٠٠ » ويعتبر كتابا من كتب العوام ٠ يتضمن

مجموعة كبيرة جدا من القصص الشعبى التى تدور بعضها فى بيئـات خرافية مغرقة فى الخيال ، كما يدور بعضها الآخر فى بيئات واقعية مغرقة فى الصراحة فى سرد الحوادث والقصص التى وقعت أحداثها أو عاشت شخصياتها فى مصر والشام والعراق ٠

ولايمكن أن يشفع لها أيضا أن الشرق والغرب والقاصى والدانى قد استفاد منها وتأثر بها وأن كل الأدباء والفنانين والموسيقيين والرسامين والتشكيليين قد أرتووا من فيض عطائها ٠٠ وانهـا ظلت أعواما طوال تقدم فى تمثيلية اذاعيـة فى الشهر الكريم « رمضـان » من تأليف « طاهر أبو فاشا » واخراج « محمد محمود شعبان » ٠٠ وانهـا قدمت فى عمل تليفزيونى من تأليف الكاتب الاسلامى « أحمد بهجت » يبدو أن كل ذلك لن يغفر لها خطاياها ، لأنها مجهولة النسب والأصل ٠٠ فهى بنت سفاح ٠

كيف يراها محقق التراث

واذا كانت « ألف ليلة وليلة » قد صدرت مطبوعة فى مصر بالمطبعة الأميرية الحكومية ببولاق عام ١٨٣٦ ثم صدرت طبعة أخـرى عام ١٨٦٢ وثالثـة عام ١٨٩٦ ٠٠ فبعد كل هذا ٠٠ هل نستطيع أن نقـول ان « ألف ليلة وليلة » أدب اباحى ، توجهت بهـذا السـؤال الى الأستاذ « ابراهيم الابيارى » الذى يعتبر من أكبر المحققين للتراث العربى ، وقضى معه رحلة طويلة فخبره وعرف خباياه ٠٠ ومازال يحقق ويثرى المكتبة العربيـة ٠

قال :

ـ فى قراءاتى لكتب الأدب قديمها ، لم أجد ما نستطيع أن نسميه أدبا اباحيا على النحو الذى ورد عند غيرنا من الأمم الأخرى ، وكان لهم عذرهم فى أن يسموه أدبا اباحيا ، فهو بحق عرض مسرف خـارج عن الاحتشام ، وكان الاجتزاء ببعضه يغنى كما هو الحال فى الأدب العربى الذى نريد أن نحمله على غيره من الآداب الافرنجية الاباحية ونسميه هو الآخر اباحيا ، مثلا خذ كتابا من كتب اللغـة أعنى القواميس التى هى مرجعنا جميعا صغارا وكبارا ، لا تجد فيها تعففا أو تنزها عن أن تذكر العورات بعبارات صريحة ، واذا ما توسعت أو رجعت الى الكتب اللغوية الموسوعية ٠٠ الكتب التى تستطرد وتذكر الشواهد مثل « لسان العرب »

و « تاج العروس » ٠٠ تجدها لاتتنزه عن أن تذكر الشعر المعبر عن وصف ما يشتهى اليه فى المرأة وصفا دقيقا ٠

ومع هذا وذاك لا أستطيع أن أسميه أدبا اباحيا ٠٠ ومثل هذا كثير فى كتب اللغة ٠٠ واذن كتب اللغة لاتستطيع أن تحرم منها قارئ أو أن تحذف منها أو تضيف اليها بحجة أنها اباحية ٠٠ واذا تركت هذا ورجعت الى الشعر وأظنك لا تنسى معلقة « امرؤ القيس » وما فيها من أوصاف للعملية الجنسية أوصافا من الدقة بمكان ٠

وما أريد أن أستطرد بك الى غير هذا ، ومع هذا فهذه الأعمال وغيرها لا أسميها من الأدب الاباحى الذى جرى على ألسنة غيرنا من الأمم ٠٠ ثم تعال نذكر أليس حديثنا وحديث أولادنا وحديث الأبناء والبنات الذى يجرى بيننا كل يوم وليلة وكل ساعة ودقيقة ٠٠ أليس هذا الحديث نصفه ان لم يكن جله حول النصف الآخر وصفا واستحسانا ، وذكر مفاتن الى غير هذا مما هو فى فطرتنا وطبيعتنا ٠٠ فما بالنا نعمل كما تعمل النعامة ، تخفى رأسها فى الأرض وهى تظن أنها قد أخفت نفسها عن صائدها ٠

وانى لأعلم أن الحديث فى مثل هذا دون أن نفحش فيه ٠٠ حديث فيه أخذ وعطاء ٠٠ ووراء هذا الأخذ والعطاء البرىء ما يكبح الأنظار الى ما بعده ، ويصد النفوس عن أن تتطلع الى ما هو أبعد ٠٠ وأفحش الأمم أو أقربها الى الفحش هى الأمم التى كممت الأفواه ، وعقدت الألسن ، وحجبت الأبصار ٠٠ مثل هذا يخلق أمة متوثبة الى الشر ٠٠ وعكسه الذى يخلق أمة قانعة ٠

وانى لأذكر لك أمرا وقع بيننا منذ أمد قريب ٠ وهو أيام اختط سيف البحر « كورنيش » بالاسكندرية وخلقت المصايف للاستجمام ، وشجعت بناتنا على أن يشاركن بنينا فى نزول البحر « بالأتب » أى « المايوه » فلقد رأيت عند ذلك عجبا ٠٠ رأيت فتياننا اذا ما وقع ابصارهم على فتاة « بأتبها » التفوا من حولها وكأنهم فى عرس ٠٠ وكأنهم لم يروا فتاة قبل هذا ٠٠ هذا منشؤه الحرمان ٠٠ وتعال معى ننظر اليوم الى صيف الاسكندرية وهو عامر بالفتيات والفتيان يمر بعضهم على بعض ولا شىء من هذا ٠

ان ما ورد فى كتب الأدب عندنا وفى غيرها من كتب التاريخ أو القصص هو شىء ينشىء جيلا على أن يكون واعيا قانعا ، ليس فيه هذا الاسفاف الذى نرجو منعه ، كما ليست فيه هذه الاباحية المطلقة التى تريد

تخلية الكتب منها ، بل فيه حديثى وحديثك وحديث الناس جميعا الذى يجرى على السنتنا ليل نهار ، ومع هذا لا نمنع حديثا ولكننا نمنعه مكتوبا فى الكتب ولا فرق بين الاثنين ، بل هو فى الكتب أخف وطأة .

وهذه الفكرة ، فكرة الحذف راودت بعض مفكرينا منذ عهد قريب .. فحين أخذنا فى نشر كتاب « نهاية الأرب » ، « للنويرى » محققا كان منه جزء فيه بعض هذا الحديث المكشوف . فهلع لهذا نفر وعرض الأمر على « المجلس الأعلى لدار الكتب » حينذاك ، وكان من رجـــال الفـكر المسئولين .. وكان رأى البعض المنع والرأى الآخر النشر دون حذف .. وأخيرا لعبوا تلك اللعبة التى لا تعطى ولا تمنع ، بل تـكاد تعطى أكثر مما تمنع .. فجعلوا منه طبعة خاصة وطبعة عامة .. وقل لى بربك ، هل تستطيع أن تمنع الطبعة الخاصة عن عامة الناس .. ولكنها حيلة خدعوا بها العقول بعد أن خدعوا بها أنفسهم .. واذا أشفقت على صغارنا وأردت ألا تطالعهم بهذا الحديث مبكرين ، فليس ما يمنع عندى من أن نطالعهم بطبعات مهذبة .. ولكن لايحمل اسم المهذب ، اسم الكتاب الكامل .. ويبقى الكتاب الكامل كمـــا هو حتى اذا ما شب الصغير ونضـــج عقله واستوعب استطاع أن يقرأ ما يسمع ، ولم يكن غريبـا عليه هذا المقروء الذى امتلأ به سمعه قبل أن يقرأ ، هذا هو التهذيب ان أردت أن تهذب .. أما اذا أردت أن تهذب ، أن تحذف من الكتاب ما يروقك فهذا أمر لا ينتهى عند حد ، والطباع تختلف وتلك الرغبات الحاذقة لاتشبع .. وما تدرى عند أى شىء ولأى مدى تقف .. فاذا أنت آخر الأمر قد حذفت الكتاب كله .

ولست أفهم ما معنى يخدش الحياء والحوار فى الأفلام يأتى بمختلف الطامعين والراغبين فى الشـــهوة وكأن المجتمع المصرى هو هذا الحوار المبتذل .. !:

وفى النهاية وتأكيدا لتساؤل الأستاذ « ابراهيم الأبيـــارى » .. ألم يخطر على بال أحد أن يسأل هل الراقصة التى تعرى ردفيها وفخذيها وثدييها وتحركهما فى اثارة مبتذلة ألا يخدش هذا الحياء .. !

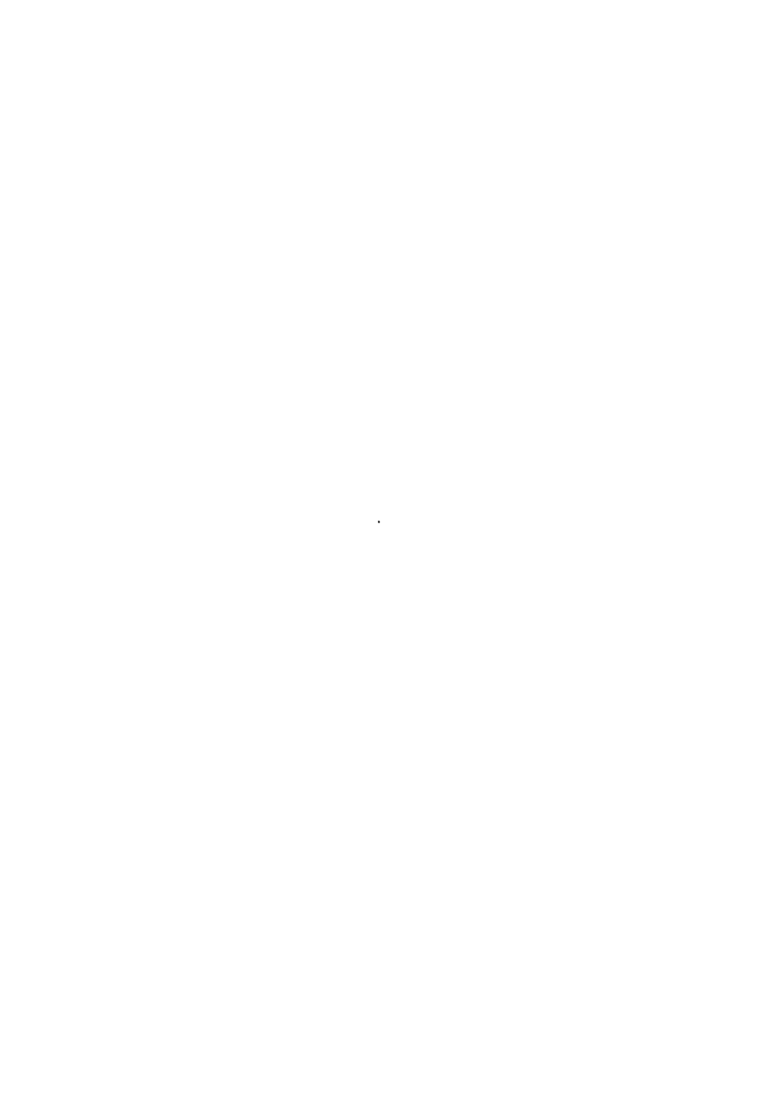
وما رأيهـم فى القبلة الملتهبة الحارقة فى السينما والتليفزيون .. والأحضان الدافئة الممزوجة بالتأوهات ألا يخدش الحياء .. ؟! وما رأيهم فى اعلانات التليفزيون التى تشحن عقلية الطفل الصغير بمخزون من الممكن أن يكون له أثر خطير على المجتمع ألا يخدش الحياء ؟! وما رأيهم فيما يحدث فى المواصلات العامة ألا يخدش الحياء ؟!

وما رأيهم فى كباريهات شارع الهرم ألا تخدش الحياء وتدمره ؟؟

وما رأيهم فى كلمات الأغانى .. « بوسه ونغمض ويله .. » و « الطشت قاللى ياحلوة ياللى » ألا يخدش هذا الحياء ؟! وما رأيهـم فيمـا يسمى « أغانى الموالد » المتضمنة لكل ما هو تزييف للسيرة النبوية العطرة بالكثير من الخزعبلات والتقولات البعيدة عن القيم والأخلاق والدين .. ألا يخدش الحياء ؟ وما رأيهم فيما هو مكتوب فى كتـاب الأغانى « لأبى الفـرج الأصفهانى » ولولا الحيـاء لنقلت فقرة كاملة ألا يخدش هذا الحيـاء ؟ وما رأيهم فيما ورد فى كتاب « الطيب صالح » ، « موسـم الهجرة الى الشمال » .. ألا يخدش هذا الحياء ؟! وما رأيهم فى الأفيشات التى تملأ الشوارع بأجساد عارية ألا يخدش هذا الحياء ؟! وما رأيهـم فى نوادى الفيديو ، هل هناك رقابة عليها لمنع خدش الحياء ؟! وما رأيهم فى مسارح القطاع الخاص وما تروجه من ألفاظ سوقية وشتائم جارحة ، واستعراض « اللحم الأحمر » ألا يخدش هذا الحياء ؟! وما رأيهم فيما هو مكتوب فى السير الشعبية وشعراء المجون والخلاعة .. نريد أن نعرف أى حياء .. وما هو حدوده .. وهل يخضع لقوة الشرع أم قوة التشريع ؟ وما يحدث فى الشارع المصرى وفى الجامعات وفى النوادى وفى السهرات الماجنة .. ألا يدل هذا على أن حياءنا حياء مليان .. !!

د . عز الدين اسماعيل

الخلاف الفكرى فى المجتمع ... !



عمله فى الجامعة كما قال لى : كان البيئة الملائمة لنشاطه العلمى والأدبى ، فقدم عالمه الثقافى خلال كتب ذات رؤية جديدة فى عالم الأدب والنقد الأدبى ، وكان جهده المبذول محاولة لتطوير الواقع النقدى بشكل يتلاءم مع تطور العصر ، وتغير الكثير من المفاهيم التى ظللنا زمنا بعيدا نتوارثها .

قدم للمكتبة العربية « الأسس الجمالية للنقد العربى » و « التفسير النفسى للأدب » و « الفن والانسان » و « الشعر العربى المعاصر » .

ولم يتوقف عطاء الدكتور « عز الدين اسماعيل » عند حدود الكتب النقدية ، بل قرض الشعر ، وكتب مسرحية شعرية بعنوان « محاكمة رجل مجهول » ، وترجم العديد من الأعمال الأدبية ، ورأس تحرير مجلة « فصول » .

ورحلة الدكتور « عز الدين اسماعيل » الثقافية متنوعة المسارات ، بين التدريس فى كلية آداب جامعة « عين شمس » وبين عمادته لهذه الكلية ، ثم رئاسته « للهيئة العامة للكتاب » ، والتى قال عنها : « ان عمله فيها كان شديد الارتباط بالمجال الثقافى والجهد الذى بذله كان على حساب انتاجه الشخصى » .

وأخيرا رست سفينته عند رئاسته « لأكاديمية الفنون » بالهرم ، والتى يقول عنها : « أعتقد أن عملى الحالى هو بمثابة عودة الى المناخ القديم، الذى يتيح للانسان أن يجمع بين ادارة مؤسسة علمية كهذه وانتاجه الخاص » .

ومن هنا تتبلور نظرته النقدية للحركة الابداعية ، انها سوف تظل تنبثق من داخلها ، وتنمو من خلال دوافعها الخاصة واقتناعات أصحابها بما ينبغى أن يقدموا ٠

فالفنان دائمـا يؤدي وظيفة اجتمـاعية ، لا تتحقق الا بأن يستقبل الجمهور ما أبدع ، حتى يكون هناك تغييرات جذرية فى رؤيتنا للابداع ، والفن ، وللكاتب الذى يكتب لحل كل تشابكات الصراع الداخلى والتخفف من عبء الواقع ٠

التقيت بالدكتور « عز الدين اسماعيل » فى مكتبه بأكاديمية الفنون بالهرم ، لأصل الى اجابات محددة وواضحة عن التساؤلات المثـارة حول المتناقضات فى عالمنا الثقافى والفنى ، وخاصة أنه أحد رجال الثقافة الذين شغلوا مناصب مؤثرة فى البناء الثقافى ، بكل حساسياته وفاعلياته فى تكوين وتنمية الشخصية المصرية ٠

وهو أحد الرموز الهامة التى تدير أكبر أكاديمية فنية فى الشرق الأوسط ، يقع عليها العبء الأكبر فى تنمية الذوق والاحساس الجمالى والمعرفة والثقافة الفنية اذا أحسنت دورها ، وخاصة أن الفن له تأثيره الخطير فى منطقتنا التى تغلفها الأمية بنسبة كبيرة ومتنامية ، فالفن وحده الآن هو القادر على صياغة وجدان هؤلاء البشر اذا أحسن استخدامه ٠

تطور الابداع

●● ٠٠٠٠٠ كان سؤالى الأول معه ، هل الفنون أحرزت تقدما عما كانت عليه قديما ، وما هى العقبات التى تحد من تطور الفنون عندنا ، وهل تمتلك الأكاديمية منهجا متكاملا فى تقويم الفنون وتحديثها ، أو أن معـاهد الأكاديميـة يقتصر دورها على تخـريج دارسـين لا موهوبين ؟!

قال :

ـ لو نظرنا فى حدود الحقبة الزمنية التى نشأت لدينا فيها الأجناس الأدبية بصورتها الراهنة ، أعنى المسرح والرواية والقصة القصيرة وكذلك الفنون التشكيلية ، يمكننا أن نقول فى اطمئنان أن هناك تطورا ملحوظا فى هذه الأجناس الأدبية ، وهذه الفنون على المستويين الكمى والكيفى معا ٠

فنحن على سبيل المثال لا نستطيع أن نحصى عدد من يكتبون القصة القصيرة على الساحة العربية ، فضلا أن نحصى عدد من يكتبون المقالة ،

بل اننا فى اطار نوع واحد نستطيع أن نصنف كتابه أصنافا مختلفة ، فالمقال السياسى غير المقال الأدبى ، وكاتب المقال الفكرى يختلف عن كاتب هذين النوعين ٠

وهذا يدل على ضخامة ما يكتب فى باب المقالة فى وقتنا الراهن ، ونفس الشىء يمكن أن يقال بالنسبة لكتاب المسرح ، ففى زمن ما كان الدينا شاعر واحد هو « أحمد شوقى » يكتب مسرحا شعريا ، واليوم نجد عددا لا بأس به من الشعراء يكتبون للمسرح ، وفى الوقت الذى كان فيه « توفيق الحكيم » خلال الثلاثينيات ينفرد بمجال كتابة المسرحية أو يكاد ، نجد اليوم عشرات من كتاب المسرح فى الوطن العربى بأسره ٠

وهذه مجرد اشارات تدل على تنامى حركة الانتاج الأدبى فى أشكاله المختلفة ، ولم أذكر الشعر فى هذا السياق لانه دائما الفن الأدبى الذى يكتسح الساحة ويجد عشرات الممثلين له فى مجتمعنا فى كل أوان ٠

ولكننا اذا التفتنا الى التغير الكيفى ، فان الشعر يأتى فى مقدمة هذه الأنواع الأدبية ، من حيث انه كان أسبقها الى التغير الجذرى والحاسم منذ ما يقرب من أربعين عاما ، وهو ما تمثل فى حركة الشعر الجديد التى ما زالت منذئذ تنمو وتتطور بهذا الفن فى اتجاهه الجديد ، لكن المؤكد أن الرواية والقصة القصيرة والمقال قد أحرزت جميعا تغيرا كيفيا على مدى الخمسين عاما السابقة ٠

وهذا كله غير منفصل عما حدث فى مجتمعنا من نمو وتطور على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والفكرية ٠

فى الثلاثينيات كان مجتمعنا يتشكل من ١٤ مليون نسمة ، وهو اليوم يجاوز الخمسين مليونا ، وحركة التعليم فى ذلك الوقت تتناسب طرديا مع ذلك العدد ، فى حين يبلغ عدد المنتظمين فى التعليم اليوم أضعافا مضاعفة ، كانت القضية الوطنية الهم الأساسى الأول للخروج من دائرة الاستعمار ومخلفاته ونحن اليوم نواجه واقعا جديدا فى ظل الاستقلال وألوانا مختلفة من التحديات والمواجهات مع العالم من حولنا ، ولن أحصى التغيرات الحاسمة فى بنية المجتمع وعلاقاتها الداخلية ، ولا عن الأوضاع الاقتصادية المؤثرة فى هذه البنية وهذه العلاقات ، ولكن ذلك كله يشكل خلفية لفهم التغيرات التى برزت فى ساحة الابداع الأدبى وما طرأ ويطرأ عليه من تغيرات ٠

وعلى الجملة فان الواقع الراهن يحمل مؤشرات الى تنامى وتصاعد فى مجال الابداع على المستويين الكمى والكيفى على السواء ٠

لكى نحدد دور الأكاديمية فى هــذه القضية ، أولا : الأكاديميـة بمعاهدها المختلفة كان ينظر اليها دائما على أنها تؤهل المواهب المختلفة تهيئة علمية لكى تؤدى فى المجتمع دورها ، ولا شك فى أن الفنان الدارس يرجح الفنان الذى يعتمد على موهبته وحدها ، هكذا أثبتت التجربة على كل حال ، فمعظم الذين يشغلون الساحة اليوم من الممثلين والمخرجين فى مجال المسرح والسينما هــم خريجو معهــدى المسرح والســينما ، ولكن الأكاديمية بحكم أنها مؤسسة علمية كذلك ، تهتم بتطوير مناهجها العلمية من وقت الى آخر بما يلائم التطور العالمى فى المعاهد والأكاديميات المناظرة ، فتتوفر على الأجهزة والوسائل العلمية التى تمثل ركيزة للعملية التعليمية من جهة ، وتتيح للدارس الفرصة للتعامل معها فى الحياة العامة على أعلى مستوى . وقد أصدرت الهيئة مؤخرا لأول مرة مجلة علمية تصدر فصلية فى الوقت الحالى ، لكى تعكس وجه التقــدم العلمى فى مجالات الفنــون المختلفة ، كما يتمثل فى الأكاديمية فى الوقت الذى تطرح فيه على المثقف العام ألوانا من الخبرات والمعارف ، فى مجالات هذه الفنون لكى تجعل منه مستقبلا جيدا لها .

وتضم الأكاديمية عددا من الفرق الطليعية التى يمارس فيها الطلبة والخريجون تحت اشراف الأساتذة نشاطهم الفنى ، وهذه الفرق تقــدم عروضها على مسارح الأكاديمية ، كما تشارك فى العروض التى تتم على مسارح الدولة ، سواء فى المسرح القومى أو فى مسرح الجمهورية ، وقد بدأت تخرج فى الآونة الأخيرة عن هذا النطاق المحدود نسبيا لتقدم بعض العروض فى المحافظات المختلفة ، كما حدث فى العام الماضى ، وبهذه الطريقة ترسى الأكاديمية معايير جديدة من خلال العروض الفنية الراقية ، سواء فى الموسيقى أو المسرح أو البالية .

●● .... أين دور الأكاديمية فيمــا يحدث على الساحة الفنية من هبوط فى السينما والمسرح ، وخاصة أن الأكاديمية بكل معاهدها وتخصصاتها تملك الحلول العلمية السليمة لمعالجة كل هذا الخلل؟

ـ هناك توصيات ودراسات مختلفة ومتنوعة فى شتى الأقسام ، لكن لا أحد يقرأ ولا أحد يستجيب ولا أحد ينفذ .

نحن نعقد ندوات على مستوى الأكاديمية لمناقشة مثل هذه القضايا ، لكن لا يوجد من يتحمس من الباحثين عن الحلول لسماع هذه الندوات .

دعنى أوجه نداء صادقا ، تعالوا نعقد ندوة موسعة من خلال الأكاديمية تشارك فيها كل فروعها وتخصصاتها ودراساتها العلمية المنهجة ، لوضع الحلول الجادة لانقاذ السينما المصرية وسمعتها والمسرح وقضاياه .

وأدعو أيضا وأطالب الجهات المعنية والمهتمة بالفنون من المحافظين فى محافظاتهم ، أن يفسحوا صدورهم لنا وعقولهم فى العمل على بناء أفرع لهذه الأكاديمية على مستوى المحافظات أو القطاعات ، وخاصة أن الفن بكافة أشكاله يمثل شريانا هاما فى التنمية الثقافية والعقلية .

والأجدر بنا أن نقاوم الأمية من خلال الفن ، فهو جرعة شديدة الأهمية والتركيز التى يستوعبها عقل المشاهد على جميع المستويات .

فنحن الدولة العربية الوحيدة الى تمتلك أكاديمية بمثل هذا الحجم من الضخامة ، فلا يعقل أن يكون فى الاسكندرية فرعان ـ صغيران جدا فى الحجم والقيمة ـ من أكاديمية الفنون ، ولا يوجه اليهما الاهتمام والحرص على استمرارها لعدم توافر الامكانات .

ومن ناحية أخرى المصاعب المالية تقهر كل طموحاتنا ، يكفى أننا أصدرنا أول مجلة للأكاديمية فى تاريخها الذى يقارب ٢٦ عاما ، ويواجهنا مأزق التمويل ، ماذا أقول لك والمشكلة المالية تعرقل كل الأحلام ؟!

ورغم أن الامكانات البشرية والفنية متاحة الا أن الأيدى مغلولة ومعطلة ، وأنا سوف أتوجه بمطلب وان بدا طموحا أكثر من اللازم ، أعطنى ٥ ملايين جنيه ، وأنا أتحدى أن أغرق البلاد كلها ثقافة وفنا على أسس راسخة ومتقدمة ، ومن هنا يكون الحساب ، وأنا على أتم الاستعداد لذلك .

دوافع الابداع

●● ..... وأنتقل بالحوار عن الحقائق النفسية ، وحقائق علم النفس التحليلى ، هل خدمت ميدان الدراسات الأدبية أو أنها كانت طفرة وتقليدا للغرب ، وما هى الدوافع التى تدفع الفنان الى الابداع ، ولماذا وصلت الدراسات الأدبية الى مرحلة التكرار الممل ، وفى رأيك أين تقف الحركة الابداعية ؟!

قال :

ـ بصفة عامة لابد أن نكون على وعى بحقيقة أن مناهج الدراسة الأدبية والنقد الأدبى ، تقع فى اطار الفكر الانسانى بما تشتمل عليه من

افكار ومنطلقات فكرية كليـة ، تشكل أساسها النظرى ، ومن اجراءات عملية تسعف على جانبها التطبيقى ٠

فهى اذن أدخل فى باب العلم منها فى باب الابداع الفنى ، والعلم لا يعرف وطنا بعينه ، أو بيئة محددة ، وعلى ذلك فمناهج الدراسة الأدبية هى وسائل لغاية واحدة ، هى مزيد من الفهم للمبدعات الأدبية والفنية وادراك أعمق لأبعادها ٠ والمنهج النفسى فى دراسة الأدب ، هو واحد من المناهج المختلفة التى يراد بها الكشف عن جوانب العمل الفنى ، وعن أبعاده النفسية والفكرية ، وهو من هذه الناحية يؤدى دورا فى تجلية الحقيقة الكلية المتعلقة بالأدب والفن ٠ قطاع من المعارف النفسية يوضح لنا ديناميات عملية الابداع الفنى ، فنصبح بذلك قادرين على فهم المحركات المختلفة لعملية الابداع ، والدوافع التى تنشط هذه العملية فى نفس المبدع ، وآليات عملية الابداع فى ذاتها عندما يشرع الأديب أو الفنان فى ابداع عمل جديد ٠

قطاع آخر يتجه الى تفسير العمل الأدبى والفنى بعد أن يتم ابداعه، وهو فى هذه الحالة يتعامل مع النص الأدبى أو العمل الفنى ذاته ، ويرتكز هذا العمل التحليلى فى طبيعته على عدد من الركائز التى تستمد من النتائج التى تقررت فى علم النفس التحليلى فيما يتعلق باستخدام اللغة استخداما ايحائيا أو رمزيا ، وفيما يتصل بالدلالات المبـاشرة ، وغير المبـاشرة ، وفيما يتصل أيضا بالبنيـات النفسية المتمايزة ، وعلى أساس من هـذه الركائز يمضى المحلل الأدبى فى عمله ، لانارة الانتاج الأدبى من داخله وكشف علاقاته الداخلية التى تصنع منه بنية موحدة ٠

هذا المنهج يختلف عن منهج آخر ، استخدمه عندنا بعض من اتجهوا الاتجاه النفسى العام فى دراسة الأدب ، عندما اتخذوا من العمل الفنى نفسه وثيقة على صاحبه ، بمعنى أن هم الدراسة فى هذه الحالة يتجه الى اثبات مكونات المبدع الفرد ، المتعين صاحب العمل الأدبى من الناحية النفسية ، وكأن العمل الأدبى مجـرد شاهد على مجموعة الحقائق النفسية المتعلقة بصاحبه ٠

ولكن هذا الاتجاه الذى مارسه « العقاد » والدكتور « النويهى » بشكل بارز لا يكاد يؤدى بالنسبة للعملية النقدية دورا فعالا ٠

لأن النقد فى أساسه يتعلق أولا وأخيرا بالعمل الفنى ، ولا تكون التفاتته الى مبدعه الا لمجرد الاستعانة بتاريخ حياته فى اضاءة النص وليس العكس ٠

اذا فليس الأصل أن نحلل شخصية الأديب تحليلا نفسيا ، ثم نتخذ من انتاجه الأدبى والفنى شاهدا على صحة هذا التحليل ، ولكن المنهج الأقرب الى طبيعة النقد هو أن تستغل معطيات علم النفس فى اضاءة العمل الفنى ذاته .

أنا أعتقد هذه التكرارية التى نجدها فى كثير من الدراسات الأكاديمية ، مرجعها الى قصور فى المنهج ، بمعنى أننا سرنا مدى طويلا من الزمن على تصور لكيفيات الدراسة الأدبية ، وتصورنا أنها تمثل الشكل العلمى الأخير لهذا النوع من الدراسة .

حقيقة الأمر أن الدراسة الأدبية لن تعود الى حالة الثراء والغنى اللازمين الا بدخول الباحثين والدارسين فى المناهج المستحدثة بعد هضمها هضما جيدا .

فالمناهج المستحدثة من شأنها أن تتيح للدارس أدوات جديدة للفحص والتحليل ، وتضع بين يديه مرتكزات لهذا الفحص والتحليل ، تختلف نهائيا عن كل المرتكزات التقليدية المعروفة .

وليس المهم أن تتكرر الدراسات فى الموضوع الواحد ، فهذا فى حد ذاته لا غبار عليه ، ولكن المهم أن تتعدى مناهج الرؤية والتناول لهذا الموضوع أو ذاك على نحو يتيح استخراج أبعاد جديدة ، لم تكشف عنها الدراسات السابقة ، ولم يكن فى وسعها أن تكشف عنها فى حدود المنهج التقليدى .

لابد من أن نقرر أيضا أن هناك بدايات واعدة فى وقتنا الراهن على الساحة العربية ، فى مجملها عمدت الى الدخول فى مناهج الدراسة الحديثة ، وعالجت فى ضوئها كثيرا من موضوعات تراثنا الأدبى أو انتاجنا الأدبى الراهن .

وفيما قدمته من مراجعات وما وصلت اليه من نتائج ، ما يبشر بأن مدا جديدا ونبضا جديدا يتخلقان الآن فى ساحة الدرس الأدبى ، وهما كفيلان بأن يعيدا هذا الدرس الى مساره النامى الطبيعى والضرورى .

الحركة الابداعية أتصورها دائما كالموجات المتلاحقة فى بحر الابداع الواسع العريض ، هناك دائما اتجاه فى هذه الموجات ، وهى تتحرك دائما الى أمام ولكن الموجة هى الموجة ، لها قاعها ولها سفحها ولها قمتها ، وعندما تنتهى الموجة فانها تسلمنا الى بداية موجة جديدة ، والشواهد تدلنا الآن على مستوى الانتاج الأدبى فى أجناسه المختلفة ، على أننا نصعد مع موجة جديدة لها مذاقها الخاص ورؤيتها المتميزة ، ولها نتيجة لذلك أدواتها

ووسائلها التى تختلف فى قليل أو كثير عن أدوات المبدعين ووسائلهم فى الأجيال السابقة ٠

واذا كنا نؤمن بأن كل مبدع يستشعر عبء التاريخ بدرجات تتفاوت من مبدع الى آخر ، فاننا نستطيع كذلك أن نقرر بصفة عامة ، أن كل جيل جديد يحمل تجربة الأجيال السابقة عليه ، ومن ثم يزداد هذا العبء جيلا بعد آخر ٠

وجيل الأدباء الراهن يستشعر هذه المسئولية ، ويحاول جاهدا أن يؤكد دوره المجاوز شكلا ومضمونا لما أنتجته الأجيال السابقة ، وربما واجه هذا الجيل بعض الصعوبات فى تقبل ما يبدعه نتيجة للالف والعادة ، ولكن الاستمرار من شأنه أن يؤصل فى جمهور المتلقين القدرة على استيعاب المبدعات الجديدة فى أشكالها وطرائقها المستحدثة ٠

ولن يكون من شأن أى جيل من الأجيال أن يبلغ النهاية فى هذه المغامرة الخطرة والضرورية فى الوقت نفسه لضمان حيوية ما يبدعه ، لأن هـذا الطريق لا نهـاية له ، وهو ما يعطى كل جيل شرعية الكشف والارتيـاد والبحث عن الجـديد ، والاضـافة المتميزة لحصيلة التجـارب السابقة ٠

المكونات الفكرية والثقافية

●● ٠٠٠٠٠ هل نحن أمة لها ملامح محددة الهوية الثقـافية والفكرية والفنية ، أو أننا نعيش على هامش الآخرين ، ونرتدى كل عباءة حتى ولو لم تكن مناسبة لنا ، وأين النظرية الأدبية العربية ، وهل لنا منهج محدد وواضح ؟

قال :

ـ كوننا أمة ـ وهذا لا شك فيه ـ يقتضى أن تكون لنا ملامح خاصة تميزنا عن أى أمة أخرى ٠

ونحن دائمى البحث ـ منذ أكثر من مائة عام ـ عن هذه الملامح ، فما أكثر ما قيل وما كتب عن مقومات الشخصية المصرية أو الشخصية العربية بعامة ، وأعتقد أن الكشف عن هـذه الملامح لابد أن يأخذ فى الحسبان العناصر المكونة لتفكيرنا والمتسلطة عليه ، والموجهة له ٠

ان هذه العناصر هى التى تحكم سلوكياتنا ، وهى التى تقيم سلم المعايير التى نستند اليها فى هذه السلوكيات ، وهى ـ قبل هذا وذاك ـ

تشكل بنيتنا النفسية ، وقابلياتها ، وأنواع الاستجابة فيها ، وردود أفعالها .

وفى ضوء هذه الأفكار الأولية البسيطة اعتقد أن هذه المكونات ترتد الى مصادر فى التاريخ وفى الواقع غاية فى التباعد ، وينطوى كثير منها على التعارض بل التناقض .

لذلك يخيل الينا أننا نفهم أنفسنا ، والحقيقة أن كلا منا يفهم ذلك فهما خاصا به ، متأثرا فى هذا بمكوناته الفكرية والثقافية ، كما يخيل الينا أننا نفهم عن أنفسنا « أى يفهم الواحد منا الآخر » والواقع أن كلا منا يفهم عن نفسه .

هكذا تتنوع العناصر التى تصب فى البوتقة الواحدة ، ولكنها لا تتمازج ، ويظل كل منها محتفظا بكيانه وخصائصه فى حالة تجاور ، وعلى الرغم من التباين الشديد بين هذه العناصر فانها تعيش فى مناخ من التصالح العجيب .

التحـــدى

●● ..... قلت عن مسرحيتك « محاكمة رجل مجهول » التى كتبتها عام ١٩٧٠ ، « كان التحدى الأساسى فيها هو بلورة لغة شعرية صالحة للمسرح فى الوقت نفسه » .

هل كان هذا التحدى لمهارتك الشعرية ، أو لقدرة من سبقوك فى العطاء للمسرح الشعرى بداية من « أحمد شوقى » و « عزيز أباظة » وانتهاء « بصلاح عبد الصبور » ؟!

قال :

ــ لم أقصد بكلمة التحـدى فى هـذا السـياق أى تعريض بجهود الآخرين . ولعلك لا تدرى أن موقفى حتى من مسرحيات « شوقى » الشعرية يختلف ــ فى تقدير مدى دراميتها ــ عما تواتر على ألسنة النقاد من قبل ، ولكننى قصدت أن التحدى بصفة عامة ــ حتى وقت كتابتى تلك المسرحية، كان ما يزال ــ على نحو ما ــ قائما ، وأن مزيدا من مسرحة اللغة الشعرية ــ اذا جاز التعبير ــ كان ما يزال مطلوبا ، وكان هـذا التحدى يتمثل ــ على وجه التحديد ــ فى تجنب الوقوع ، فى كتابة المسرحية الشعرية ، فيما أسميه « الاستهواء الشعرى » ، فسلطان الشعر على الشاعر ، أو

تسلطه عليه ، صعب مقاومته ، لكن هذه المقاومة تصبح لازمة اذا كنا نريد أن نكتب دراما شعرية بحق ٠

النقد الصحافى

●● ٠٠٠٠٠ تتهم النقـــد الصحافى بالسهولة والتبسيط والتعميم ، وتتهم دخول بعض الصحافيين النقاد معارك وهمية ، واصطناع أحـداث لا مبررة لاقامة محاور تشغل القـراء والمهتمين أكثر مما تفيدهم ، وأن القضايا التى تطرح تبدو فى ظاهرها ذات بريق ، بينما هى فى حقيقتها مضللة ومعطلة وزائفة وتغيب الوعى تغييبا كاملا ، وأن النقد أصبح يرضى مجتمع الثرثرة ؟! ٠

ألا يدعو هــذا الى أن نسأل أين الناقد المتخصص ؟ ولماذا لم يمارس دوره ؟ ولماذا هرب غالبية النقاد الى دول البترول وتخلوا عن دورهم الطليعى تجاه أمتهم ؟!

قال :

ـ الناقد المتخصص موجود ولكنه مزعج لهؤلاء ، لأنه حين يطرح الاشكاليات الجوهرية طرحا علميا فانه يشعرهم بأن الزمن قد تخلف بهم ، وأن ما تبقى لديهم مما يجترونه كل يوم قد أصابه التهرؤ من كثرة تكراره ، وأن أدواتهم صارت أعجز من أن تستكشف آفاقا جديدة للرؤية الابداعية ٠

والأجيال الجديدة التى تدخل الى هذا المجال أعجز من سابقتها ، وهى فى العموم غير مؤهلة للكتابة فضلا عن الكتابة النقدية ٠

أما المشكلات التى يثيرونها من وقت الى آخر فى الصحف فهى غالبا مشكلات ميتة ، أعنى أن الزمن تجاوزها ، وليست هى ما ينبغى أن نفكر فيه اليوم ، وكثيرا ما توجه الى أسئلة أشتم منها أن الهدف الأخير هو أن يقال ان فلانا يقول كذا وفلانا يرد عليه بكيت ، وليكن هذا ال « كذا » ، وهذا ال « الكيت » لا يهم ٠

يسألنى بعضهم ـ مثلا ـ أى كلام عفوى وعشوائى ، فهذا عن الشعر الجديد ، وأن فلانا أعلن رفضه لهذا الاتجاه الشعرى جملة ، فأمتنع عن الاجابة ، فيغضب السائل ويمضى يحاسبنى قائلا : « ولماذا ؟ وقد يسىء فهمى ، ولكن امتناعى عن الاجابة ليس فى الحقيقة الا ضجرا من التكرار ، ومن احياء مشكلات شبعت من قبل كلاما ، وفرغنا منها منذ زمن ، أو فرغت منها حتى الأجيال السابقة ، ألم يكن من هذا الوادى أن تثار فى

أيامنا هذه مشكلة أن تعمل المرأة أو تركن الى بيتها ، تلك المشكلة التى فرغت منهــا أجيــالنا السابقة منذ عشرات السنين ، وتجاوزها الواقع الاجتماعى منذ ذلك الزمن ؟؟

الخلاف الفكرى فى المجتمع

●● ٠٠٠٠٠ طبيعة الخلاف الفكرى الحاد السائد فى المجتمع ، هل هو نتــاج صراع بين أجيال أو تضــارب وتناقض فى الفهم والوعى الثقافى ، نابع من التغيرات الاجتماعية الحادة ، والمعلومات المتداولة بيننا فيها خلط وتزوير لحقائق كثيرة ، دون البحث عن جــذور المشاكل الفكرية والثقافية فى المجتمع ؟

قال :

ـ لقد قلت من قبل ان مصادر تكويننا الفكرى مختلفة ، وأن هذا الاختلاف وحده كاف لأن يعكس أشكالا مختلفة من الوعى ، فكما تخلق الثقافة الوعى الصحيح فانها كذلك قد تزيفه وقد تغيبه ، ولك أن تفرق فى هذه الحالة بين ثقافة بناءة وثقافة دعائية ، وفى كل مجتمع ، وفى كل زمان ، تلعب الثقافة هذين الدورين معا فى أحسن الأحوال ، والجدل أو الصراع بينهما ـ اذا تلازما ـ واقع لا محالة ٠

والأمر عندئذ لا يتعلق باختلاف الأجيال بالضرورة ، فلست تستطيع أن تقول ان الجيل الجديد اليوم فى عمومه أصدق وعيا من الجيل السابق فى عمومه ، ففى هــذا الجيل الجديد قطاعات مغيبة الوعى أو مزيفته ، ومن ثم لا يعكس تفكيرها الرغبة فى تطــور حقيقى وصــحى للمجتمع ٠ والقطيعة بين هذه الفئات والفئات الأخرى ، وبينها وبين الجيل السابق عليها ، هى قطيعة أيديولوجية فى المقام الأول ، أدت اليها بالتأكيد وعملت على تنميتها متغيرات فى البنية الاقتصادية للمجتمع ، استنهضت فى هذه الفئات بعض الآليات الدفاعية ٠ وعلى الجانب الآخر غيبت فئات أخرى أو زيف وعيها حين خلقت فيها هذه المتغيرات نفسها ألوانا من الطموح المدمر ، ومناهج ملائمة من السلوكيات ٠ ومنطقا وفهما للأشياء مغايرين لمنطق الجيل السابق وفهمه ، وسلما جديدا من القيم ، وعلى هامش هاتين الفئتين فئة ثالثة ، تنظر وتتأمل ، وتنفيهما معا ، وعليها تعلق الآمال ٠

ويبقى حوار الأجيــال قائما ومستمرا ، حتى تفنــد كل المغالطات الفكرية والثقافية ، التى يموج بها مجتمعنا ، اذا كنا جادين فى البحث عن حلول صادقة ٠ لابد أن يكون بالتى هى أحسن ، ويكون الصدق هو

المعيار الشامل للوصول الى الحقائق المجردة من كل نزوات شخصية أو تطلعات فردية نحو مكاسب وقتية ، لكن الأهم هو وضع أسس منهجية للمرحلة المستقبلية للانطلاق نحو عالم التقدم ، وهذا لا يكون الا بعطاء المثقفين والواعين لدورهم تجاه أمتهم ، ويبقى البحث مستمرا عن هوية ثقافية تنقلنا الى عالم التكنولوجيا والحضارة ٠٠ !!

نعمان عاشــور

الثورة لم تنتج ثقافة ...!

هذا الأديب بداخله عصارة مراحل تاريخية واجتماعية ، وأحـداث سياسية وثقافية متنوعة ومتعددة حمل الكثير من هموم الوطن والمواطن ‥ حاولت أن أتوغل فى أعماقه لأكشف عن المستور والحبيس داخل نفسه ‥ وخاصة أنه علامة بارزة من علامات الشموخ فى مسرحنا الحديث ـ منـذ قدم مسرحيته « المغناطيس » حتى « لعبة الزمن » ـ ومهما اختلفت معه أو اتفقت معه ‥ فسوف يؤرخ بأنه أحد المراحل الهـــامة فى تحويل مسرحنا من « الذهنية الفكرية » الى « الواقعية الاجتماعية » التى تسيطر على خطوط حركته ‥ وترصد متغيراته بوعى وادراك لما سوف يحدث فى المستقبل نتيجة لتراكمات الأخطاء أو عدم الاهتمام بالمحاذير ٠

وعندما فكرت فى اجراء هذا الحوار كان فى ذهـــنى ألا أتوقف مع الأديب والكاتب المسرحى « نعمان عاشور » عند حدود عشـــقه المتفرد للمسرح ‥ ولكن قررت أن أفجر كل ما بداخله من ذكريات حلوة ومرة ‥ فالسنوات قد حنكته ، والأحـداث التى تمرد عليها قد اقتلعته من وظيفته فى يوم ما وألقت به كعابر سبيل ‥ والسجن الذى جلس خلف قضبانه حفر فى داخله رؤية واضحة لمعنى الحرية ‥ وأنها ليست شعارا تحركه موجات الطرب وهتاف الهـــاتفين ـ « والديماجوجى » ـ الخطيب السياسى البارع فى اللعب بمشاعر سامعيه واعادة تشكيلها ـ الحرية عنده حق وفعل ‥ فالأحداث التى عاصرها قبل الثورة وبعدها ، منحته كثيرا من مشاهدات التغيرات الحادثة فى المجتمع ‥ والى أين يسير ؟! ٠

ولذلك كان أول خطواتنا معه فى الحوار عن المسرح بالتحديد ‥ قبل أن تأخذنا القضايا الأخرى بكل سخوناتها ومطباتها ‥ وخاصة أنه أصدر كتابا بعنوان « المسرح حياتى » ‥ وكتب فيه بالتحديد « أن التعبير

الدرامى وحده هو التعبير المبلور الراكز الذى يستطيع أن يستوعب التغيرات الجذرية الكاسحة ·· يدعو اليها ويدفع الى تحقيقها ·· فضلا عن أنه التعبير الوحيد الأكيد أيضا الذى يعتمد على المعالجة الجدلية الموضوعية لحقائق الواقع الحى فى تغيرها المتلاحق الدائم المتجدد الذى لا يمكن لغير الدراما ·· والمسرح بالذات النطق به ·

هذا الى جانب طبيعة المسرح نفسه كمؤسسة تقوم على التجاوب الحى المباشر مع الجماهير الحية ·· فهو جزء من كيان المجتمع ، يتفاعل فى داخله ليأخذ منه ويركز حصيلته فى قالب العرض الذى يحقق رؤياه وصورته المثلى ·· ثم يعود بتحقق العرض الى طرحها لتصبح بما فيها من قيم ومثل وتطلعات ، وكأنها مولدات الطاقة الجماهيرية التى تنبعث منها حركة المجتمع ويقوم عليها بناؤه ·· » ·

فكان لابد أن نبدأ بهذا السؤال :

المسرح ليس كباريه ·· !!

●● ···· هل ما يجوز أن ينطبق على عالم الاقتصاد ، ينطبق على الفن وخاصة المسرح بتقسيمه الى قطاع عام وقطاع خاص ، وما هو تقييمك لدور الرقابة على المسرحيين ، ولماذا تمنع جرأة مسرح القطاع العام فى تناول المشاكل الجوهرية التى تمس المجتمع ككل ·· وتمنح فى رضا فرمانا فوريا للنصوص الهابطة والمسفة ، أو كما يقال تروج لمسرح « الكباريهات » ، فهل هناك تواطؤ من جانب الرقابة لمصلحة مسرح القطاع الخاص على حساب مسرح القطاع العام ؟ ·

بداية المسرح مؤسسة قومية يجب أن ترعاه الدولة تماما مثل رعايتها للجامعة والتأمينات الاجتماعية والدعم فى القطاع العام ، وخاصة نحن دولة نامية ، لا يجب أن يسخر فيها المسرح لأهداف التسلية والاضحاك ، بقدر ما يلزم قيام المسرح على أساس أنه أبو الفنون ، وبالتالى يجب النظر الى المسرح كمؤسسة ثقافية ومنبر اشعاع فكرى ، ومنار توعية اجتماعية الى جانب كونه رمزا من الرموز الحضارية ·

ولذلك فوجود « مسرح تجارى » ينافس مسارح الدولة ، وضع غير طبيعى ولا يتناسب مع متطلبات شعبنا وحياتنا الثقافية ·· وخاصة اذا راعينا أن الدولة تشجع المسرح التجارى على حساب مسارح القطاع العام ·· رغم أنها هى التى تمول هذه المسارح ·· ومثل هذا الوضع

لا وجود له حتى فى أعتى البلدان المتقدمة وهى « انجلترا » و « فرنسا » .

فالمسرح البريطانى يستظل سواء كان تابعا للدولة أو للقطاع الخاص ، يستظل برعاية « مجلس الفنون » الذى يعين كافة المسارح طبق ما تقدمه من مستويات فنية ، تخدم المسرح فى صورته الجادة كرمز لحضارتها .

وكذلك الشأن فى فرنسا وفى أمريكا ، ينعم المسرح بما تقدمه له الشركات من معونات اقتصـــادية وان طغى عليـــه الجانب التجارى الاستعراضى .. !!

المسرح مؤسسة قومية وليس مشروعا استثماريا .. ويجب ألا يقدم للناس فى بلد كبلدنا الا الخدمة الثقافية ولا يبيع لهم الثقافة كســلعة تجارية .. « كبوتيكات الضحك » القائمة حاليا ، والتى قضت تماما على المسرح الجاد واكتسحت أمامها مسارح الدولة ، حتى كادت تغلق أبوابها .

وهذا يعود بالذاكرة الى بداية ظهور المسرح فى حياتنا المعـاصرة ، مواكبا لثورة ٢٣ يوليو ، وهو المعروف بمسرح الستينيات .. فقد كان من القطاعات العامة التى أنشأتها الدولة ، وتركز نشـــاطه فى المسرح القومى الذى قدم بالفعل طبقا للاحصاءات فى مواسمه بدءا من عام ١٩٥٧ حتى ١٩٦٠ ما لا يقل عن ١٥ مسرحية فى كل موسم .. وقد قدم بالذات فى موسم ١٩٥٧ اثنين وعشرين مسرحيـــة .. وفى عام ١٩٥٨ عشرين مسرحية .

وليست القضية قضية عدد ، وانما تشير هذه الاحصائية الى ما كان عليه المسرح المواكب لثورة ٢٣ يوليو ، بالمقارنة مع المسرح الحالى بشقيه الحكومى والتجارى فهو لا يكاد يقدم ٧ أو ٨ مسرحيـــات فى كل موسم وبواسطة ما لا يقل عن ٧ أو ٨ فرق .. فى حين كان المسرح القومى يقدم فى موسم وحده ضعف هذا العدد .

ومن أجل ذلك سعت العناصر المعادية للثورة منذ بداية الستينيات ـ لأنه كان أقوى المنابر فى التعبير عن منجزاتها ومبادئها ـ الى محاصرة مسرح القطاع العام ومحاربة كتابه على وجه الخصوص .. وكان البديل الطبيعى « بدءا من فرق الاضحاك المعروفة « بساعة لقلبك » ثم « مسارح التليفزيون » .. ثم هذا الوضع المتزايد فى الفرق التجارية القائمة حاليا ، والتى افرغت الحياة المسرحية من قيمتها الحقيقية ، وأنا شخصيا أعتبر أن هذه التطورات مبنية على أساس معاد للثقـــافة ومناهض لأقوى المنابر التعبيرية .. بدليل أن التليفزيون فى فترة السبعينيات قام بمسح شرائط جميع المسرحيات التى سجلها وعرضها من تراث الستينيات واستبدلها بما يقدمه المسرح التجارى بشتى فرقه من هزليات مسلية .

قضية الرقـابة

أما عن الرقابة ·· فأنا شخصيا من أنصار وجود الرقابة ·· وأعتقد أن الرقابة هي خير ضمان لحماية الجمهور المشاهد من الاسفاف والتهجم ·· لكن الذي يؤسف له أن قوانين الرقابة ذاتها وتنظيمها بالصورة التي عليها تجعل من السهل تلافي محاذيرها ·· بدليل أن الكثير من الفرق ومن الممثلين يتخذون من مصادرة الرقابة دعاية لأفلامهم ·· وخير شاهد على ذلك الخروج على النص والبذاءات التي يتفوهون بها على خشبة المسرح أثناء ليالي العرض ·· وقد قدم أكثر من واحـــد للمحاكمة بسبب هـــذه التصرفات :

قضية الرقابة ، التزام الفنان نفسه برسالته وحرصه على نظـافة الفن الذي يقدمه الى جمهوره ·· لكن مما يؤسف له أن وجود القطـــاع التجاري وعلى هذه الصورة ، وتحول مفهوم المسرح على أنه عروض مسلية لبيع الضحك هو المسئول الأول ·· أضف الى ذلك مخادعة أصحاب الفرق الخاصة للجمهور واجتذابهم له عن طريق تقديم العروض الهابطة ·· ولعل السبب الرئيسي في كل هذا أن ما يقدم على مسارح القطاع الخاص ليس مسرحا ، وانما مجرد « اسكتشات جنسية » ومبتذلة لا تفترق عما كان يقدم قديما على مسارح « روض الفرج » و « صالات الرقص » ·· وهو لا يعدو أن يكون صورة مبلورة « لكباريهات شارع الهرم » ·· !!

الجمهور ومسرح الكباريهات

والمسألة متوقفة في نهاية الأمر على نوعية الجمهور المشاهد ·· ففي خلال فترة السبعينات بعد انطفاء جذوة مسرح الستينات نشأت « طبقـة طفيلية » ، جديدة لا يهمها من المسرح الا التسلية والضحك ، وليس لدى أفرادها أي حرص على القيم والتقاليد ، وما يجب أن يقدمه المسرح من رأي أو فكر ·· ولذلك يصعب في الوقت الحالي تقديم المسرح الجاد لجمهور على هذا المستوى من التذوق !! ·

ولذلك فان الخلاص من هذا الوضع والارتقاء بأذواق الجماهير التي أهدرها المسرح التجاري ، يتوقف على التليفزيون ، هو وســـيلة التعبير الوحيدة القادرة على تقديم المسرح الجاد لملايين المشاهدين ·

وبالتالي المحافظة على أذواق محبي المسرح ، وتقديم المسرح الحقيقي الذي يلزم أن يشاهده الناس ·

ومن المؤسف أن التليفزيون يفعل العكس من ذلك تماما ‥ فهــو لا يقبل الا على مسرح التسليــة والاضحاك تحت زعم أن « **الجمهور عاوز كده** » ‥ !!

وبعد أن تناول الأديب « نعمان عاشور » هموم المسرح وقيم دوره فى تناول المشاكل الجوهرية والحيوية التى تمس المجتمع ككل ، وأوضح خطورة المسرح التجارى على القيم وترويجه لكل ما هو مسف ومهلهـل للسلوكيات ‥ ووصفه بأنه مسرح الكباريهات ‥ وحتى لا يضيع خيط الحوار منا بعد أن ضربنا على الوتر الحساس عند الأديب « نعمان عاشور » ‥ ألا وهو عشقه الوحيــد للمسرح ‥ كان علينا أن نقتلعه من على خشبة المسرح ‥ ونضعه فى قلب أحداث التاريخ الذى عاصره ‥ فكان لابد أن نطرح عليه مثل هذا السؤال ·

الثورة لم تنتج ثقافة

‥‥ ما رأيك فى الأدب والفن قبل الثورة ، والأدب والفن فى عهد عبد الناصر وعهد السادات ، وهل حقيقة أن الثورة لم تنجب أدبا حقيقيا ولا أدباء لهم وزن ثقافى وفنى ، وهل الفكر عندنا عجز عن تحقيق طموح الأمة ؟! ·

صمت الأديب « نعمان عاشور » وسرح بفكره بعيدا ‥ وكان دورة الزمن قد تراجعت به الى الوراء ٤٠ عاما فارتسمت على ملامحه صور الماضى والحاضر بكل ما فيه من تصارعات وآمال ·

قال :

ـ ثورة ٢٣ يوليو لم تنتج ثقافة ‥ وانما قامت ثورة ٢٣ يوليو وحققت منجزاتها فى ظل ثقافة الأربعينيات ‥ ولولا وجود حركة ثقافية ضخمة سابقة على الثورة لتعثرت الثورة فى خطواتهـــا الأولى ‥ فمعظم الكتاب الذين برزوا وأنتجوا فى مواكبة ثورة ٢٣ يوليو ، هم أصلا من كتاب الأربعينيات ، الذين تمرسوا بالنضال السياسى ضد الاحتلال والحكم الملكى المطلق ‥ هؤلاء هم الذين وضعوا المبادىء الأساسية للثورة ‥ وهم الذين وقفوا لحماية هذه المبادىء فى المراحل الأولى للثورة قبل الهزيمة فى عام ١٩٦٧ ، وأنت اذا رجعت الى الحركة السياسية التى قام بها الطلبة والعمال ، والتى عرفت باسم « فورة ١٩٤٦ » ‥ لوجدت أن مبادىء الثورة الستة فى جميع المنشورات والمجلات والجرائد التى كانت تصدر فى هذه

الفترة .. وعلى رأسها مجلات « الفجر الجديد » و « الملايين » و « الجماهير » وجريدتى « صوت الأمة » و « الوفد المصرى » .. ممثلة فى كتابات رائد ثقافى كبير هو المرحوم الدكتور « محمد مندور » .. فقد كان من أبرز ما نادت به هذه الجرائد والمجلات .. وهى فى أغلبها مجلات سياسية ، « الدعوة الى تحديد الملكية الزراعية » و « تحديد سلطة الملك » و « توسيع رقعة الديمقراطية » و « تعلية خزان أسوان » و « تكوين جيش وطنى قوى » للقضاء على الاحتلال والتخلص من التبعية لأى نفوذ أجنبى .. وهذه بالفعل هى المبادىء الستة التى تبلورت فى ظل ثورة ٢٣ يوليو .. حتى الدعوة الى تأميم قناة السويس خرجت من أعطاف الفكر السياسى ابان الأربعينيات .

ولذلك فاننى أعتبر « عبد الناصر » مفجر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واحدا من أبرز المثقفين الذين أنتجتهم الحركة السياسية والثقافية التى كانت تغمر حياتنا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى قيام الثورة .

كل هذا يدلك على مدى ما كان يحظى به الأدب والفن قبل قيام الثورة .. فقد كانت الثقافة هى عماد الحياة السياسية فى تلك الفترة .. كانت القاهرة هى مركز الاشعاع الثقافى للعالم العربى كله .. ففى ظل مرحلة الأربعينيات كانت القاهرة تمثل مركز الثقل فى الازدهار الثقافى وكافة الكتاب والأدباء الذين أصبح لهم وجود فعلى بعد قيام الثورة .. نشأوا أصلا فى ظل ثقافة الأربعينيات .. وهم على سبيل الحصر لا المثال .. « نجيب محفوظ » فى الرواية .. و « يوسف ادريس » فى القصة القصيرة .. و « عبد الرحمن الشرقاوى » و « صلاح عبد الصبور » فى الشعر .. هؤلاء هم نتاج ثقافة الأربعينيات .. وهم الذين حملوا راية التعبير الدرامى من خلال المسرح ابان الستينيات .. وهؤلاء الأدباء والكتاب والفنانون والمفكرون هم الذين عاشت على انتاجهم ثقافة ٢٣ يوليو حتى بداية السبعينيات ، حتى تغير الوضع السياسى بعد وفاة «عبد الناصر» والردة التى حدثت بالنسبة لمنجزات الثورة .. فكان طبيعيا أن يتخلى النظام الجديد الذى أعقب الوفاة عن الحركة الثقافية المصاحبة للثورة .. فهاجر معظم كتابها ومفكريها .. ومن بقى منهم داخل مصر فرض عليه الصمت ، مادام ابتعد عن التعبير عن الأوضاع الجديدة ، التى تمثلت فى الأخذ بنظام الانفتاح والعودة بالأوضاع الاجتماعية الى الوراء .. وما أعقب ذلك من ظهور الطبقة الطفيلية الجديدة .. ولهذا وقع الاختيار على بعض العناصر العاجزة لشغل الفراغ الذى خلا باستبعاد الكتاب الحقيقيين وأصبحت الكتابة محصورة فى مجموعة من الكتاب المعينين تعيينا رسميا فى المراكز

والروابط والجمعيات الثقافية ووسائل التعبير العديدة التى تسيطر عليها الدولة بنظامها الجديد ٠

والفكر فى الوقت الراهن فى مصر مجمـــد ومنفصل عن التيـــار الثقافى القويم الممتد عبر تاريخنا الحديث بدءا من « رفاعة الطهطاوى » حتى اليوم ٠

وقد زاد من تجمد هذا الفكر سيطرة الدعوات السلفية التى تناهض كل فكر متقدم وتدعو الى الرجوع الى التراث واستبعاد معايشة العصر بأفكاره ومبادئه ٠

وبعد هذا الحديث المشحون بالشجن كان لابد أن نطرق بابا مغلقا لنعرف ما أصاب عمالقة الفكر والإبداع العربى على أيدى الثـــورة ٠٠ فطرحنا هذا السؤال ٠

نكسة التراجع أم دروشة

٠٠٠٠ هل حدث قهر لأصوات الذين كانوا يكتبون فى السياسة قبل الثورة مثل العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل ، واحمد لطفى السيد وغيرهم ، ففضلوا الكتابة فى التراجم والدين والتكثيف فى عالم الأدب دون الدخول مع الثورة فى صراع ، أو أن دورهم قد انتهى ، أو أنهم كانوا فى انتظار خطى الثورة ، وعندما فقدوا الثقة فيهـــا تقوقعوا على أنفسهم ؟! ٠

قال :

ـ هؤلاء الرواد كانت لهم مواقفهم السياسية المعروفة قبل الثورة ، نتيجة انتمائهم للأحزاب السياسية التى ألغت الثورة وجودها ٠٠ ولذلك قصروا انتاجهم على الأعمال الأدبية ٠٠ ولأنهم على سنوات الثورة كانوا قد استهلكوا شيخوختهم فلم يقدموا شيئا جديدا ٠٠ !!

●● ٠٠٠٠ يقال ان جيلكم لم يكن مؤثرا وصانعا لأجيال تالية له ، لأنه وضع نفسه فى خدمة السلطة وفى خدمة تحقيق طموحاتهـــا ، دون الدفاع عن مبدأ وارساء قواعد لهـــا دور فعـــال عنـــد الشعب ، ولذلك نظر الشعب الى الأديب والمثقف نظرة امتعاض ، لأنه وجد المثقفين يراهنون على حريته لدى الحاكم مرة ، ومرة أخرى يبيعون أنفسهم ويقدمونها قربانا للسلطة ، فكره الشعب الثقافة ، وكان الناتج هـــذا الاضمحلال فى كل الفنون ؟! ٠

قال :

ـ هذه دعوة كاذبة ·· فجيلنا لم يقصر فى أداء رسالته ، وعلى قدر ما كان يؤدى الايجابيات فى ثورة « عبد الناصر » ، على قدر ما كان يقف فى وجه سلبياتها ·· بدليل ما لقيناه جميعا فى ظل حكم « عبد الناصر » ·· فأغلبنا ان لم يكن قد اعتقل أو سجن ، فانه كان يفصل من عمله ، والمعركة بين ثورة ٢٣ يوليو والمثقفين من جيلنا معركة واضحة ، كان هدفها الأول والأخير محاربة « الحكم الديكتاتورى » الذى حال دون تطور ٢٣ يوليو لافتقارها الى طلاقة حرية التعبير ·· وتجد هذا ماثلا تمام المثول فى كافة الأعمال التى صدرت فى ظل ٢٣ يوليو ·· سواء كانت أعمالا مسرحية أو روائية أو حتى من الانتاج الشعرى ·· وأضرب لك مثلا على ذلك « أولاد حارتنا » لنجيب محفوظ ، ومسرحيتى « وابور الطحين » التى سفهت فيها قيام الاشتراكية على أساس مجرد اصدار قوانين ·· ومسرحية على سالم « انت اللى قتلت الوحش » وكثير من المسرحيات والكتابات ·

وقد كان عهد « عبد الناصر » نفسه يبيح نشرها وتقديمها ·· ولم يحدث أن صودرت رواية أو قصة أو مسرحية ·· وربما كان هذا نوع من الدهاء من جانب الحاكم ·· !!

ولكن حقيقة الأمر أن المثقفين لثورة ٢٣ يوليو ، وهم الذين وقفوا يذودون عنها على بداية السبعينيات ولاقوا من صنوف الاضطهاد مما دفعهم الى الهجرة أو الانزواء ·

أما بالنسبة للأجيال التالية لهم فان ظروف وتطورات الثورة لم تتح الفرصة لتواصل أجيالها ·· لأن الجيل الجديد الذى نشأ فى أعقاب الثورة نما وترعرع وصلب عوده فى هزيمة قاسية وما تلاها من ردة عن مبادىء الثورة ·

انهيـــار الأغنيـــة

وحتى تهدأ العاصفة مع التحاور ·· وحتى لا نجعل المواقف أشد سخونة وتوترا ·· اتجه حديثنا نحو المغنى التى هى حياة الروح ·

···· هل أغانينا تمثل علاجا لعيوبنا الاجتماعية والأخلاقية أو أنها ضجيج زمر وطبل ، وما هى الأسباب التى أدت الى تدهورها وانهيارها ؟!!

قال :

ـ الانهيار الماثل فى الموسيقى والأغانى هو نتيجة طبيعيـــة للمناخ الثقافى السائد ٠٠ فمن غير المعقول أن تكون الســـينما على هذه الصورة والمسرح على هذه الصورة ، وننتظر أن يوجد موسيقيون يقدمون أعمالا فنية تتجاوز الانحطاط الثقافى السائد ٠٠ ولذلك طغت موجة أغانى الكاسيت الخالية من كل معنى أو قيمة موسيقية ٠٠ وأصبحنا نتحسر على أغانى زمان وأيام زمان ٠

وسد السبيل أمام ظهور موسيقيين عبقريين ، أو مطربين أفذاذ من على شاكلة « ســـيد درويش » و « زكريا أحمـــد » و « الســـنباطى » و « أم كلثوم » و « عبد الحليم » وكأنهم نهاية المطاف ٠٠ !!

الدولة والانتاج السينمائى

٠٠٠٠ وعندما سألته عن أسباب أزمة السينما ؟ ٠

قال :

ـ أنا من أنصـــار أن تراجع الدولة سياستها بالنســـبة للانتاج السينمائى ، وأن تسعى الى تحقيق بداية جديدة تخدم مستقبل الســـينما وتطورها ٠

وفى اعتقادى أن أسلم وسيلة الى ذلك ونظرا لخطورة السينما ، أن تتدخل الدولة فى الانتاج السينمائى ٠ باعادة تكوين ودعم القطاع العـــام للسينما خصوصا بعد أن اتضح أن مؤسسة الســـينما على عكس مزاعم المنتجين لم تخسر الخسائر التى صوروها ٠٠ فقيام القطاع العام السينمائى الى جانب اشراف الدولة على ما ينتجه القطاع الخاص هو السبيل الوحيـــد لتصحيح المسار السينمائى ٠٠ أما ترك الانتاج على علاته وبهذه الصورة التى تمكن كل من لديه ثروة سواء كان مصدرها شريفا أم غير شريف أن ينتج فيلما أو عدة أفلام لمجرد الكسب المادى السريع ٠٠ فان هذه أكبر جناية على ثقـــافة الشعب ٠٠ وقد ناديت بذلك منـــذ عـــام ١٩٥٨ فى مسرحيتى « سينما أونطه » لابد من وضـــع شروط محـــددة للنشـــاط الانتـــاجى فى السينما ٠٠ بحيث يوجه الى خدمة حياة الناس بدلا من اهدار كافة القيم بما فيها القيم الأخلاقية ٠٠ بما فيها مضاعفة ثروة المنتجين ٠٠ !!

الاغتراب فى حياة الأديب

.... متى يكون الاغتراب فى حياة الكاتب والأديب والمفكر ، وهل هذا فى صالحه أم فى صالح مجتمعه ؟! .

قال :

ـ لا يمكن لأى أديب صاحب رسالة ويعيش فى مجتمع كمجتمعنا أن يكتب عليه الاغتراب .. لأن الاغتراب لا يصيب الا الأديب أو الفنان الفردى أو الذاتى .. وهو يقضى عليه ولا يفيده طالما أن مصدر انتاجه الحقيقى جماهير الشعب .. هو ثمرة معايشته لملايين البشر .

مسافر عبر الزمن

وقبل أن نقترب من نقطة النهاية ، وبعد الرحلة الحوارية الممتدة .. والتى تجاوزت حرارتها لسعات البرد بكذا درجة .. حتى أحسسنا أننا فى قيظ الصيف .. ولكن لم يخل من نسائم مرطبة ومن ألفة أضفاها على المكان هدوء الأديب « نعمان عاشور » .. وتسامحه تجاه ما كنت أثيره من قضايا تمسه هو شخصيا .. لكن حرصه على ايضاح ما التبس على الشباب جعله لا يضن على بالاعتراف بالحقيقة ..

فهو أحد الذين رفضوا تعثر الحركة المسرحية وما يجتاحها من تيارات تميل بالمسرح الى مجرد أن يكون دارا للهو والتسلية والاضحاك ، بدلا من أن يكون مؤسسة ثقافية ومنبرا للاشعاع الفكرى ، ومنارا للتوعية الاجتماعية ، وهو الذى كان يؤمن أن الأزمة ليست أزمة نصوص ، ولا أزمة امكانات ولا أزمة طاقات .. انما هى أزمة تغير فى المفهوم الحقيقى للمسرح بصفته أداة للتجاوب المباشر مع الجماهير ، قائم على الرؤية التى لا تسلم بالواقع بقدر ما تسعى الى تغييره .

والكثير من أعماله احتكرها المسرح القومى من بينها « الناس اللى فوق » و « الناس اللى تحت » و « سينما أونطه » عام ١٩٥٩ و « عيلة الدوغرى » عام ١٩٦٠ .

أول عمل مسرحى له كان « المغناطيس » عام ١٩٥٠ ، ومنذ ١٩٧٠ صدر له « الجيل الطالع » ١٩٧٢ و « بشير التقدم ـ رفاعة الطهطاوى » ١٩٧٤ و « بحلم يا مصر » ١٩٧٥ و « برج المدابغ » و « لعبة الزمن » ١٩٨٠ .

.... وفى النهاية سألته .. هل كتاباتك ردود افعـــال لأحداث اجتماعية حدثت وانتهت أم أنها رؤية مستقبلية ؟! .

قال :

ـ كتاباتى كلها تنبـــع من الواقع ومعـــاركه .. الواقع الحى بغيـــة استكشاف حقائقه الموضوعية ، وبهدف تحديد مساره نحو المستقبل .. ولذلك فان مضمون مسرحياتى قائم على أساس المعالجة الواقعية والرؤية المستقبلية .. فهو ليس مسرحا موقوتا بفترة معينة من فترات التطـــور الاجتماعى ، لأنه قائم على رسم الشخصيات الانسانية الحية فيما سيأتى من مجتمعات .

فتحي غانم

الثقافة والوزارة ... !

الأديب « فتحى غانم » غواص ماهر ٠٠ غاص فى أعماق عالم الصحافة الرحب ، الممتد بكل دهاليزه وأروقته ٠٠ عرى هذا العالم الغامض ٠٠ ربطنا فى خيوطه ٠٠ جعلنا جزءا من نسيج شباكه ٠٠ أمسك هذه الشباك ورمى بها فى هذا المحيط الصاخب ٠

أخرج للناس ما كان خافيا عن الأعين ٠٠ جرد دنيا الصحافة من كل ملابسها ٠٠ وقال فى صدق ، هذا هو « بلاط صاحبة الجلالة » ٠٠ بكل خطاياه وعقده ٠٠ بكل تماسيحه وحيتانه ٠٠ بكل شروره وآثامه ٠٠ بكل ما فيه من وعى وتخبط وجدل ووصولية وفوضوية ٠٠ بكل ما فيه من أضداد وصراعات وتملق ونزق وطيش ٠٠ قدم كل هذا فى « الرجل الذى فقد ظله » ٠٠ حتى جعل ناقد « الصنداى تايمز » **يكتب قائلا :**

« ٠٠٠ ان المتسلقين المصريين يبدون وكأنهم أبناء عم للمتسلقين عندنا ٠٠ وكل مدلل مغرور ٠٠ وكل من يضرب أو يطعن الآخرين فى ظهورهم ٠٠ يشبه كثيرين ممن أعرفهم بيننا ٠٠ وأقترح أن نستورد لانجلترا تعبير « يا صاحب السعادة ٠٠ » كأفضل أسلوب لمخاطبة اللوردات هنا ٠٠ !! » ٠

لم يتوقف قلم « فتحى غانم » عند حدود منطقة معينة ٠٠ بل مد قلمه الى كل الأبواب المغلقة فى قلاع الصحافة ٠٠ وصور ما يحدث خلف هذه الأبواب من مصائب ومكائد ٠٠ فجاءت روايته « زينب والعرش » لتثير جدلا قويا فى داخل المجتمع المصرى وخارجه ٠٠ ولتسلط الأضواء بشدة تجاه هذا العالم ٠٠ حتى انك كنت تجد الناس بين مصدق ومكذب ـ لكل هذا الذى يحدث فى « زينب والعرش » ـ ومتأمل وباحث عن

الحقيقة تجاه هذه الشخصيات ، وصدق هذه الأحداث ٠٠ وهل صاحبة الجلالة بمثل هذا العنف والقسوة والجبروت وأيضا الضعف والرذيلة والخسة ٠٠ ؟!

« ويحسب «لفتحي غانم» قدرته وتفرده في تجسيد الواقع الصحفي بواقعية وصدق ، من خلال دراما راقية ٠ لأنه يحرك شخصياته المتأهبة طوعا ، أو كرها للصراع أو الصدام مع ارادات متشابكة ، ومتباينة ، ولا يستطيع القارىء الافلات من التعاطف مع بطله ، ذلك الذى يواجه معركة حياته ، قبل أن يواجه معركة أخرى ، ولأن هذا البطل من عالمنا تثور الأسئلة عن المقابل له في الواقع » ٠

« وعلى هذا النحو تأتى كتاباته في واقعية متطورة مع الأحداث ٠٠ ففي أعماله كما يقولون : يعالج القضايا الآتية ، ولا ينتظر مرور الحدث حتى يكتب عنه ٠٠ انما يواكبه ويرصده ، وقد يسبقه في بعض الأحيان ، كما حدث في « الأفيال » التى تنبأ بالكثير مما وقع بعدها » ٠

ورغم أن « فتحي غانم » قد بدأ حياته العملية « مفتش تحقيقات بادارة التحقيقات » في وزارة التربية من عام ١٩٤٤ الى عام ١٩٥٤ ، الا أنه عمل بأخبار اليوم من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٥٦ وانتقل الى روز اليوسف ، رئيسا لتحرير مجلة صباح الخير عام ١٩٥٩ وانتقل الى الجمهورية ووكالة أنباء الشرق الأوسط ، لم يتوقف انتاجه الأدبى فكتب « تجربة حب » و « الجبل » و « من أين ؟ » و « الساخن والبارد » و « الرجل الذى فقد ظله » و « زينب والعرش » و « الأفيال » ٠

ويقول « فتحي غانم » عن ذلك : « دخلت عالم الصحافة من الباب الخلفي ، أى باب الصفحات الأخيرة ٠٠ صفحات الأدب والفن ، وبعد ست سنوات من بداية عملي ٠٠ أصبحت رئيسا للتحرير ٠٠ فقمت بعملي كما لو كنت أكتب رواية ٠٠ فبحثت فيما أقدمه مع زملائي للقراء عن الصراع الانساني ، وانطلقنا الى آفاق أبعد من حياتنا اليومية ، نتحدى الخيال ونسعى وراء المجهول ٠

وما زال « فتحي غانم » في سعيه وبحثه الدءوب لتقديم مزيد من الأعمال الروائية ٠٠ واذا كانت جذوة الأدب ما زالت مشتعلة في قلب وعقل « فتحي غانم » ٠٠ فانني أحاول أن أقدم من خلالها حوارا ممزوجا بالفن والثقافة والموسيقى ٠٠ وعندما التقيت به ٠٠ دار هذا الحوار ٠٠

.... هناك رأى يقول : « ان الثورة لم تنتج ثقافة ، وانما عاشت على ثقافة الأربعينات ، وأن الديكتاتورية والحكم الفردى حالا دون تواصل الأجيال ودون التطور الثقافى . ما رأيك فى هذا ؟! .

قال :

ـ أنا لم أقم بدراسة أدبية وعلمية لهذا السؤال ، كل ما أعرفه أننى كتبت أو حاولت الكتابة من سن المراهقة قبل الثورة .. وفى أثناء الثورة .. وبعد انتهاء الثورة .. وأصبح يقال انها تحولت الى الشرعية .

الثورة بالنسبة لى كأديب موضـوع وقضية عامة .. واذا كنت تناولتها فى رواياتى ، كان لابد أن أواجه ما يحدث ، لأنه يمثل حياتى ... ولم أحاول أن أحدد اذا ما كان أدبى فى بداياتى ينتمى الى ما قبل الثورة أو الى ما بعدها .

وهذه التقسيمات تحتاج الى بحث ومنهج ، وأنا لا أعرف هذا المنهج .. كل ما أعرفه أنى أكتب ما أريد أن أكتبه .. وعندما وجدت أثنـاء الثورة « الانتهازية » ترفع شعارات « الاشتراكية » . كتبت « الرجل الذى فقد ظله » .. وعندما وجدت الحياة باسم « تكافؤ الفرص » تتحول الى غابة ، يقاتل فيها البشر بعضهم بعضا ، صورت هذه الغابة من خلال مجتمع الصحافة ، الذى مارست فيه عملى ، كتبت رواية « زينب والعرش » .. وعندما وجدت أن الدين أصبح شعارا يستغل فى المعارك السياسية ، قلت ان هذا لعب بالنار وكتبت رواية « الأفيال » ...

وبعد انتهاء المد الثورى وتحول الثورة الى الشرعية ، وظهور مجتمع الانفتاح ، وظهور طبقات جديدة أصبحت لها الكلمة ، وأصبح لها المال والنفوذ فى المجتمع كتبت رواية « قليل من الحب وكثير من العنف » ..

وقبل الثورة وفى أيام الملكية شاهدت تجربة انشاء قرية نموذجية فى الأقصر لسكان الجبل فى « وادى الملوك » ، « بالجرنة » .. كتبت رواية « الجبل » .. ان محاولات الاصلاح « النموذجية » كانت تسير فى واد والسلطة الحاكمة فى واد آخر .. والعزلة كاملة بين الحاكم والمحكوم وكان ذلك فى رواية « الجبل » بالنسبة لى على الأقل .. أنا أكتب متأثرا بالواقع الذى أعانى منه وأواجه تحدياته ، وهذا الواقع ممتد سواء كان قبل الثورة أو فى أثنائها أو بعدها .

اللحظة تؤثر على الفنان

واذا رجعنا الى دراسة هامة قام بها الدكتور « مصطفى سويف » عن « الأسس النفسية للابداع الفنى » ·· نجده يحكى لنا قصة سمعها من الشاعر « أحمد رامى » ·· اذ كان يقول له : انه وهو يفكر فى كتابة قصيدة تغنيها « أم كلثوم » ويحلم بالحب والجمال ، وفى أثنـاء ذلك سمع غرابا ينعق ، فلابد أن يتأثر بنعيق هذا الغراب ، لأن هذه اللحظة بالتأكيد سوف تؤثر عليه وعلى ابداعه الفنى ·

اذا كانت اللحظة تؤثر على الفنـان ·· فكذلك يؤثر اليوم وتؤثر السنة وتؤثر الظروف نفسها ·

والأدباء الذين كتبوا فى الأربعينيات قبل الثورة ، ثم عادوا وكتبوا بعد الثورة كتاباتهم فى المرحلتين تختلف ·· وكذلك نشأ كتاب كثيرون بعد الثورة ، سواء فى الرواية أو القصة القصيرة ·· وقبل ذلك فى الشعر أو المسرح ·· ولا نستطيع أن نقول ان حياتنا أجدبت فى وجـسود هؤلاء الأدباء ·· لأن مسرحيـات « سعد الدين وهبـة » كلها قامت فى عهـد الثورة ·· وكتاب الرواية مثل « يوسف القعيد » أو « صنع الله ابراهيم » أو « عبد الفتاح رزق » أو « اقبال بركة » أو « سكينة فؤاد » أو فى القصة القصيرة مثل « محمـد بسطامى » و « مجيد طوبيا » و « جمال الغيطانى » · ويصعب علينا أن نصدر عليهم أحكاما فى هذا الوقت ·· والأمر يحتاج لوقت ولاصدار حكم وتقييم · اذا كان حتى بالنسبة لجيلى متعذر الحكم عليه ·· لأننا نحتاج لمرور عدة أجيال ، قبل أن نعرف اذا ما كان لهذا الأدب قيمته التى تبرز وجوده ، أو أنه انفعالات وقتية فى حينها والتى لا تبقى بعد ذلك ·· كل ذلك يجعلنى أتحرج أن أقول ان الأدب يرتبط بفترة معينة ·· !!

لمـاذا صمت النقاد

····· بعد فترة من الصمت القصير سادت بيننا ·· قطعتها بهذا السؤال ·

« يقول « نيتشه » : كل الفنون تحتاج للمشاهدة ·· فالرواية من غير قارىء لا تصبح رواية ·· والقصيدة بغير قارىء لها لا تصبح قصيدة ·· أى أن العمل الفنى يكتمل بالتلقى والمتلقى » ·

لمـاذا يصمت النقاد عن تقييم أعمالك ، ولمـاذا لم تستفد السينما بكل رواياتك ؟!

قال :

ـ النقاد يهتموا أو لا يهتموا هذا لا يعنينى ٠٠ وهذا السؤال يوجه للنقاد ٠٠ وهناك احتمالات كثيرة ٠٠ منها الروايات نفسها واجهت قضايا صعبة ٠٠ فالكلمات التى كتبت عن « الأفيال » وصلتها بالأوضاع السياسية ، وهذا يجعل الناقد فى حرج شديد ٠٠ فاذا كنت أغلف السياسة بالأدب الروائى ٠٠ بينما مهمة الناقد أن يحولها الى صورتها الواقعية ٠٠ فهذا هو السبب كما يبدو لى فى صمت النقاد ٠

فكيف تفسر أن « الرجل الذى فقد ظله » كتب عنها أكثر من ٥٠ مقالة نقدية فى الصحف العالمية ٠٠ من «التايمز» الى «النيويورك تايمز» الى « الصانداى تايمز » الى « النيوزويك » ٠٠ وقد تساءلت « النيويورك تايمز » عن بطل الرواية ، وما هو صلته بالصحفى الكبير « محمد حسنين هيكل » ؟! ٠٠ كتب « صلة الرواية بشخصية هيكل كصحفى كبير فى مصر ٠٠ » هذا الموضوع فى أيام « عبد الناصر » أثار حرجا شديدا ٠٠ من من النقاد يستطيع أن يصدر نقدا مثل هذا أو يتعرض لموضوع مثل هذا سواء بتأييده أم نفيه ويتعرض لحرج شديد ؟!

ربما كان هذا بالنسبة للنقاد والله أعلم ٠٠ الواقعية فى الأدب ليست نقلا حرفيا أو مسطرة ٠٠ والبطل أبوه مدرس ، وهيكل ليس أبوه مدرسا ٠٠ لكن تظل المناقشة فى الرواية قائمة ، لأن بطلها صحفى مغمور استطاع أن يصل الى أكبر صحفى فى مصر ، ومن هنا جاءت الرغبة فى المقارنة ٠

علاقتى بالسينما

ليست لى علاقات عامة كثيرة ٠٠ فأنا لا أكتب مباشرة للسينما ٠٠ أحاول فى كتاباتى أن أطرق أساليب جديدة وحديثة جدا ، من الصعب ترجمتها سينمائيا ٠

اللغة السينمائية فى مصر ما زالت مبسطة ٠٠ وأنا أعتمد على المنولوج الداخلى أو توارد الخواطر أو نقلات فى داخل النفس البشرية ٠٠ وتنقلها من حالة الى حالة ٠٠ وتذكر أشياء بعيدة جدا ٠٠ وتحتاج فى السينما الى بذل مجهود كبير جدا ٠٠ وعلى أية حال فى الفترة الأخيرة لى روايتان تعدان للسينما ٠٠ احداهما تناقش تاريخ الارهاب فى فترة الأربعينيات ومقتل « أمين عثمان » ٠٠ واحتلال الانجليز لمصر أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

لم افلح فى اقناعه

٠٠٠٠٠ كتب « أحمد بهاء الدين » فى مجلة العربى : « كان رأيى ، كصديق أنه لن يكون كاتبا سياسيا ولا مديرا الا من الدرجة الثالثة ٠٠ وانه حرام أن يترك الفن الذى هو فيه من الدرجة الأولى الى تلك الأشياء ٠٠ وأخيرا ٠٠ فان ما أتمناه هو أن يكون نجاح رواية « زينب والعرش » قد أقنع « فتحى غانم » بما لم أفلح فى اقناعه به منذ خمس عشرة سنة تقريبا ، وهو أن يترك كل شىء آخر ، ويهب روحه وطاقاته كاملة لشيطان الفن فانه فى هذا المجال قدير أن يقدم لنا ما لم يقدمه غيره » ٠

ما هو تعليقك على هذا الرأى ٠٠٠ ؟!

قال :

ـ رأى « بهاء » هو أن الانسان مطالب بأنه يتخصص فى أشياء يجيدها ٠٠ فاذا كنت أجيد كتابة الرواية ، أتخصص فى كتابة الرواية ٠٠ واذا كان هو يجيد كتابة المقال السياسى فيتخصص فى كتابة المقال السياسى ٠٠

يبدو أن هذا الكلام فى أول وهلة كلام سليم ومنطقى ٠٠ ولكنى فى الحقيقة لا أنظر للموضوع لا من زاوية التخصص ، ولا من زاوية أن أجيد هذا ولا أجيد ذاك ٠٠ المهم عندى أن أقول رأيى وأن أعبر عن نفسى ٠٠ وهذا أمر لا صلة له بالتخصص ٠

ولقد كتبت الرواية ، فاذا كنت أسمع أنها روايات جيدة فهذا حسن ٠٠ ولكنى كتبتها لا لأسمع أنها روايات جيدة ٠٠ وانما كتبتها لأنى شعرت بضرورة التعبير عن نفسى من خلال كتابة الرواية ، فى مواجهة بعض التحديات ٠٠ كان سلاحى الانسانى الذى أملكه فى معركتى مع هذه التحديات هو الرواية ٠

ونفس الشىء أقوله بالنسبة لكتابة أفكارى السياسية ٠٠ فلقد عاصرت تحولات سياسية واجتماعية خطيرة ٠٠ وكان لابد أن يكون لى رأى أو موقف منها ، وأن أكتب هذا الرأى أو أعبر عنه بصرف النظر اذا ما كان هذا الرأى جيدا من الدرجة الأولى أو العاشرة ٠

فالقضية ليست مسالة تخصص بالنسبة لى ، وليس المهم هو درجة الكتابة بقدر ما يتعلق بحريتى فى التعبير سواء كان هذا التعبير سياسيا أم أدبيا ٠

أما فيما يختص بالعمل الادارى طبيعى أنى كنت أرحب بأن أتخلص منه ، ولكننا نعيش فى ظروف تحتــاج الى أن نتحمل مسئوليات أكبر بكثير مما يتحملها أمثالنا فى مجتمعات أخرى ٠٠ ولكن كل ما يعزينى فى هذا أنى عندما توليت مسئوليات ادارية سواء فى رئاسة التحرير فى صباح الخير أو روز اليوسف أو الجمهورية أو فى وكالة أنباء الشرق الأوسط ٠

أن عملى كان ناجحا بكل المستويات وأرقام التوزيع التى تضاعفت هى الشاهد على ذلك بالمقارنة بأى أرقام توزيع قبل أن أتولى مسئولياتى الادارية ٠٠ المعروف تاريخيا أن روز اليوسف أو صباح الخير لم تصل الى هذه الأرقام الى الآن ٠٠ والعدد الأسبوعى فى الجمهورية كان يفوق عدد أهرام « هيكل » توزيعيا ٠٠ !!

ولكن هذا لا يعنى أنى كنت حريصا فى أى وقت أو متمسكا فى أية لحظة بالعمل الادارى ٠٠ ولا يوجد أحد من المسئولين فى السلطة اتصلت به ، أو اجتمعت به ٠٠ ولا توجد حفلة دعيت اليها من الحفلات الرسمية ٠٠ لست حريصا على الاطلاق فى دائرة ضوء ، والحصول على منصب ٠٠ ولذلك أنا أرحب بسؤالك لأنه يعطينى فرصة حقيقية أن أقول ما قمت به من عمل ادارى ، وما كتبته فى السياســة ، كان دافعه شــعور وطنى واحساس بالواجب ٠

وهذا المعنى قد لا يفهمه كثيرون ، وقد لا يصدقه غالبية الناس ٠٠ ولكنه بالنسبة لى المعنى الوحيد الحقيقى ؛ وأمرى لله » ٠

الثقافة ليست مرتبطة بالوزارة

٠٠٠٠٠ كيف نعيد الوجه الثقــافى لمصر ، وهل أصبحت الثقــافة وظيفة ، وهل السياسة تؤثر فى الثقافة ؟!

قال :

ــ أولا : ان الثقافة كما يبدو لى أننا لم نتفق على تعريف لها ٠٠ فالبعض يتصور أن الثقافة هى متعلم ، والمتعلم مرادف للمثقف ٠٠ والبعض يرى الثقافة ، هى أن يكون المثقف هو الذى يجيد اللغات ، ويهتم بالأدب ، ويقرأ الروايات والمسرح ، ويهتم بالانسانيات عموما ٠٠ وهو بذلك يفرق بين الذى يدرس الانسانيات ، الجغرافيا ، والتاريخ ، والفلسفة وبين العالم المتخصص فى الكيمياء أو الجيولوجيا ٠

بالنسبة لى عندما أتحدث عن الثقافة ٠٠ فهى قدرة الانسان على ان يتعرف على ظروفه وواقعه الذى يعيش فيه ٠٠ وقدرة الانسان على أن يتبين العناصر الفعالة الايجابية والسلبية فى هذا الواقع ٠٠ ثم قدرة الانسان على أن ينمى العناصر الايجابية فى حياته ٠٠ وعلى أن يدفع مضار العناصر السلبية فى هذه الحياة ٠ الثقافة اذن أمر مرتبط تمام الارتباط بقدرتنا على فهم الواقع الذى نعيشه ٠٠ وقدرتنا على السيطرة عليه حتى لا يفلت الزمام من بين أيدينا ٠٠ ومن هنا الذى حصل على دكتوراه فى الزراعة وتخصص من جامعة كاليفورنيا فى زراعة الموز ٠٠ ثم جاء ليشرف على زراعة حديقة موز فى مصر فطبق قواعد نظرية ٠٠ أو طبق ما كان يمارسه فى الواقع الأمريكى ٠٠ وكانت نتيجة ذلك فشل زراعة الموز فى الحديقة المصرية ٠٠ مثل هذا الدكتور العظيم ليس مثقفا ٠٠ بل الفلاح الأمى الذى يفهم تماما طبيعة الأرض التى يزرعها ويتعامل معها ، فتنتج المحصول الوفير ويستطيع أن يتغلب على كل العقبات والآفات التى تعوق زراعته ٠٠ أقول ان مثل هذا الفلاح مثقف ٠

وفى رواية « الجبل » كانت هناك مشكلة من نوع فريد بالنسبة للثقافة فى مصر تتناول بناء قرية نموذجية فى مصر ٠٠ ينتقل اليها رجال يعيشون مع أطفالهم ونسائهم فى الكهوف ٠٠ وقام ببناء القرية عبقرى مصرى ، هو المهندس الكبير « حسن فتحى » وهو عبقرى بكل المقاييس العالمية ٠٠ وموهبته فى فن البناء وجمالياته لا يضارعها أحد ، ومع ذلك لم يفهم « حسن فتحى » واقع المنطقة التى يعيش فيها ، ويبنى عليها القرية النموذجية ٠

ومن هنا كانت مأساة بناء القرية ، ورفض الأهالى أن يسكنوا فيها والانتقال من كهوفهم اليها ٠٠ لأن « حسن فتحى » لم يفهم ظروف سكان الجبل ٠٠ واذا كان قد فهم ظروفهم الا أنه لم يستطع أن ينمى العوامل الايجابية ويقتل العوامل السلبية ٠٠ !!

وهذا المثال أعتبره مثالا مأساويا ، وتناقضا حضاريا مذهلا لأزمة الثقافة فى مصر ٠

ان بيننا عباقرة على المستوى العالمى ٠٠ وفى نفس الوقت تعجز هذه العبقريات عن مواجهة الواقع المصرى بسلبياته على امتداد الوادى ٠٠ !!

نقطة ثانية بالنسبة للثقافة ٠٠ وهى أن الثقافة لا صلة لها بوزارة الثقافة أو وزير الثقافة ٠٠ وعيب كبير أن نتصور أن ثقافة مصر رهن بأعمال وزارة ، وبمشروعات يقدمها وزير ٠٠ وليس هذا هجوما من جانبى على

وزير الثقـافة ٠٠ بل انى أقول هـذا حتى ولو كان وزير الثقـافة هو « طه حسين » و « عباس العقاد » و « لطفى السيد » مجتمعين ٠

لأن ثقافة أى بلد لا ترتبط أبدا بتفكير رجل واحد أو مفكر واحد مهما كانت عبقريته ٠٠ وأزمة وزارة الثقـافة ليست هى أزمة الثقـافة فى مصر ٠

ان الأزمة الحقيقية لوزارة الثقافة ، هى أنها لم تعد تحمل اسمها الحقيقى الذى بدأت به مع الثورة عندما كان اسمها « وزارة الارشـاد القومى » ٠

وهناك أعباء ومسئوليات كثيرة لوزارة الثقافة ٠٠ ولكنها مسئوليات ادارية وتنفيذية فى خدمة الثقافة ٠٠ ولكن الثقافة الحقيقية لا تعتمد على هذه الخدمات أو تنتظرها ٠٠ لأن الفهم هو قدرتنا على ادراك الواقع ، وهذا لن نتعلمه من وزير أو وكيل وزارة أو مطبوعات وقرارات تصدرها وزارة ، اسمها وزارة الثقافة ٠٠ !!

ان الثقافة الحقيقية التى نحصل عليها بفهم الواقع وادراكه تبدأ من البيت ومن المدرسة ٠٠ وتبدأ من تأثير الفن والأدب فى حياة الناس ٠٠ وتبدأ من نظـام حكم يعيش فيه النـاس قادرين على التعبير عن أنفسهم ومصالحهم بوضوح وبلا خوف ٠

ان النمو الطبيعى للناس فى مجتمع يحترم حرية الناس ، هو الطريق الذى يمهد أو يحقق المناخ الملائم للثقافة الحقيقية ٠٠ !!

الموسيقيون الجدد اكثر نضوجا

٠٠٠٠٠ وقبل أن يأخذنا الحوار الى مساره النهائى ، كان لابد أن أطرح عليه سؤالا يتعلق بعشقه للموسيقى ٠٠

أنت مهتم بالموسيقى والغناء ٠٠ ما رأيك فى الموسيقى الشرقية ، وهل لها ملامح مميزة ، وماهو الفرق بين سيد درويش والسنباطى وعبد الوهاب ٠٠ ومن منهم أضاف وجدد ؟!

قال :

ـ ان « فيوليت مقـار » و « ايمـان مصطفى » و « حسن كامل » و « يوسف صباغ » عندنا كنوز حقيقية على المستوى العالمى ٠

عندنا قدرات فنية فى مصر على مستوى الموسيقى العالمية نفخر بها ، وهى تنسينا الاسفاف فى الجانب الآخر الموجود ، وأصبح وجود هـذه الأصـوات ، وهـذه المواهب الموسيقية سـواء فى الأوبرا أو الكورال أو الأوركسترا الموسيقية ، تعطى مساحة كبيرة جدا للحيـاة الموسيقية فى مصر ٠٠ وتعطى جسورا للاتصـال بالحضـارات أساسا خارج بلادنا ٠ واتساع مداركنا على المستوى الانسانى العالمى ٠

وهذا ليس ترفا ، بل ان العقل المصرى الذى يستطيع أن يدرك أهمية هذه الجسور هو الذى يستطيع أن يخطط لأى مشروع آخر سواء سياسى أو عسكرى أو صناعى أو تجارى على المستوى العالمى ٠

أصالة « سيد درويش » اجتازت امتحان التاريخ ٠٠ وتعاقب الأجيال أكسبها المزيد من القوة والازدهار كأى فن أصيل ، لم تعد فى حاجة الى أن نناقشها ٠

« محمد عبد الوهاب » سيظل أستاذا فى صنعة الموسيقى ، ورائدا فى تعليم الموسيقى والرقى بالذوق الموسيقى ودخوله مجالات متعددة ، وتقبله لآلات جديدة ولصياغات جديدة للأوركسترا لم تكن معروفة من قبل ٠٠ بمعنى آخر « عبد الوهاب » كان الأستاذ الذى قدم لغة موسيقية أكثر تحضرا وأكثر اهتماما بذاتية التعبير العاطفى ٠

« رياض السنباطى » ٠٠ جسد على نحو فريد ذاتية التعبير الموسيقى ٠ فهو يعبر عن نفسـه بصـدق كامل ٠٠ وموسيقاه أشبه بالغوص فى الأعماق أو الحفر الأفقى فى أعماق النفس البشرية ٠٠ ولذلك كان اهتمامه أقل من عبد الوهاب بالصنعة وبحرفية تناول الآلات ٠

الأجيال الجديدة من الموسيقيين تبشر بامكانات أكبر ٠٠ وحصيلتها من الدراسة أكبر من الأجيال التى سبقتها ، ولكنها حتى الآن ما زالت فى دور النمو ونضوجها لم يكتمل وما تبشر به أكبر مما حققته حتى الآن ٠

واذا كان هناك نقاط اتفاق ونقاط اختلاف ، الا أننا نحاول أن نقدم هذه الأجيال التى أثرت فى التكوين الثقافى وفى السياسة وفى الفن ٠٠ وكانت مسئولة عن التعبير عن هموم المواطن العادى ، وعن آماله وطموحاته فى حقبة زمنية معينة ٠

فهل حققت هـذه الأجيال للمجتمع مسارا صحيحا أم أنهـا تركته وسط الطريق غارقا فى حيرته ٠٠ ؟!

أنيس منصور

زوابع الستينات ... !

هـذه محـاولة لأن نقتحم حـواس وعقل الكاتب والمفكر « أنيس منصور » ·· وأن نفك أربطة حقائبه ، لنتعرف على ما فى داخلها ، وأى الرصاصات سوف تنطلق ·· واذا انطلقت هل تكون فى مقتل أو فى أى اتجاه تذهب ؟ ·· لنناقشه فيما يحيطنا من ألغاز ومشاكل ثقافية وفكرية وفنية ·· ونستفيد من رؤيته الموسوعية الشاملة ·· وهل حقيقة كمـا قال : « أصـبحت الموضـة الآن أن كل الذى مضى ، قد مات فى كفن ملطخ بالدماء » ··

أعتقد أن جيلنا يرفض هذا ، وأنه على حق عندما قرر النبش فى الماضى حتى يفهم المستقبل فهما صحيحا ·· ويدرك أن نظرته الى الخلف فى غضب ·· هى أسمى معانى التطهر ·· والرفض والتمرد على الحلم المعطر بأنفاس وقبلات وعناق السابقين المخدرة لوعينا ·· فالبحث عن الوعى يقتضينا أن نعرف ·· وان نسأل ·· وأن نلح فى الحصول على المعرفة الصادقة وتحطيم القوالب الجامدة ·· وأن نحمل صخرة «سيزيف» لنجرب ارادتنا الواعية على اجتياز المطبات الهوائية ·· وعلى القدرة على اختيارنا نحن كجيل ·· حتى لا يظل الدم الذى فى قلوبنا وعقولنا فاسدا ·· وأن نظل كالعذارى فى خدرهن ، فى انتظار أى عشيق حتى ولو كان غير متماثل مع حسنا وعقلنا ·· فمن أولى أن يمسح دموعنا ·· وأن يسمع نبض قلوبنا ·· وأن يشفينا من أمراضنا الا الذين علمونا أن لنا قلوبا وعقولا ويجب أن نغير بهما الحياة ·· وأن ندرك أننا يجب أن نعرف من الذين صنعوا لنا النصر ؟ والذين حفروا لنا بئر الهزيمة ؟ وكيف نجتاز هذا ؟ الا اذا قدم لنا الصفوة من المثقفين الاجابات المحددة والصريحة

على كل تساؤلاتنا .. واذا كانوا يريدون لنا أن نعانق اللحظة بالأمل والانطلاق نحو المستقبل بشكل أكثر تطورا وتحضرا ..

لذلك كان هذا الحوار مع المفكر والأديب الكبير « أنيس منصور » فى مكتبه بالدور التاسع بمجلة أكتوبر .. وبدأت لحظة التحفز من جانبى والتى لا ينقصها الصراحة والصدق .. وقد شجعنى على ذلك صوت المفكر « أنيس منصور » وكأنه قد منحنى الضوء الأخضر لأكسر كل القيود وأنطلق فى عرض كل ما أحمله من أسئلة .. فعندما طرحت عليه السؤال الأول .

قلت له :

●● ما رأيك فيما يقال ان الثورة وما بعدها لم تنتج ثقافة ، وانما عاشت على ثقافة الأربعينات وأن الديكتاتورية حالت دون التطور الثقافى وحالت فى عدم تواصل الأجيال ؟

قال :

أما أن الثورة قد منعت أو حالت دون انتشار الثقافة ، فلا أظن ذلك صحيحا وهو حكم عام يحتاج الى ضبط وربط ، وخاصة أن الاذاعة قد نشطت وزادت ساعات الارسال ، وكذلك التليفزيون بأكثر من قناة، وكذلك وسائل النشر المختلفة ، فى الصحف ، والمجلات والكتب ، وليس أيسر من الحصول على الثقافة ، أو ثقافة ما ، أو على الثقافة العامة .. فهى ميسورة فى كل وقت ، وفى كل العصور ، وربما كانت الثقافة العامة أيسر فى ظل الطغيان والديكتاتورية منها فى ظل الديمقراطية ، لأن الحاكم الفرد أو المطلق سواء كان ماركسيا أو فاشيا أو نازيا أو حاكما مطلقا حريص على تسخير كل وسائل المعرفة لخدمة وتحقيق أهدافه .. ولذلك فهو يطلع على الشعب من جميع الجهات ليوجهه وجهة واحدة .. ولكن الذى حدث فى مصر فى ظل الرئيس « جمال عبد الناصر » بصفة خاصة هو القهر والكبت والرقابة الشديدة ، والديكتاتورية المطلقة .. ولذلك عذب وسجن وشرد عدد كبير من الكتاب .. والقى فى السجون بالمتطرفين والماركسيين والمتطرفين المسلمين على حد سواء ومن المعلوم تاريخيا أنه فى ظل القهر والضغط وحكم الفرد يتأخر الابداع فى الأدب ، فى الشعر ، فى الفكر ، فى الفلسفة ..

تجارب الشعوب

والأمثلة على ذلك كثيرة من تجارب الشعوب الأخرى .. مثلا فى الاتحاد السوفييتى ، أو فى ايطاليا الفاشية ، أو فى ألمانيا النازية ، أو فى

أسبانيا على عهد « فرانكو » أو البرتغال على عهد « سالازار » وغيرها من الدول التى عاشت طويلا تحت نير حكم الفرد ‥ نجد أن الأدب العظيم كان قبل عهود الديكتاتورية ٠

ففى الاتحاد السوفييتى مثلا ظهر الأدباء من أحجام ضخمة من أمثال « ديستويفسكى » وأمير الشعراء « بوشكين » و « جوجول » وغيرهم ‥ أما الأدباء الذين ظهروا فى أعقاب الثورة « البلشفية » فكانوا متحدثين رسميين أو كانوا أدباء اعلاميين ، أو كانوا مفسرين للثورة ولذلك كان قدرهم قليلا أو متواضعا من مثل « جوركى » و « باسترناك » و « شولوخف » و « ايرونبرج » فنجد مثلا أن « باسترناك » الذى استحق جائزة نوبل عن كتابه « الدكتور زيفاجو » ‥ فرض عليه الاتحاد السوفيتى أن يعتذر عن قبول الجائزة لأنه عندما منح هذه الجائزة لا باعتباره ماركسيا ولكن باعتباره تحريفيا أو مرتدا أو مراجعا للماركسية أى مهاجما لها ٠

أما « شولوخف » مؤلف كتاب « الدون الهادىء » فقد فاز بجائزة نوبل فى الأدب ‥ ولكن فى رأيى يعتبر أديبا متواضعا حتى قيل ان « الدون الهادىء » مسروقة من أديب شاب توفى قبل ذلك بخمس وعشرين سنة ٠

أما الكاتب « ايرونبرج » فهو أقرب الى الصحافة منه الى الابداع الفنى ‥ وربما كان الشكل الصحفى هو المناسب لعهود الطغيان ‥ لأن الصحفى فى هذه الحالة ليس فنانا ، ولكنه متحدث بلسان غيره من الحكام ٠

حدث نفس الشىء فى ايطاليا أيضا فرأينا كل الأدباء العظام عاشوا قبل عصر « موسولينى » وفى ايطاليا مثلا نجد أن معظم وأعظم الكتاب ، هم الذين ظهروا قبل « موسولينى » حتى الكتاب الايطاليين الموجودين حاليا هم الذين نضجوا وظهرت موهبتهم العظيمة فى أوائل عهد « موسولينى » وضد « موسولينى » ‥ ولا يمكن احصاء عدد الأدباء الذين ظهروا وبرعوا من قبل حكم الفاشية ‥ يكفى أن نذكر على سبيل المثال الكاتب الايطالى الروائى « ألبرت مورافيا » كان معاديا للفاشية ولا يزال ٠

أما الشاعر الذى ظهر فى عهد « موسولينى » فقط ‥ فهو الشاعر « دان نتسيول » انه صديق له ، ولكن لا يعتبر من الشعراء الكبار ٠

نفس الحكاية أيضا فى اسبانيا ‥ فنجد أن معظم الأدباء الكبار

ظهروا قبـل « فرانكو » وأستطيع أن أحصى لك مثلا على سبيل المثـال الفلاسفة نجد « أورتجا ايجاسنت » ونجد الفيلسوف الوجودى « أوناموno » ونجد عددا كبيرا من الأدباء أيضا عاشوا ـ أدباء مسرح والشعر كل هؤلاء ـ قبل فرانكو ٠

الانسـان والطـابور

على الرغم أن حكم عبد الناصر بالذات لم يطل فترة طويلة وانما كان حوالى ١٨ عاما أو ١٦ عاما وهى فترة ليست كافية للتغيير والتأثير ، ولكن عمق الاجراءات العنيفة التى اتخذت ، وعمق النكسة كانت كافية لأن تعطل الكثير من المواهب وخاصة أن المثل الأعلى فى ظل حكم الفرد ، هو أن يمشى الانسان فى الطابور ، ألا يخرج عن الطابور ، ألا ينشق ، أن يكون ممتثلا أى يماثل أو يطابق المثل العليا المفروضة عليه من فوق ٠٠ ولذلك نجد أنه على الرغم من انتصارات سنة ١٩٧٣ ٠٠ لكن لا تزال آثار الهزيمة عميقة جدا ٠٠ رغم البيانات التى كتبها « توفيـق الحـكيم » وغـيره من الأدباء ٠

ويكفى أن نستعرض الأدباء والمفكرين المعاصرين لنجد أنهم ولدوا فى الربع الأول من هـذا القرن وعرفوا ونضـجوا فى السنوات السابقة على الثورة مبـاشرة ٠٠ أما امتـدادهم فيما بعـد فهو بجهودهم الذاتية أو بما اكتسبوا من سمعة طيبة ، ولكن ليس بتوافقهم مع النظام ، ولذلك يحدث فى عصـور القهر الهرب من المواجهة ، فينتشر الأدب الرمزى فى المسرح ، وفى الشعر ، وفى الأدب ، ولذلك نجد أنه فى ظل الرمزية يجنح الكتاب الى كتابة القصة القصيرة والرواية ٠

أزمة الثقـافة

ففى الرواية يستطيع أن يقول ما يشاء على لسان البطل ، ولكن ليس على لسانه ٠٠ مثلا ليس فى استطاعة كاتب مصرى واحد أن يقول شربت كوبا من البيرة أمس ٠٠ ولكن فى الرواية يستطيع أن يسكر ، أن يحشش ، وأن يصاب بالشذوذ الجنسى وهو بعيد عن ذلك وانما هو يتحدث بألسنة شخوص من صنعه ٠

أعود مرة أخرى الى مناقشة أثيرت فى مصر حول أزمة الثقافة ٠٠ بمعنى أن الثقافة المصرية فى أزمة ٠٠ أزمة اتساع وأزمة عمق ٠٠ وأن المواطن المصرى ضحل التفكير ، وأن هناك نوعين من الأميين ٠٠ الأميون

الذين لا يقرأون ·· وخريجو الجامعات الذين يقرأون ·· فكان معنى هذه الجملة أن الثقافة فى حالة أزمة ·· وكان لى رأى فى ذلك فى الستينيات ، وهو أن هناك أزمة ثقافة ، ولكن الحقيقة أن الثقافة الموجودة « هى ثقافة أزمة » ·· بمعنى أن هذه الأزمة نعبر عنها بأشكال مختلفة ·· فهـــذه الأزمة لم تفقدنا التعبير وانما كانت سببا فى ثراء التعبير ·· فهى موقف حزين عبرنا عنه بما يناسبه من أشكال ومضامين فى ذلك الوقت ، وقد جربت أوربا فى عصرها الحديث ثقافات الأزمة ·

ففى أعقاب الحرب السبعينية بين « بروسيا » وبين « فرنسا » ظهر الأدب الرومانسى وتألق ·· وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩ ظهرت « السريالية » فى الشـــعر ، « الدادية » و « التكعيبيـــة » و « التجريدية » فى الرسم ·

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية تألق الأدب الوجودى ، وهو ثورة الفرد فى مواجهة الدولة أو فى مواجهة النظم الشمولية ·

فالوجودية هى تأكيد للفرد ، وحرية الفرد ، وشعور بالتأزم فى مواجهة الموت الذى فرضته الحرب العالمية الأولى والثانية ·· وان كانت الفلسفة الوجودية قد ظهرت فى أعقاب حروب أخرى فى ألمانيا ردا على الماركسية عند « هيجل » وردا على هيجل فى الدانمارك عند «سير كيركجرد» وهكذا ·· وردا على الالحادية فى أوربا كلها ·· فظهر الوجوديون المؤمنون من أمثال المسيحى الأرثوذكسى الروسى « بيردياف » والمسيحى الكاثوليكى الفرنسى « جابورون مارسيل » وغيرهم ·· ولكن ثقافة الأزمة ليست هى الثقافة المنشودة وانما هى ثقافة تعبر عن حالة مزاجية عامة ·· وهى أقرب ما تكون الى قوس قزح الذى يتألق ويلمع فوق سحاب أسود ·· فان كان المقصود بالثقافة فى هذا السؤال هذا النوع من الثقافة ، فأنا أعتقد أن هذا النوع من الثقافة لا غبار عليه ·· ولكن من المعروف أيضا أنه عنـــدما تتأزم الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصـــادية ، تتألق أنواع وأشكال من الأدب بل اننا اذا عدنا الى تاريخ الفلسفة الاغريقية نجد أن هذه الفلسفة ازدهرت فى أثينا وغيرها ، بسبب الانحطاط والانهيار الاجتماعى والسياسى فى ذلك الوقت ·· ان دور الفيلسوف فى هــذه الحالة هو دور « نوح » عليه السلام يرمى طوق النجاة فى أماكن مختلفة ويجعل منها سفينة ينجو بها ما يستحق الحياة من المواطنين ·· وهى مرحلة لابد أن تزول ·· مؤكد لأن الحالة التى نحن بها حالة مرحليـــة مؤقتة ، قد تعيش عشر سنوات أو عشرين سنة ، لكن لابد أن تتغير ·

وبعد هذا السيل الجارف من المعلومات ·· حاولت أن ألتقط الأنفاس

لاستعد للسؤال الثانى ·· لكن تدفق السيل لم يتح لى الفرصـــة ··
وظللت ألهث ·· وطرحت السؤال التالى :

●● هل الفن والأدب عبرا عن المجتمع وقادا خطاه أو أنهما كانا من أسباب الانهيارات الخلقية وعدم الوعى والنضج الفكرى والثقافى ·

قال :

هذا السؤال فيه كثير من التعميم لكن المسئولية متبادلة بمعنى أن الفن صورة للمجتمع ، أو محاولة لعكس المجتمع أى لنقله للمجتمع ·· فالفن صورة من صور المجتمع ، فالأديب القـــارىء عنـــدما يقرأ رواية أو مسرحية أو يذهب الى المسرح أو الســـينما أو التليفزيون ، يجد أن الفن يعبر عن مشاعر الناس ، وعن طريق التعبير عن مشاعر الناس تتحقق هذه المشاركة الوجدانية وهذا التقارب أو النفور بين القـــارىء والكاتب والمشاهد والمتفرج والممثل ·· ولكن فى نفس الوقت لا يصح أن يكون الأدب مجرد مرآة ·· ينقل ·· يضخم أو يقلل من قيمة الأخطار ، وانما عليه أن ينقل وأن يعالج وأن يفيد وأن يضحكنا على عيـــوبنا ، على أســـاس ما وضعه الفيلسوف الاغريقى « أرســـطو » من ٢٥ قرنا ، أن الكوميديا أو المسرح نوع من التطهير ·· بمعنى أنه من طريقة اضحاكك على عيوبك يشفيك من هذه العيوب ·· أنت تسخر من البخيل ، ومن الجبان ، ومن المتهور ، ومن الأرعن ، ومن العاطفى ، ومن المستبد ، فتضحك الناس عليه وتضحكه على نفسه ، وفى ذلك تخليص له من هذا العيب ، فدور الأدب ليس سلبيا ، بمعنى أنه ينقل صورا « لا » ·· الأدب يعيد تنسيق وتنظيم الواقع الاجتماعى أملا فى اقامة مثل عليا أو دعوة الى تصحيحه أو تصويبه ، أو أن يحلم الانسان أو يتجه الى ما هو أفضل ·· ومن هنا كانت قيمة الأدب ·

النشــاط المسرحى

فاذا نظرنا مثلا الى المسرح ·· وليكن المسرح الكوميدى الآن وهـــو أكثر المسارح لأنه قطاع خاص ، يعتمد على اضحاك الجماهير والتخفيف عنها والتفريج عن مشاكلها ، وفى نفس الوقت منافقهـــا ، لأنها تضحك بفلوسها ، فنجد أنه عندنا فى مصر ما يسمى بالنشاط المسرحى ولكنه ليس نهضة مسرحية ··

المسارح كثيرة أقيمت فى أماكن مختلفة ·· هذه المسارح ينقصها

الفن ٠٠ فهو تهريج ارتفع بالشارع الى مستوى المسرح ، أو على الأصح هبط بالشارع الى مستوى المسرح ، فليس فيه مضمون جيد ولا شكل فنى محترم وانما هو يأخذ من الناس ويعطيهم ٠٠ فالمسئولية هنا مضاعفة أو متبادلة ، هو يصور الناس وينافقهم ، لكن لا يصور الناس ويعالجهم ، وانما يعطيهم ما يريدون ، فقد جاءوا يضحكون ويسخرون ويتخففون من أعبائهم ، فكان المسرح مساعدا لهم على ذلك ، فالمسئولية هنا تقع على المسرح الذى لا يرتقى بالناس ، وفى نفس الوقت تقع على كاهل النقاد الذين لا يوجهون المسرح الى خدمة الناس ، فكأن المتفرج ليس هو المتفرج فقط ولكنه المخرج والممثل والمؤلف وصاحب الفرقة ٠٠ هنا فقط نشعر بأننا نفتقد الفن الحقيقى ، لأن الذى نراه على المسرح ليس فنـــا ولكنه تهريج واختراع لقضايا مزورة ويفرضها على الناس ٠٠ فنجد فى كثير من المسرحيات قضايا مفتعلة ليس لها وجود ، من هنا كان المسرح يقـــوم بدور تزوير الواقع الاجتماعى والنفسى ، فنحن نتطلع الى مسرح جاد ، ومن هنا تثور مشاكل كثيرة جدا مشاكل الممثل وأجور الممثلين ، وصناعة التمثيل ، ودور الدولة ، والاغراءات التى يقدمها التليفزيون المصرى ، والتليفزيون العـــربى ، مما يجعـــل الموقف صـــعبا ويجعل مهمة الدولة أصعب ٠

فالدولة لا تستطيع « بمالها المحدود » أن تنافس القطـــاع الخاص بأمواله غير المحدودة ، فهذه هى المشكلات التى تواجه الفنون الجماهيرية ٠

هناك أدب ٠٠ ولكن ٠٠ !!

●● هل ما نتج فى هذه الحقبة يعتبر أدبا حقيقيا ؟

ـ فيه أدب لا شك ٠٠ فيه قصص قصيرة ٠٠ وفيه شعر ٠٠ وفيه مسرح .. وفيه روايات .. وفيه نقد أدبى .. وفيه تأريخ فلسفى .. وفيه أدب رحلات .. كل هذا موجود لا شك فيه .. لم يتوقف المصريون أو الأدباء المصريون أو المفكرون المصريون عن الابداع ٠٠ لكن نحن عادة معشر الأدباء أو النقاد ساخطون على أنفسنا ٠٠ غير راضين عن واقعنا ٠٠ فما من أديب شاب أو شيخ الا وتجد عنده لهجة مشتركة ٠٠ وهو السخط أو الغضب وهو دليل على مثالية الاثنين ٠٠ لأن الرجل المثالى هو الذى لا يرضيه الواقع ولذلك يتجاوزه ويحلم بمستقبل أفضل ٠٠ فالسخط والغضب من سمات المفكرين والأدباء ٠٠ فان وجدت أدباء ساخطين فليس ذلك سخطا خاصا بهذه الحقبة ، وانما هو سخط يتجدد مع الأيام ٠

لا أستطيع أن أجرد هذه الفترة من الأدب ، ولكن كنت أتمنى أن يكون فيها ما هو أروع وما هو أبدع ·· ولكن فى نفس الوقت من الصعب أن تتطلب ابداعا حرا فى ظروف ليست بها حرية ·· الحرية ليست ترفا للأديب وان كانت ترفا عند السياسى ·· فالسياسى حر عندما يتكلم عن نفسه ، وليس حرا عندما يتحدث عن الآخرين ·

●● اذن ما مدى تأثير هذا الأدب فى المتلقى نفسه ·· هل جاء بنتيجة ايجابية أم سلبية ؟ ·

ـ وسائل التلقى أكثر من أى وقت مضى ·· يكفى أن تلاحظ زيادة عدد القراء للصحف والمجلات والاقبال على الكتب ·· وزيادة عدد المتلقين السلبية أمام التليفزيون ·· الصورة المثالية للمتلقى والسلبية هى التى تجدها عند المشاهدين للتليفزيون ·

هناك أناس جلسوا فى حالة استسلام ، لا يتحركون ، لا يتحدثون ·· وانما فى حالة تلق مستمر لما يصبه التليفزيون بالألوان فى عقول الناس ·· فحالة التلقى أكثر من أى وقت لأن وسائل الاعلام أكثر انتشارا وأكثر هيمنة على الناس ، ما الذى يتلقونه هذا موضوع آخر ؟ ·

●● وما تأثير هذا الذى يتلقونه !

ـ طبعا تأثير قوى ·· وخاصة أن أغلب الشعب المصرى من الأميين ، وأغلب المصريين من الذين يقل سنهم عن عشرين عاما ·· اذن عندك أكثر من ٥٠٪ أميون وأكثر من ٥٠٪ مش نفس ٥٠٪ من الشباب والأطفال ·· وهذه السن للتلقى الشديد ·· فأنت من ناحية عندك أطفال وشبان يتلقون ، ومن ناحية أخرى عندك أميون يتلقون أيضا ·· فنسبة التأثير هائلة ومخيفة أيضا ·

●● وهل هذا التأثير نتائجه ايجابية أم سلبية ؟ ·

ـ نحن جميعا نتحرك فى وعاء واحد ·· نحن جميعا فى زورق واحد ·· فالروح العامة السائدة للمجتمع يغلب عليها نوع من «اللامبالاة» ·· بمعنى يا يستسلم ·· يا فى نفس الوقت اذا جاء شىء ايجابى فهو يرفضه ·· فأغلب سلوكنا العام هو نوع من « اللامبالاة » ·· وهذا الشعور يجىء عادة بعد الانهزام النفسى فى مناسبات كثيرة فقد انهزمنا نفسيا ·

●● كيف نخرج من هذا ؟ ·

ـ هذا موضوع آخر ·· لكن كيف نخرج ·· لابد أن نخرج لأن

ما يصيب مصر يصيب أى شخص أى فرد ·· فنحن فى حالاتنا نصاب بالضيق وبالقرف والملل وبالنشاط وبالخمول وبالكسل ، فهذه حالة استغرقت من هذا الجيل بضع سنوات أخرى ·· ولكن لابد أن تزول ·· لأنه سوف يجىء جيل آخر ، بمفهوم آخر ، بمنطق آخر ·· بنوع آخر من التسامح ·· قد يغفر لآبائه وأجداده ما ارتكبوا من حماقات ·· ويتجه متخففا من الشعور بالندم أو بالعار الى مجالات أرحب وأوسع ، مما كان لآبائه ·· فنصف الناس فى مصر له مستقبل والنصف الآخر ليس له مستقبل ·· !!

كلنا متهمون

وقبل أن نترك هذه المحطة الحالية من المقاعد للراحة ·· طرحنا المزيد من الأسئلة التى تبحث عن اجابات محددة وواضحة تخدم القارىء ·· فكان طرحنا لهذا السؤال الآخر ·

●● على من يقع عبء ثقافة الأمة وكيف نبنى الشخصية المصرية ؟

ــ هذا سؤال كبير جدا ·· ثقافة الأمة تقع علينا كلنا ·· تقع على كل المثقفين والمثقفين (بفتح الثاء وكسر القاف) ·· على الشعب ·· وعلى الدولة ·· وعلى الأدباء ·· وعلى الشعراء والنقاد ·· وعلى أجهزة الاعلام جميعا ·· فهذه مسئولية عامة وفى مواجهة الدولة لا أحد برىء ·· كلنا متهمون ·· لا أستطيع أن أبرىء أحدا من هذه التهمة ·· الصورة التى أمامى هى أنه عندما يتهمنى شخص مشيرا بأصبع واحدة ناحيتى ·· فيجب أن يتنبه أن هناك ثلاثة أصابع تشير اليه ·· فلا أحد برىء فى مواجهة مسئولية الثقافة ·· أو جريمة انعدام الثقافة فى مصر ·

البحث عن الشخصية

●● أنت كاتب كبير ولك ثقلك ما هو دورك فى اعادة بناء هذه الشخصية ؟

ــ أقول لك ·· لا يستطيع فرد أن يبنى شعبا ··

●● ولكنه يؤثر ·· ؟!

ــ طبعا يؤثر ·· وأثر الثقافة فى مصر ليس عميقا لهذه الدرجة ·· مثلا نحن نجد فى أوربا البلد الفلانية بعد ظهور كتاب فلان ·· البلد الفلانية فى عصر الأديب الفلانى ·· فى عصر الشاعر الفلانى ·· مصر من

الصعب أن تجد ماذا حدث فى مصر بعد ظهور الرواية الفلانية أو المسرحية الفلانية ؟! ٠

ماذا حدث فى مصر بعد « طه حسين » أو قبل » العقاد » ؟! ٠

ماذا حدث فى الشعر قبل وبعد « شوقى » ؟! ٠

من الصعب آنك تلاقيه ٠٠ لأن مجال الثقافة محدود التأثير والتلقى لها محدود أيضا ٠٠

فبناء الشخصية لا يستطيع فرد أن يبنيه ٠٠ لا تستطيع أن تبنى بيتك لوحدك ٠٠ فما بالك بكائن حى عقل ومشاعر وأعصاب ٠٠ بعد سياسى وبعد اجتماعى ٠٠ وفترة طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة لا يمكن ٠٠ هذا عمل مشترك ٠٠ عمل جماعى ٠٠ عمل تعاونى ٠٠ أنا لا أستطيع أن أتوقع أبدا أن يظهر فى مصر « بيتهوفن » غير ممكن ٠٠ لأن هذا الكائن نبت فى بيئة حضارية سبقته سيمفونيات ٠٠ وفيه معما ٠٠ وفيه طبيعة ٠٠ وفيه شعر ٠٠ ظهور « بيتهوفن » فى مصر غير منطقى . لأن ظهور « بسمارك » فى مصر غير منطقى ٠٠ لأن ظهور « جيته » فى مصر غير منطقى ، لأن ظهور « فاجنر » فى مصر غير منطقى ٠٠ فهذه بيئة كلها مع بعضها البعض تظهر عوامل مختلفة تساعد على بناء طبقة أو عصر أو جيل ومن هذا يتولد الشخص الذى نحلم ببنائه وهو المصرى ٠٠ لأن الثقافة أو الحضارة الدينية أو الفلسفية أو الاجتماعية أو السياسية لها أثر ولكنه ليس سريعا ٠٠ أنت لا تضع ورقة فى النار لتحترق ٠٠ أنت تضع بذرة تبقى ، لأنه هناك تفاعلات كيماوية ، وهناك جدول زمنى للنمو ٠٠ ظهور النبتة وظهور الشجيرة ، وظهور الشجرة والزهرة والثمرة ٠٠ فيه جدول زمنى مركب فى كل كائن حى ٠٠ وبزمن موقوت ٠٠ الزهرة لها زمن مرهون بعوامل كثيرة ٠

ليس بزرع ودرس

●● اذا كانت نسبة الأمية نعتبرها مثل الأرض البكر ، لماذا لا نستدرج الأميين حتى نعلمهم فى البداية ؟ ٠

ــ انك تعلم واحد ٠٠ زرع ٠٠ درس ٠٠ هذه أبسط الأشياء ٠٠ لكن ليس هذه المقدمة التى تطلعلك « شوقى » ٠٠ فانت مثلما تروى الأرض وتشققها لتتعرض للشمس ٠٠ ثم تسقيها مرة ثانية لتخلصها من الأملاح ٠٠ هذه أبسط حاجة أنك تعلم واحد زرع ودرس ٠٠ المهم أنك تنهض

بكل الناس ·· يعنى تخلق الجو ·· الظروف التى تساعد على ظهور نمط من الناس ·· نمط من المتعلمين ·· نمط من المثقفين ·· ومن الملايين منهم تطلع عبقرية ·

الزام أم التزام

● ● ما هو تأثير الايديولوجيات على الفن والأدب ، وهل الاتجاهات السياسية والعقائدية للأدباء هى أحد العوامل الأساسية فى الجناية على ثقافتنا ؟! ·

– ارجع ثانية الى السؤال الأول ·· أولا ·· ايديولوجية معناها اجتهاد فى مذهب من المذاهب ·· يعنى مثلا أقول المذهب « الحنبلى » أو « الشافعى » أو « الحنفى » هو ايديولوجية فى الاسلام ·· مثلما أقول « الكاثوليكية » و « البروتستانتية » و « الأرثوذكس » اجتهاد فى المسيحية مثلما أقول « الحسادية » أو « القرائين » أو « برن بد » أو « الفلاشا » اجتهاد فى المذهب الدينى اليهودى ·· أو مثلما أقول « الاشتراكية » أو « الفابية » أو « التحريفية » أو « الماركسية اللينينية » أو « الماركسية الصينية » كلها ايديولوجيات أى اجتهادات ·· أو مذاهب فى تفسير نظرية ·· مثلما قلت فى السؤال الأول ان الاطار السياسى الحديدى يحتم أو يفرض على المفكر نمطا من التفكير وردا لفعل لا يخرج عنه ·· فهو قد نظر له أسلوب فى التفكير ويصبح دوره الايمان بهذه النظرية ·· التوضيح لهذه النظرية ·· الدعوة لها ·· محاولة الاقناع بها ·· وهو فى هذه الحالة لا يعبر عن نفســه ولكن يعبر عن غيره ·· أى عن النظرية التى يسندها النظام القائم :

فى القانون ·· تعريف القانون ·· القانون هو حق تحميه قوة ·· وكذلك النظريات هى حقوق للشعب يحميها قوة الحزب الحاكم ·· هنا يجب أن نفرق بين حاجتين ·· بين الالزام والالتزام ·

الالزام : هو أن النظــرية تلزمك ويجب عليك ان تلتزم ·· أما الالتزام فهو انك بحريتك واختيارك وطواعية تعبر عن قضايا بلدك ·· فكل كاتب ملتزم أى يعبر بحرية كاملة عن النظرية التى يؤمن بها وليس ملتزما التعبير عنها أراد أم لم يرد ·

فالفرق بين الالتزام والالزام ·· ان الالتزام فيــه حــرية والالزام لا حرية له · ولذلك أؤكد ما سـبق ان قلته فى السؤال الأول ، أنه حيث يوجد الالزام السياسى يكون الفن بلا حرية ·· فلا يكون فنا وانما

يصبح نوعا من الاعلان والاعلام ٠٠ وليس فنا في شيء فأينما تكن النظرية ملزمة ضاغطة قاهرة فلا حرية ٠٠ وانما فيه اعلام أو فيه خطب أو فيه صحافة أو فيه اعلانات بالمعنى الواحد ٠٠ !!

زوابع الستينات

●● وهل فترة الرواج في الستينات للفن والأدب كما يشاع ، كانت الزاما أم التزاما ؟

ـ أنا مش عارف ايه في الستينات ؟ مش فاهم الستينات ليه ؟

●● يقال هذا ويشاع ويروج كثيرا ٠٠ ؟

ـ اضرب لى أمثلة على ذلك ٠٠ أنا مثلا في سنة ٦٣ أخذت جائزة الدولة التشجيعية عن كتابى « حول العالم في ٢٠٠ يوم » ٠٠ وكان قد صدر لى مثلا ٣٠ كتابا ٠٠ وفي سنة ٨١ أخذت جائزة الدولة التقديرية وكان قد صدر لى ٨٠ كتابا ٠٠ وفي سنة ٨٢ أخذت جائزة الابداع الفنى للعالم الثالث من البرلمان الهندى وكان قد صدر لى ٨٧ كتابا ٠٠ أما في الستينات فأنا لا أعرف على التحديد الا شيئا واحدا ٠٠ فهو أنه مع ظهور التليفزيون بصفة خاصة كان هناك نشاط مسرحى كان من الممكن أن يؤدى الى نهضة مسرحية ٠٠ هناك فرق كبير انك تنشط وانك تنهض ٠

فالنشاط هو حركة وحيوية ٠٠ ولكن النهضة حركة الى الامام مع التغيير ٠

ففى الستينات تحولت المسارح الى ستوديوهات تابعة للتليفزيون ٠٠ فنشط المسرح القومى والمسرح الحديث ومسرح الطليعة والمسارح الكوميدية كما لم يحدث بعد ذلك ٠٠ أعتقد أن هذا النشاط الذى تحول بسرعة الى انعدام للنشاط ، والى نوع من « الالتزام » بالمعنى الذى وصفه الفيلسوف الوجودى « سارتر » عندما حاول أن يفسر كيف يقع الذباب في العسل ويموت ؟ فهو يلتصق بما هو لذيذ حلو ، ولكنه في نفس الوقت يموت فيه ٠٠ الذباب يموت في العسل بمعنى أنه يحبه ثم انه يدفن فيه ٠٠ حصل بعد الستينات أننا أعجبنا والتصقنا والتزجنا بالمسارح الكوميدية ، ولم نخرج منها حتى الآن ٠٠ كانت في الأول تنفق عليها الدولة فلما تغيرت الأوضاع وارتفعت الأسعار والأجور لم تعد الدولة قادرة على أن تنفق عليه ولكننا ملتزجون ٠٠ ملتصقون بالكوميديا التى انتهت في الستينات ٠٠ !!

وما دام الحديث ظل يدور فى فلك الثقـافة ، فلابد أن نستكمل الجزئية الناقصة فى الحوار عن الثقافة والتى هى بعض الركائز والدعائم فى الالتقاء بالحضارات والتعرف على نبضها ومسايراتها ان أمكن ، وهذا لايكون الا بالبحث عن كيفية متابعتنا لثقافات الآخرين ، وهل خطواتنا فقدت حركتها عندما ضعفت قنوات الترجمة عندنا وأصبحت مجهودات فردية ذاتية .. ؟ وهذا ما نحـاول معرفتـه من خـلال الاجابة عن هذا السـؤال .

●● معرفتنا لكتاب الغرب توقفت عند القرن ١٩ ، ومعرفتنا بالكتاب العرب تتوقف عند دائرة الصـداقة لا الوعى القومى ، ما هو تفسيرك لذلك ؟

وكيف نلحق بركب الحضارة ؟ وكيف يكون هنـاك ترابط فكرى وأدبى وفنى فى الوطن العربى ؟

ـ لا أرى أن هذا الحكم صحيح .. لا يوجد سبب يوقفنـا عنـد القرن ١٩ أبدا فنحن أيضا نتابع ما يكتبه الغرب فى القرن العشرين .. أضرب لك مثلا بسـيطا وهو مسرح اللا معقول فى مصر .. كل مسرح « نجيب الريحـانى » مقتبس .. مسرحيـات من القرن ٢٠ ، مسرح اللا معقول مأخوذ مترجما أو مقتبسا من المسرح الفرنسى المعاصر عنـد الأديب الفرنسى الرومانى الأصل « يونسكو » وعند « آداموف » وعند « أرابال » الأسبانى ، وعند « الفريد جاريه » فى أواسط القرن ١٩ ، نحن معاصرون تمـاما لما يجرى فى أوربا ، لأنه لا مانع تبقى متابعـا القرن العشرين .. يجوز يقال ان الأدب العظيم ظهر فى أوربا فى أواخر القرن ١٩ ممكن لأن فيـه معظم عبـاقرة الأدباء .. أما القرن العشرون فلم ير كتابا كبارا .. واعتبر حتى هذا الحكم فيـه تعميم زائد أينما اتجهت يمينا أو شمالا سوف تجد كتابا كبارا .. فى انجلترا موجود كل الأدباء .. لايوجد حاجة تمنعك من أنك تتابع ما هو منشور .. كلنا عايشين فى القرن العشرين .

●● ما أقصده هى حركة الترجمة .. ؟!

ـ لا .. لا .. « مظبوط » .. حركة الترجمة ضعيفة عموما لأنه كانت ترعاها هيئات لم يعد لها وجود .. فالجامعة العربية كانت ترعى الترجمة .. ولجنة التأليف والترجمة والنشر كانت ترعى الترجمة ..

ومؤسسة « فرانكلين » كانت ترعى الترجمة ·· لكن لأن جهود الترجمة جهود فردية ، وهى مخاطرة كبيرة ، ولذلك أجد أن الترجمة تكاد تكون قد توقفت ·

●● هذا ما أقصده أن الشعب حدث له قطيعة بينه وبين حركة القرن العشرين فيما هو مقدم من ترجمات ، أما على المستوى الفردى فالشخص الذى يجيد لغة هو الذى يلتقى ؟

ـ ومن غير ما تجيد يأتى اليك فى التليفزيون آخر الأفلام العالمية وعليها ترجمة عربية ، آخر ، الأوسكار تأتى لغاية عندك دون مجهود ·· المسلسلات ·· الباليه ·· السيمفونيات ·· هبوط الانسان على القمر ·· المعارض الفنية ·· دوران السفن حوالين المريخ يأتى اليك فى التليفزيون وأنت جالس ·· صحيح يعتبر القرن العشرين بالنسبة لروسيا وأمريكا ·· ولكن بالنسبة لنا يعتبر القرن الخامس والعشرين ·· على ما نقدر نلاحق سفن الفضاء أو الدوران فيها أو متابعتها ·

●● مسألة العلاقات الفكرية والأدبية بيننا وبين الوطن العربى ؟ ·

ـ يمكن هذا ·· أنت محق فيه ·· بل اننى أستطيع أن أقول انه مع الأسف الشديد أن الصحافة المصرية ووسائل الاعلام المصرية ، مصرية وليست عربية ، بل أذهب الى أبعد من ذلك انها قاهرية وليست مصرية ·· بمعنى أن نصيب مدينة القاهرة من كل وسائل الاعلام ـ القاهرة فيها عشرة مليون ـ أضعاف أضعاف بقية الأربعين مليونا ·

فهذا الانغلاق أو الانحسار أو الركن الضيق الذى اخترناه يعيب الفكر المصرى والمفكرين المصريين ، فأنت لن تجد الا عددا قليلا من المفكرين يعرف شعراء تونس فيما عدا « أبو القاسم الشابى » أو أحدا يعرف أو قرأ رواية أو كتابا باللغة الفرنسية لأدباء الجزائر ، أو يعرف شيئا عن الأدباء السعوديين أو الكويتيين أو القطريين أو السودانيين ·

أعتقد أن جزءا من هذا الخطأ واقع علينا نحن المصريين ·· أما الجزء الآخر لا حيلة لنا فيه ·· ان وسائل نشر الثقافة وتوزيعها بحيث تكون فى متناول الأدباء هنا قاصرة ·

صراع الأجيال

●● مشكلة الغربة والانتماء عند الشباب من المسئول عنها ، الفن أم الفكر ، أم الأدب ، أم التربية والتعليم ، أم انهيار الكيان الأسرى ·

ـ لا أحد مسئول عن هذا الشعور بالغربة عند الشباب ·· انما الشاب بتكوينه منذ اللحظة التى ينمو فيها ويشعر بنفسه ، يحس انه ولد فى مجتمع قد سبقه الى الوجود كلنا نولد فى بيئة وفى ظروف قد سبقتنا الى الوجود ·· البيئة والظروف أكبر من الشاب · وأكبر من الطفل وأقوى منه ، واستقرت قبل أن يبدأ هو وعليه أن يجرى حوارا مع الظروف أو مع البيئة ، أو الأوضاع التى سبقته ·· وأن يحاول أن يتوافق معها فلا يستطيع ·· فيسخط ·· فيتمرد · فيغضب ·· فينطوى وهكذا يشعر بأنه غريب فى هذا الزمان ، أو غريب عن هذا المجتمع وأنه اما أن يغيره بنفسه ·· فان المجتمع أقوى ، لا يستطيع أن يغيره ·· فينطوى أو ينزوى أو يهرب منه ·· وهذه مشكلة كل جيل وهى مشكلة تتعلق بتكوين وبناء الشخص سواء كان هذا الشخص قد ولد فى الأسكيمو أو فى أواسط افريقيا أو فى أمريكا أو فى مصر ·· هناك خلاف مستمر أو اختلاف مستمر أو تباين دائم بين الصغير والكبير ، بين الابن والأب ، بين الأخ والأخت ، سواء قائم على السن ، أو الثقافة أو على الطبقة ، أو على الطموح ، أو على الجنس ، أو على العرق ، منذ « نوح » عليه السلام ·

قصة « نوح » وابنه كما رواها « القرآن الكريم » ·· نوح بنى سفينة وجمع فيها من كل زوجين اثنين الا ابنه ·· يا ابنى اركب معايه ·· سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ·· قال لا عاصم اليوم من أمر ربى ·· فكان من المغرقين · بسم الله الرحمن الرحيم « ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قال سأوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » (صدق الله العظيم » سورة هود ·

فنوح وابنه فى كل عصر ، أينما كان نوح كان له ابن لايريد أن يركب مع أبيه ولا يعتمد على ارشاد أبيه انما يريد أن يعتمد على نفسه ·· فبعض أحيان يغرق ، وبعض أحيان لايغرق ·

مشكلة الفوارق بين الاجيـــال أو الفجوة بين الأجيال سوف تبقى مادام هناك جيل جديد وجيل قديم ٠

المؤامرة الثقافية

●● هناك رأى يقول ان « الماسونية » هى التى تقود خطى الفن الداعر فى السينما والمسرح الآن ، وهى المحرك الأساسى لتســـطيح الثقــافة وتفريغ الأمة من عقلها الواعى وضرب الفكر فى كل المواقع والقضاء على القيم ، وخلق الفتنة واشـــعال الكراهيـــة بين الطبقات ٠٠ ما رأيك فى هذا ؟

ـ أرى أن هذا حكم لا يوجد دليل على صحته مصريا ٠٠ أنا لا أعرف كيف يمكن تطبيقها عالميا أمريكيا ، فرنسيا ، انجليزيا ٠٠ لكن عندما أنظر الى مدى صحة هذه العبارة على مصر لا أعرف أحـدا ـ كل الذين يشتغلون بالانتاج السينمائى أو التأليف السينمائى أو التمثيل أو التأليف المسرحى أو الغنائى ـ له علاقة بالماسونية أبدا ٠٠ انما مثل هذه الأحكام تعطى انطباعا بأن هناك مؤامرة عالمية على مصر أو على العرب ٠٠ وأن هذه المؤامرة الثقافية الفكرية قاهرة لدرجة أننا نستسلم لها دون أن ندرى ٠٠ حتى هذا المعنى لا أرى له وجها صحيحا ٠

انا اقرب الى الشعراء

●● كتبت فى أحـد مقالاتك أن المحب الشاعر يقتـل فردا واحـدا ، ويظل يبكيه طول عمره ٠٠ ولكن الفيلسوف الكاره يقتـل الملايين ويظل طول عمره يبكى لأنه لم يقتل بما فيه الكفاية ؟

أيهما أنت ، ولماذا تتهم بأنك هارب من الفلسفة الى عالم الصحافة ؟

ـ واحدة واحدة ٠٠ أولا ٠٠ المقصود بهذه العبارة ٠٠ أن الفن مع الحياة والسلام ٠٠ واننا لم نعرف فنانا واحدا أشـعل حـربا ، ولا قتل جماهيرا ، ولا تسبب فى اعـدام أو سجن أو شنق ٠٠ ولكننـــا نعرف عددا كبيرا لا نهاية له من السياسيين العسكريين فعلوا ذلك ٠٠ فالفنانون كما قال « شوقى » : أنتم الناس أيها الشعراء فى قصيدته المشهورة ٠

خدعوها بقولهم حسناء

والغوانى يغرهن الثناء

أتراها تناست اسمى لما

كثرت فى غرامها الأسماء

ان رأتنى تميل عنى كأن لم

تك بينى وبينها أشياء !

جاذبتنى ثوبى العصى وقالت

أنتم الناس أيها الشعراء

أنا أعتقد أن الشعراء هم الناس ·· هم الجمال ·· وهم الحياة ·· وهم الصدق ·· وهم الحرية ·· وهم العدل ·· هم عشاق كل هذه المعانى ·· الشاعر يموت بحبه ·· بحبه يموت اذا أحب ·· لكنه لايعرف الكراهية ·

أما الناس الآخرون من السياسيين هم الذين يعرفون الموت ·· وأنا أقرب الى هؤلاء الشعراء ·· أو الى هؤلاء الفنانين منى الى السياسيين لأنى لست سياسيا ·· ولا مشتغلا بالسياسة ·· وانما أنا كما كتبت فى كتابى « فى السياسة » ·· أنا مشتغل بالفكر السياسى ·· لأن منطلقى فلسفى ·· فلسفى يعنى فلسفة وعلم الجمال والأخلاق والمنطق وعلم النفس وعلم الدراسات الانسانية والحياة بعد الموت ونشأة الكون ·· هذا هو عالمى ·· أما علاقتى بالصحافة فانا فى جميع الأحوال أديب ينشر ويكتب فى الصحف ·

●● فيما كتبته لم تتطرق الى مسألة السياسى ، وانما الى الفيلسوف الكاره ؟

ـ الفيلسوف الكاره يعنى هو صاحب الفلسفة التى تطبق ·· هى كل ما يعنيه العالم مذاهب فلسفية اتخذت شكلا جديدا فاستباحت القتل·

●● على أساس أن السياسى يمارس كل هذه المذاهب الفلسفية ؟

ـ طبعا ·· لا يوجد فيلسوف قد مكن من أن يكون ملكا ·· الفيلسوف الملك هو صاحب المذهب الفلسفى ·· يريد أن يكون صاحب سلطة ·· يطبق نظريته ·· وصاحب السلطة يريد أن يكون فيلسوفا

ليستخدم قوته فى فرض رأيه ٠٠ لكن لم نعرف فى التاريخ فيلسوفا ملكا أو فيلسوفا حاكما ٠٠ الوحيد الذى حاول وفشل كان « أفلاطون » ٠٠ أعطى جزيرة ٠٠ ربما كانت الحالة الوحيدة الذى اجتمع فيها فيلسوف وملك هى فى عملة ذهبية جعل منها الاديب الفرنسى « كوكتو » خاتما له ٠٠ فعلى وجه منه « ارسطو » وعلى الوجه الآخر « الاسكندر الأكبر » تلميذه ٠٠ فلم يلتق الاثنان الا فى هذه اللوحة الذهبية ٠

الأغنية والقوالب الحديدية

●● فى احد مقالاتك قلت « نحن شعب يحب الزمر والطبل ، ولاتزال الأغنية ذات أثر قوى ٠٠ فلتكن أغانينا علاجا لعيوبنا الاجتماعية والأخلاقية ٠٠ »

فما هو تقييمك لها الآن من ناحية الكلمة والأداء واللحن ؟

ـ لايزال هذا رأيى ٠٠ لايزال هذا رأيى ٠٠ لاتزال الأغنيـــة هى أغنية المناسبات ٠٠ أى مناسبة تجد كل الأغانى مسخرة لهذه المناسبة ٠٠ كأن لايوجد حاجة فى حياة الناس غير احياء مناسبة ٠٠ واحد عاش أو واحد مات بس ٠٠ لكن بقية المشاعر الانسانية ٠٠ مشاكل البنى آدم مع نفسه مع غيره ٠٠ حبه وخوفه وقلقه واشـعاره بالاطمئنان بالأمان بالمستقبل بالتفاؤل كل هذه الأشـياء أصبحت جوانب ملغية ٠٠ وهذا يعطيك انطباعا لم يفرضـه أحـد على مؤلفى الأغانى ولا على المغنين ٠٠ لكنهم تطوعوا الى أن يدخلوا قوالب حديدية ٠٠ هم الذين دخلوا برجليهم ٠٠ فلذلك الأغنية تظلم العصر الذى تعيش فيه ٠٠ وهذا يعطيك انطباعا أنهم مقهورون ومفروض عليهم هذا ٠٠ ليس صـــحيحا ٠٠ هم الذين تطوعوا ليسيئوا الى هذا المعنى ٠

تسمع أغانى تقول لك « يا حبيبتى يا مصر » ٠٠ تحس أن مصر راحت ٠٠ لم يحدث أنها راحت ٠٠ ماذا جـرى لمصر ٠٠ ؟ لا شىء ٠٠ انما طول النهار بكاء وعويل على مصر ٠٠ « اللى هى ايه ٠٠ مصر جرالها ايه ٠٠ مصر كويسه أهه ٠٠ » مستقلة وتعيش ظروفا ديمقراطية ٠٠ بعد ١٠ سنين أو عشرين سنة تبقى أحسن ٠٠ لكن يا حبيبتى يا مصر ٠٠ يا عينى يا مصر ٠٠ يا اللى حصلك يا مصر ٠٠ هو نوع من الندب فى اطارات فنية متطورة ٠٠ لكن الأغنية غير متطورة ٠

●● هل يرجع هذا الى التأثيرات الممتدة عبر التاريخ ؟

ـ أقدر أقول حاجة قديمة ·· وهو المزاج المصرى الحزين ·· المصريون مزاجهم حزين ليس هناك شك ·· لكن لما تيجى تدور على أغنية مناسبة ·· يعنى ايه أغنية مناسبة ·· يعنى بمناسبة حدث معين أريد أن يكون لى رأى ·· ما هو الرأى الذى تقوله الاغانى ·· كل الأغانى تسقى من ماء واحد ·· طبل وزمر ·· لدرجة انك تضيق بالمعنى وبالفن وبالمزيكا وبالكلام ·· حاجة مملة ·

فى الوقت الذى تريد أن تحيى مناسبة تكره الناس فى هذه المناسبة ·· المصريون عندهم هذه القدرة الفذة على التكرار الممل وهذا يؤدى الى عكس المطلوب ·· مثلا مات « طه حسين » ·· مات « العقاد » ·· نحتفل بذكرى طه حسين ·· الصبح طه حسين والظهر طه حسين وبالليل طه حسين فى الاذاعة فى التليفزيون فى المجلات فى الجرايد ·· لدرجة أنك تفتح الحنفية تنزلك طه حسين ·· لحد ما تقفل كل هذا ·· ماذا يحدث ؟ نحن نبالغ فى أى حاجة ·· الى أن نمل ·

●● هل هذا ناتج عن عجزنا عن ابراز مشاعرنا بصدق فى لحظات مختلفة ؟ والله يعنى ·· ليس عندنا حدود ·· اما أن نندفع فى كل الاتجاهات ·· أو ننسى كل شىء ·· لايوجد ضوابط ·· لايوجد فرامل ·

● هل هذا يرجع الى الميراث الذى ورثناه عن الأقدمين ؟

ـ حتى ولو ورثنا ·· كونه يستمر معناه أنه عجز عن التغيير ·· لاتستطيع أن تجرد نفسك من أى شكل من الأشكال أن يكون لك رأى ·· حتى لونى ·· افرض ان لونى أسود لا حيلة لى فيه ·· لكن أنا لى رأى فى هذا اللون لو « عقدنى » وأحس أنى سجين هذا اللون ·· أرفض هذا اللون ·· حتى هذه الصفات تستطيع أنك ترفضها ·· أما تقول انها موروثة آه ·· لاتستطيع أن تنكرها ·· لكن لما تقول انك موافق عليها ·· موافق عليها ليه ·· لأنك لاتستطيع أن تفكر وتجعلك تستسلم لحالة مزاجية ··· ولا تفكر ·· وهذا يدل على رد فعل بسيط جزء من السلبية ·

أعيش على حافة المجتمع

●● ما معنى الاغتراب فى حياة المفكر والأديب أنيس منصور ؟

ـ أنا كتبت كثيرا جدا عن هذه الظاهرة ٠٠ فى كتـــاب « وداعا أيها الملل » وفى كتـاب « نحن أولاد الغجر » وفى كتاب « الا قليلا » ٠٠ وفى كتب أخرى كثيرة تكلمت عن ظاهرة الشعور بالغربة ٠٠ واحد شاب أو طفل شديد الحساسية نشأ فى بيئة ريفية كثيرة التنقل ٠٠ فهو غير مستقر فى أسرته ٠٠ وأسرته غير مستقرة فى المجتمع ٠٠ والمجتمع غير مستقر فى وجدانى ٠٠ وهذا الشعور بالغربة جعل من الصعب عليه أن أمارس الألفة ٠٠ أو الائتلاف ٠٠ أو التآلف أو الصداقة أو الحب أو المحبة ٠٠ كل هذه معانى كانت غريبة عليه ، وليس من السهل أن ألتمسها ٠٠ لأن هذا يحتاج الى أن أستقر ويصبح لى صديق أو زميل ٠٠ وهذا الكلام ينطبق على المثل اللاتينى القديم ٠٠ « ان الحجر المتحرك لاينبت عليه العشب » ٠٠ فلم يكن ينبت على عشب عشان المودة والصداقة ٠٠ ولذلك أنا كنت باستمرار أربط بين نفسى وبين مجتمعات الغجر ٠٠ أحس اننى مثل الغجرى ٠٠ صحيح لست غجريا ٠٠ لكن فيه كل صفات الغجرى ٠٠ لأننى عايش على حافة المجتمع ٠٠ لا أتذكر كل أذانى بعض أذانى ٠٠ لأن عندى احساس اننى على سفر ٠٠ فهذا الشعور بالغربة ٠٠ والارتباك ٠٠ واحساس المثقف أو المفكر أو الفيلسوف انه فى صومعة ٠٠ أو فى معبد أو فى خيمة ٠٠ فى مهب الرياح الاجتماعية ٠٠ هذا ربط بينى وبين نوعيات منعزلة أو منطوية من الناس ٠٠ العلماء فى المعامل ٠٠ السجناء فى السجون ٠٠ الرهبان فى الصوامع ٠٠ الهاربين ٠٠ الغجر ٠٠ هذا الشعور بالوحـدة والعزلة والانطواء ٠٠ أفقدنى الكثير من مشـــاعر الصداقة والمودة ٠٠ والمحبة ٠٠ وفى نفس الوقت جعلنى أفتقدها ٠٠ ولذلك أنا أرى فى كل ما ذكرت تمهيدا لاعتناقى للفلسفة الوجودية ٠٠ لأنها تأكيد للفردية ٠٠ وتأكيد للحرية ٠٠ وتأكيد للعزلة فى مواجهـة المجتمع ٠٠ ولابد أن تكون لى قرون استشعار ٠٠ أعرف ايه اللى أقدر أعمله ٠٠ وايه اللى ما أقدرش أعمله ٠٠ وكل كتبى تروى من هذا الموضوع ٠٠ تروى من ماء واحد ٠٠ ونفضل بعضها على بعض فى الأكل .

لا أجرد نفسى مما قرأت

●● يقول الأديب محمود تيمور عنك « انك مجـرد صانع لتوليفـــات مخصبة من الآداب العالمية ومن قراءات كثيرة بلغـــات مختلفة ،

ما رأيك فى هذا ‥ ؟ وما هى اضافاتك الجديدة فى ميدان الفكر والأدب والفن ؟

ـ محمود تيمور كتب مقدمة للطبعة السابعة من كتابى « حول العالم فى ٢٠٠ يوم » ‥ وقعد يقارن بين الأدباء اتنين اتنين ‥ وقال : انه ماقدرش يلاقى واحد تانى يقارن بينى وبينه لكثرة التباين بينه وبينى ‥ طبعا أنا لا أستطيع أن أجرد نفسى مما قرأت أو من الثقافات الواسعة التى عايشتها بسبع لغات ‥ وهذا واضح فى دراساتى النقدية والتاريخية والفلسفية ‥ ولكن أيا كان الموضوع الذى أكتب فيه فأنا الذى أكتبه ‥ بمعنى أن لى تجاربا خاصة وأسلوبا مختلفا ‥ وأعتقد أنه لى أعمال أدبية تظهر فيها ثقافاتى ولى أعمال أدبية ابداعية ‥ حتى كتابى « فى صالون العقاد » رغم اننى أؤرخ لجيلى وأؤرخ لنفسى فى مواجهة « العقاد » متفقا أو مختلفا معه ‥ لكن هذا الكتاب يعتبر عملا أدبيا فنيا شخصيا ‥ لكن أثر الثقافة يبان ‥ يبان فى التناول ‥ يبان فى الأسلوب ‥ يبان فى اختيار الكلام ‥ يبان فى تقديم أو تنويع الثقافة لخدمة رأيى ‥ لاتستطيع أن تعرف هنا تبدأ ثقافتى ‥ وهنا أبدأ أنا ‥ أنا ثقافتى ‥ أنا ما أقرأ وما أكتب وما أخاف وما أفهمه ومالا أفهمه .

أذكر عبارة شهيرة للشاعر الألمانى « جوته » عندما سئل ‥ ما هو أكثر الكتب تأثيرا فى حياتك ؟ فكان رده لا أستطيع أن أجيبك عن هذا السؤال الا اذا أجبتنى عن هذا السؤال ‥ ما هو الطعام الذى يؤدى الى لمعان أظافرك ؟ ‥ لا .

لكن كل الأطعمة تؤدى الى وظيفة واحدة فى الآخر تبدو طلاء ‥ تبدو جلاء على قلم الكاتب .

نظرية جديدة

●● ربما كان المقصود من هذه العبارة انه رغم كثرة قراءاتك لم تنشأ نظرية جديدة يكون لها أثر فى المنطقة على المستوى العربى ؟ .

ـ دى آه ‥ من الممكن ‥ ودا اللى أنا مشغول بيه والله صحيح ‥ من الممكن عمل نظرية بعد هذه التجارب أو بعد هذه السن ‥ أستطيع أن « أنظر آرائى » فى قضايا كثيرة ‥ وهو ما أنا مشغول به منذ ثلاث سنوات ‥ ليه آراء من الممكن عمل منها نظرية « نفسية أدبية جدلية » ‥ أعتقد أن ليه نظرية أرجو أن تكون متكاملة فى حكمها تعبر

عن وجهة نظرى فى قضايا كثيرة ٠٠ وهذه النظرية جديدة من ناحيـــة الشكل وليست جديدة من ناحية التكوين ٠

مهمة التليفزيون صعبة جدا

● ● ما رأيك فيما يقدمه التليفزيون من برامج ومسلسلات ، وما هو دور التليفزيون ، هل هو دور ترفيهى أو تعليمى تربوى أو أنه ثقـــافى ؟

ـ دور التليفزيون صعب جدا ٠٠ لأن مهمته هى أن يرضى عـددا كبيرا من الأمزجـة المختلفـــة ٠٠ وبذلك لايستطيع أن يرضى كل هذه النوعيات دون أن يغضبها جميعا ٠٠ فمثلا المثقف جـدا يريد أن يـرى الباليه والسيمفونيات والمعارض الفنية ساعة واثنين وثلاثة ٠٠ وهو فى ذلك يتجنى تماما على غير محب الباليه والموسيقى الكلاســيكية والأدب الكلاسيكى ٠٠ فاذا أتى بالفنون الشعبية وأرضى شريحة من عامة الناس ٠٠ أغضب المثقفين ٠٠ واذا أتى بالمسلسلات الأجنبيـــة المتقنة أغضب المنتجين والممثلين المصريين بمسلسلاتهم ٠٠ واذا فتح الباب للمسلسلات العربية الضاحكة والمسلسلات الجادة والموسعة لن يرضى الذين اعتادوا على المسلسلات الأوربية ٠٠ بمعنى أنه يمس كل الفئـات ولا يعـــرف بالتحديد من هذا ومن ذاك ٠٠ وبذلك فمهمته صعبة جدا ٠٠ انه يرضى كل الناس او يعجب كل النـاس ولذلك انه ما من مسلسل أو عمـــل تلفزيونى يرضى عنه الناس ٠٠ لاشك أن فى التليفزيون بـرامج ممتعة جدا لأن أنا شخصيا لا أستطيع أن أرى التليفزيون طوال الوقت ٠٠ لكن أحرص على بعض البرامج ٠٠ يعنى أحرص وهذا مزاج خاص على بعض المسلسلات التى تعجبنى جدا وبعض المسلسلات لا أستطيع اكمالها ٠٠ أقصد المسلسلات العربية ٠٠ لكن بعض المسلسلات الأوربية أحرص على متابعتها ٠ كما أحرص على الباليه ، وأحرص على الموسيقى الكلاسيكية والمسرح ٠٠ وأحرص على برامج عالم الحيوان والرحلات والبرامج الأثرية والبرامج العلميـــة والفلكيـــة ٠٠ لكن ليس بالضرورة هذا ما يعجب كل الناس ٠

الغير هو حدودى

● ● دائما تردد قول الفيلسوف « سارتر » « ان جهنم هى الآخرون » ٠٠ لماذا لاتكون نفس الانسان جهنمه ؟

ـ جهنم هي الآخرون ٠٠ بمعنى الك أنت باستمرار حدودك تنتهي وتبدأ عند وجود الآخرين ٠٠ أنت لا تستطيع أن تكون حرا ٠٠ فيه ناس لاتستطيع أن تفعل ما تشاء ٠٠ وفيه ناس لاتستطيع أن تحصل على ما تشاء ٠٠ لأن فيه ناس ٠٠ ومهما اتسعت ستجد من يعترض عليك ومن يعترضك ٠٠ فالغير هو حدودى ٠٠ الحادة أو الشائكة أو الغارقة ٠٠ فالآخرون أو الناس هم جهنم أيضا ٠٠ هم مصدر عذابه ومصدر خوفه ٠٠ ومصدر تعبه ٠٠ ويعمل لهم حساب ٠٠ لأنه يخاف منهم ٠٠ لأن الفرد لايزال خاضعا للمجتمع ٠

●● ولماذا لاتكون النفس مصدر العذاب وجهنم وكل هذه القيود ؟

ـ لأن الذى فى نفسك هو صدى للآخرين ٠٠ عندما أجلس فى حجرتى وأقفل الباب على نفسى ٠٠ ماذا يخطر على بالى ٠٠ يخطر على بالى كل مشاكلى ٠٠ وما هى مشاكلى ؟ هى خلافاتى مع الناس ٠٠ حتى ولو لم يكن معى ناس ٠٠ لكنهم جوايه ٠٠ فأينما ذهبت فالناس ٠

●● أى نفس الانسان مكون من عدة نفوس ؟

ـ هذا صحيح أقصد كل ما فى نفسى من نفوس ٠

الغيرة ٠٠ حب فى ملابس عسكرية

●● ما هى فلسفة المرأة العصرية ٠٠ ما تحليلك لها فى الحياة ، فى الحب ، فى الزواج ، فى الأسرة ، وأخيرا فى امتلاك الرجل ؟

ـ يعنى اذا جاز تعبير أن المرأة العصرية لها فلسفة ٠٠ أنا لا أعرف ما هو المقصود بالعصرية ٠٠ متى تبدأ ؟ من الثلاثينات ٠٠ الأربعينات ٠٠ الخمسينات ٠٠ الثمانينات ٠٠ لتكن المرأة فى الثمانينات ٠٠ لايزال رأى المرأة فى الثمانينات هو رأيها فى الستينات والسبعينات ٠٠ وهو تأكيد ذاتها فى مواجهة الرجل ٠٠ أى أن تحصل على نفس نصيبه من الحرية والمساواة ٠٠ مهما كلفها من ثمن ٠٠ والمرأة تدفع ثمن ذلك غاليا ٠٠ فهى لاتستطيع أن تكون زوجة وأن تكون عاملة ناجحة ٠٠ ولا أن تكون أما ناجحة وفى نفس الوقت عاملة ناجحة ٠٠ ولكن المرأة العصرية تضحى بالزوجية والأمومة من أجل نجاحها عمليا ٠٠ ومستعدة أن تفقد ذراعها ورجلها لكى تستمر فى عملها ٠٠ فهى خرجت من البيت ولن تعود اليه ٠٠ فسوف يأتى وقت كما حدث للدول الصناعية المتقدمة مثل أمريكا

وأوربا ستعود المرأة الى البيت لأن الخروج من البيت لم يحقق لها السعادة التى كانت تحلم بها .

●● ورأيك فى امتلاك المرأة للرجل ؟

ـ امتلاك المرأة للرجل مثل امتلاك الرجل للمرأة .. ما هو الحب .. الحب هو اعجاب متبادل وتعود وحب وغيرة ورغبة فى الامتلاك .. فالذى يحب واحدة عاوزها تبقى له وبس .. وهذا شعور غامض .. يمكن المرأة .. لأنها ما عندهاش شعور بالأمان والرغبة فى التسلط والتملك أكثر مما عند الرجل .. لأن المرأة لايزال شعورها .. ان ليس هنـاك ضمان .. ليس هناك أمان .. تريد أن تمتلك أكثر .. ربما الخوف .. والغيرة التى عند المرأة هى مصدر تعاستها .. لأن الغيرة .. هو الحب فى ملابسه العسكرية .. !!

الأديبـــات خذلننى

●● المرأة الأديبة كيف يراها أنيس منصور ، ومن من الأديبات لها مكانة خاصة سواء على المستوى العربى أو العالمى ؟

ـ المرأة الأديبة أولا هى امرأة .. وثانيا هى مشتغلة بالابداع والتعبير .. لايزال عالم المرأة محدودا .. ومغامراتها الفكرية قليلة .. والأسماء التى يمكن أنك تذكرها على أنها أديبات معاصرات قليلة . ولكن ليس بين الأديبات المصريات من ترقى الى مستوى أديبات عالميات من أمثال « سيمون دى بوفوار » ، « مارى مكارثى » ، « بيرك بك » ولا من ستات ولا من رجالة ترقى الى هذا المستوى أبدا .

وفى يوم من الأيام كنت متحمسا لعدد من الأديبات العربيات .. ربمـا من عشرين أو ثلاثين عاما .. لكن هـذه الأديبـــات خذلننى .. وتحمست للاديبة اللبنانية « ليلى بعلبكى » عندما أصـــدرت روايتها « أنا أحيا » و « الأجنحة المتكسرة » والأديبة السورية « غادة السمان » فهى الآن تكتب فى الصحافة .. ولكن أرى أن هناك أديبة كويتية باهرة العبارة نثرا وشعرا وهى الدكتورة « سعاد الصباح » نوع غريب من الكتابة .. ربما كانت هى ألمع تلاميذ فى مدرسة « نزار قبانى » نثرا وشـــعرا .. لكن فيمن عدا ذلك أجـد أن الأديبـات نصيبهن من الفن والنضج الفنى قليل .. !!

●● وأين الأديبات المصريات ؟

ـ مفيش .. زى ايه .. أنت بتصدق كلام الجرايد .. أديبات في دور التكوين .. معظم الاديبات المصريات المعاصرات فى دور التكوين .. ربما أصبحن أديبات كبيرات بعد عشر سنوات بعد عشرين سنة .. لكنهن جميعا أو أكثرهن فى دور التكوين .. !!

مع الآخرين وضدهم

●● هل أنت مع الآخرين أو ضدهم ؟

ـ أنا أعيش بالآخرين وضدهم .. حكمى فى ذلك حكم كل سفينة فى الماء .. هى تتحرك بالماء وعلى وجه الماء وفى مواجهة الماء .. ولا يقتلها ويغرقها الا الماء .. وحكمى أيضا حكم كل طائرة ترتفع فى الهواء .. على الهواء .. فاذا تحطمت فبالهواء أيضا .. فأنا مع الآخرين .. وبالآخرين .. وضد الآخرين .

●● مع الآخرين بأيه وضد الآخرين بايه ؟

ـ مع الآخرين لأنى «عايشه» فى حياتى الاجتماعية .. وضد الآخرين بطموحى ومنافستى ودخولى المعارك المختلفة .. فاذا عشت فبهم .. واذا عشت فلهم .. واذا قدر لى أن أموت فحكمى حكم الآخرين .

●● ألا نهادن فى منطقة مع الآخرين أو ضد الآخرين ؟

ـ أولا : يجب أن أهادن نفسى أولا .. قبل أن تهادن الآخرين يجب أن تهادن نفسك .. قبل أن تمد يدك لتصافح الآخرين ، يجب أن تطويها لتصافح نفسك .. الذى فى حرب مع نفسه لايمكن أن يكون فى سلام مع الآخرين .

●● ولماذا أنت فى حرب مع نفسك رغم ما وصلت اليه ؟

ـ الذى فى حرب مع نفسه فى بعض الأحيان ينقلب على نفسه :. أقلق .. أضيق .. أسخط وبعدين أصالح نفسى على نفسى لكى أكون قادرا على الانتاج .. حتى لايحدث فى داخلى استقطاب .. هناك أشياء كثيرة غير راض عنها خالص .

فى بعض الأحيان عندما أكتب يهيىء الى أننى لأول مرة أمسك القلم .. يهيىء لى انى مش عارف أكتب رغم كثرة ما أكتبه وما كتبته

.. لم تصبح الكتابة عادة سهلة رغم كل اللى انت شايفه .. فى بعض الأحيان يخيل لى أنى مش عارف أكتب .. مش عارف أقول ايه .. كأنى نسيت القراية .. نسيت الكتابة .. نسيت القلم .. وبعدين (باقطع كثيرا جدا) .. أنا باكتب الحاجة مرة واثنين وثلاثة .. أصحح وأغير وأبدل .. أقسى مشكلة أعانيها انى أراجع كتبى عند الطبع .. يعنى معناها انى أقرأها تانى .. ما أقدرش أتعب .. لأنى مجرد كتبته خلاص .. انقطعت صلتى به .. أشوف حاجة تانية .

●● هل راجع لكثرة المعلومات وهذا يؤدى الى عدم الرضا على ما كتبته على الورق ؟

ـ « ممكن أنت لو اديتنى أى كتاب من كتبى أكتبه تانى .. حدث هذا مع كتابى « حول العالم فى ٢٠٠ يوم » والذى أخذت به جائزة الدولة سنة ٦٣ وانطبع .. قلبت فيه .. انكسفت من نفسى .. قعدت فى البيت ١٤ يوما .. كتبت ٨٠٠ صفحة فى جلسة واحدة كله .. تجد الطبعة الأولنية والطبعة الثانية غير الأولنية .. والطبعة الأولنية هى التى أخذت بها جائزة الدولة .. والطبعة الثالثة هى التى كتبتها فى جلسة واحدة .. ولو قعدت تانى أعيد كتابته .. ولذلك أمسك نفسى عن مراجعة كل كتبى والا أعدت كتابتها من جديد » .

هذه جنايتى

●● ما رأيك فى اتهام جليل البندارى لك .. بأنك صحفى أنانى لا يعلم تلاميذه ، وان كان يضحى بوقته وفنه وبأسلوبه فى نظير اخراج المجلة على الصورة التى ترضيه ! ان أنيس منصور يعيش ليقتل وقته ويقتل نفسه ويقتل مواهب الآخرين ؟

ـ ليس لى تلاميذ .. ولا أدعى انى صاحب مدرسة .. لأننى مشغول بالتعلم .. ليس عندى احساس اننى معلم لأحد أو لا .. يجوز بعض الطلبة .. أنا كنت مدرس فى الجامعة ودرست فلسفة ١١ سنة .. يجوز بعض الطلبة يقول على نفسه انه تلميذى .. هو يقول لكنى لا أذكر أننى قلت قط اننى أستاذ أو معلم أو مدرس لأحد .. فيما يتعلق بالمجلة .. فأنا رئيس تحرير منذ ٢٦ سنة .. وحريص على نجاح أى عمل أتولاه كما لو كان عملا خاصا .. فأنا حريص على أن تكون المجلة كما لو كانت كتابا من تأليفى .. أتعب فيها جدا وأتعذب فيها كثيرا كما أفعل فى كتبى تماما .

قتل مواهب الآخرين لا أظن .. أنا لا أذكر أنى وقفت فى وجه موهبة .. ولكن أنا يؤخذ على أننى أنفخ فيمن حولى فيكبر وينمو نموا غير طبيعى .. وربما كانت هذه جنايتى الوحيدة على كثير ممن زاملونى فى هذه الرحلة الصحفية .

انها دولة انتحارية

●● هناك رأى يقول : « انك جسدت وضخمت الأسطورة الصهيونية الاسرائيلية بكتاباتك الكثيرة عنهم ، ولم تقتحم عقل وسلوك واستراتيجية هؤلاء الأفاقين فى التزوير والتزييف واللصوصية لتوضح للقارىء كيف يكون مشغولا فى دفع هذا البلاء عنه ومقاومته فى كل مكان وزمان ، لا أن يكون خائفا مرعوبا من هذه الأسطورة المزيفة ؟

- **أولا** : هى أسطورة ولكنها ليست مزيفة .. وقد لاحظت فى أعقاب حرب ١٩٦٧ اننا دخلنا حربا مع عدو لا نعلمه ولذلك رفعت شعار « أعرف عدوك » .. وتطوعت بنقل معرض عربى أوربى بين العواصم المصرية والعواصم العربية ، لأنه لاحظت أننا لا نعرف شيئا عن اسرائيل ، ولا عن التاريخ اليهودى ، ولا عن الصهيونية العالمية ، أتمثل دائما بصورة العسكرى المصرى راجع من الجبهة سنة ١٩٦٧ ماشيا على قدميه .. فقابله المسئولون فى بورسعيد .. فسألوه ألم تر يهوديا بين الموقع الذى كنت فيه وبورسعيد .. قال لم أجد أحدا وانما رأيت جماعة من الخواجات .. وهو لايعرف أن الكثيرين من سكان اسرائيل من الخواجات .

ثم اننا لم نعرف عن اليهود الا انهم بخلاء والا أن رءوسهم كبيرة .. وأنوفهم طويلة .. وفيهم خنافة وانهم وانهم .. وكل هذا ليس هو الذى نحاربه .. ويكفى عارا للثقافة المصرية أننا ظللنا فترة طويلة نقول ان اسرائيل المزعومة .. وهى دولة قائمة .. استطاعت أن تقهر الأمة العربية كلها سنة ١٩٤٨ وكانت قواتها غير نظامية .. وهزمت الجيوش النظامية .. ومع ذلك نقول المزعومة .. وقد صدرت فى مصر موسوعة عن مؤسسة فرانكلين الأمريكية وليس فيها كلمة اسرائيل ولا العدوان الثلاثى ولا الصهيونية ، ايمانا منا بأن اذا استبعدنا هذه الألفاظ .. فقد محونا اسرائيل من الوجود .. هذا هو مبلغ علمنا وثقافتنا عن الذى حدث فى اسرائيل .. كان من واجبى أنى أساهم بمعرفة هذا العدو ..

وأبصر بابعاد تاريخه السياسى والدينى ٠٠ فأصدرت عددا من الكتب من بينها كتاب « الحائط والدموع » وهو تأريخ لليهود يصور بشاعة الحياة اليهودية والعقد النفسية فى المجتمع الاسرائيلى المنعزل أو الذى عاش منعزلا مئات السنين مغضوبا عليه ملعونا فى كل هذه الدول الأوربية الى أن أقام دولة اسرائيل وهى أكبر حارة لليهود ٠٠ لأنها محصورة بين العرب من جميع الجهات ٠

ثم أصدرت كتابا آخر بعنوان « الصابرا » أى الجيل الجديد فى اسرائيل وكيف يتم بناء وتركيب هذا الجيل ٠٠ مع ملاحظة أن اسرائيل دولة سابقة التجهيز ٠٠ قد ركبت من الحالمين فى الاتحاد السوفييتى ٠٠ أقامها الشيوعيون وانفق عليها الرأسماليون الأمريكيون ٠٠ فهى دولة بافكارها شيوعية وبتكوينها وتمويلها أمريكية ٠٠ فالتقى الشيوعيون والرأسماليون فى اسرائيل ٠

تحدثت عن جيل « الصابرا » أى الجيل الذى ولد فى اسرائيل ٠٠ لأن « الصابرا » معناها « التين الشوكى » أى النبات الذى ظهر فى الصحراء وكيف أن هذا الجيل سوف يكون ساخطا على الحياة فى اسرائيل ٠٠ لأنه سوف يؤدى الى تمزق المجتمع الاسرائيلى ٠

ثم أصدرت كتابا بعنوان « وجع فى قلب اسرائيل » وفى هذا الكتاب قدمت مجموعة من الدراسات تقطع بأن اسرائيل دولة انتحارية وأنها الى زوال مهما طال بها الأمد ٠٠ وانني من رأى المؤرخ البريطانى « توينبى » الذى يعتقد أن المجتمع الاسرائيلى زى مجتمع « أسبرطه » ٠٠ مجتمع مفتعل ٠٠ مصطنع لايستطيع أن يبقى ٠٠ ورأيى وايمانى الراسخ انها دولة انتحارية وأنا أستطيع أن أؤكد هذا المعنى بمئات وألوف الكتب التى قرأت والزيارات المتعددة لاسرائيل ٠٠ ومعرفة الكثيرين من المفكرين والأدباء والصحفيين والفنانين ٠٠ فأنا فيما كتبت هو فى الدرجه الأولى تعريف وتنوير وتبصير بما لم نكن نعرفه ٠

فان كانت هناك قصص بشعة فهى مأخوذة من التاريخ وليس الغرض منها تخويف المصريين أو العرب ٠٠ وانما تبصرهم الى الحقيقة بقلم مصرى وطنى مسلم يؤمن بزوال هذه الدولة المستعارة ٠

لم تكن نارا ولا جنة

●● تعاملت مع قيادة السلطة فاكتويت فى عهد بنارها ، وفى عهد آخر احتميت بجنتها ، فما هو انطباعك عن هذين العهدين ٠٠ ؟!

أولا : مفيش جنة فى العهدين ٠٠ لا كان البعد عن «جمال عبد الناصر» نارا ولا كان القرب من « أنور السادات » جنة ٠

« جمال عبد الناصر » فصلنى من عملى لاننى كتبت مقالا اعتبره كحاكم مطلق ٠٠ هجوما عليه ٠٠ فلو كنت فى مكان « جمال عبد الناصر » لفعلت نفس الشىء ٠٠ حاكم مطلق ٠٠ نظام ديكتاتورى ٠٠ كاتب ، كتب مقالا فيه اسقاط كثير عليه ٠٠ من الطبيعى أنه يعمل فيه كده ٠٠ وأنا بالعكس لقيت عقابا اعتقد أنه أهون كثيرا ، من أن أوضع فى الواحات بلا محاكمة وأن ينسانى ٠٠ كل ما فعله « جمال عبد الناصر » أنه فصلنى من عملى كرئيس تحرير مجلة « الجيل » ٠٠ وفصلنى من الجامعة كمدرس للفلسفة الحديثة فى كلية الآداب ٠٠ ومنعنى من السفر ومن تأليف الكتب ٠٠ صحيح كلها درجات متعددة من العذاب ٠٠ أهون كثيرا مما لو كنت دخلت السجن ٠٠ لا أقول انه يستحق الشكر على ذلك ٠٠ ولكن أقول أنه كان عذابا ٠٠ ولكن هناك درجات أقسى وأعنف من هذا ٠

أما قربى من « أنور السادات » فلا أظن أنه كان جنة ، وانما كان عملا شاقا ٠٠ فقد كان على أولا أن التقى به وأن أناقشه وأن استمع الى رأيه ٠٠ وأن اكتب هذا الرأى بأسلوبى ٠٠ وكثيرا ما كلفنى بمقالات اكتبها ودراسات وأحاديث ولقاءات فلم يكن عملا مريحا ٠٠ بل اعتقد أنه أضاع من عمرى تسع سنوات كان من الممكن أن استغلها فى عمل آخر غير اصدار وانجاح مجلة أكتوبر ٠

● ● فانا لم أصدر فى هذه السنوات التسع الا كتابين فقط ٠٠ واحد هو « صالون العقاد » والثانى « الخالدون مائة » ولكن العادة اننى أصدر كتابين وثلاثة كل سنة ٠٠ فقد أضاع على من أجل انجاح واصدار مجلة أكتوبر أكثر من ثلاثين كتابا ٠٠ كما حرمنى من قراءة مئات الكتب التى ظلت حبيسة كثير من الحقائب ٠٠ لم تكن نارا ولكنها لم تكن جنة ٠٠٠ !!

صاحب مزاج شعرى

● ● ما الفرق بينك وبين الأستاذ العقاد ؟

أولا : العقاد له مزايا كثيرة جدا مفكر كبير ٠٠ ومفكر اسلامى كبير ٠٠ وناقد من الطراز الأول ٠٠ وعليم بفقه اللغة وبالشريعة الاسلامية ٠٠ وملم بالكثير من المذاهب الفلسفية وله نظرات عميقه وأسلوب قوى ٠٠ لا أعرف وجه المقابلة ٠٠ لكن أجد صفات مشتركة ٠٠ وهو أنه له منطلقه ، الفلسفى

وأنا أيضا تخرجت فى قسم الفلسفة ومشتغل بالتفكير الفلسفى ·· العقاد يغلب عليه الفكر الاسلامى ·· أظن أن نصيبى من التفكير الاسلامى أقل بكثير ·· اننى اتجهت الى الفكر الغربى والى الفكر الشخصى والمزاج النفسى ·· العقاد شاعر كبير ·· أنا اعتقد أننى كنت شاعرا مبتدئا ·· ولا أدعى أننى كنت شاعرا ·· وانما صاحب مزاج شعرى ·· ولم أبدع فيه كثيرا ولذلك توقفت عنه فى سن مبكرة ·· ولكن العقاد هو استاذ عظيم وأنا تدربت وتمرست فى مدرسته وتمردت عليها أيضا ·· والله أعلم ·

انتهى الحوار ·· لكن تبقى الحيرة مرسومة على جباه جيلنا فى البحث عن حلول قوية لمعرفة الطريق ·· للخروج من هذا التابوت الحديدى بثقافة جديدة ·· باحساس بالحياة جديد ·· حتى تنقلنا السفن الرأسية فى كل الموانى الى عالم الحضارة ·· وهذا لا يكون الا بعودة الوعى ·· ورفض كل ما يؤدى الى التسطيح والجهالة وفقدان الذات ·· فلا حياة بلا قيمة ·· ولا حياة بلا كرامة ·· ولا حياة بلا فكر أو ثقافة أو حب للنفس وللوطن ·

د . سمير سرحان

نقد الأبالسة ... !!

. المثقفون فى مجتمعنا هم المتلاعبون بالعقـــول ، لذلك مازال البحث جاريا عن دورهم فى تنمية العقل ، ونتيجة لهذا الدور اللا محدود ، صرخ الدكتور « يوسف ادريس » فى « أهمية أن نتثقف ياناس » حتى لا نعانى من فقر الفكر ، وفكر الفقر ٠

واذا كانت كل قضـــايانا تتوقف حلولها عند محاور الفهم والمنهج والتخطيط ، وهذا لا يتم الا من خلال تحديث الفكر والعقل ، ولا يمكن تجديد النسيج الفكرى لأى مجتمع بنسيج بال جامد ، بل لابد من غزل جديد متين ، يتوافق ويتقبل كل المنتج الجيد من مختلف بلدان العالم ، ويكون السعى مستمرا للالتصاق بهذه المعرفة الكونية مع الحفاظ بالهوية الثقافية العربية والاسلامية ، والاستمرار فى فتح كل النوافذ لتنقية هـواء الرئة الثقافيـــة ٠

واذا كان « الله » سبحانه وتعالى قد ضرب لنا الأمثال لنستوحى منها العبرة ، وتكون دليل حياة واختيار فى بناء حياتنـا على أســـاس صحى وسليم ، فان أول قواعد البناء ، القراءة والكتاب ، ثم يعقب ذلك النظــــر والتفكير والتدبر فى كل مخلوقات الله لاستمرار الدورة الحياتية ، واذا كان لنا فى رســول الله الأسـوة الحسنة ، فقد حضنا على طلب العلم ولو فى الصين ، ودعانا الى أن التفكير فريضة واجبة ، وأن الرجل لايزال عالمـا ما طلب العلم ، فاذا ظن أنه علم فقد جهل ، وأن من تعلم لغة قوم أمن شرهم ومكرهـــم ٠

كل ذلك مؤشرات ودلائل قوية فى ارساء وتدعيم أى مجتمع يريد أن يطور نفسه وأن يتطور ، ويقف كتفا بكتف مع الأمم المتحضرة ، ويقضى على

كل الدعاوى الخبيثة الكاذبة بالعرقيـــة والجنسية المميزة وأنهم شعب الله المختار ، فهؤلاء الآن أبعد عن الاختيار ، « لاننا » خير أمة « أخرجت للناس » ٠ لكننا فى هذه الحقبة استسلمنا لكل الآكاذيب وأباطيل الخصوم ، ولم نعمل العقل ، ولم نتجاوز حدود الممكن الى ما هو واجب أن نكون عليه ، خاصة أننا لا نفتقر الى رصيد حضارى أو رصيد تراثى شامخ ، وما أجدرنا الآن أن نسيطر على شراعنا ، ولا نترك المجداف لأصحاب العاهات والدونية وعدم الانتمـــاء ٠

واذا كانت الدلائل التاريخيـة تشهد لنا لا ضـدنا ، فكيف نستكين ونرضخ لدسائس الحاقدين أننا شعوب بلا قدرة ابداعية ، وتفكيرنا تفكير خطابى عاجز عن احتواء اللحظة ودفعها خطوات للتقدم الى الأمام ٠

ذاتيتنا فى الماضى كانت محددة الملامح والمعالم ، عندما كنا نسيطر على بنيان الحضارة ونغدق على غيرنا منه ، وعندمـــا استسلمنا لذوبان الذات كبل العجز قدرتنا وارتمينا فى أحضان المأساة ننتظر فتات عقولهم ، من الذى روج لهذا العجز وأوقف مسيرتنا ؟!

والتاريخ شاهد صدق يوضح مدى احتفاء الحكام والشعوب فى القدم بالثقافة والعلم ، لدرجة أن الخليفـة العبـاسى « المـأمون » كان يمنح من يترجم كتابا من كتب الأمم ذات الحضارات فى ذلك الوقت ، بمقدار وزنه ذهبـــا ٠

وفى عصرنا الحاضر ناقش الدكتور « طه حسين » مستقبل الثقـافة فى مصر ٠

وذهب أستاذنا العملاق فى الفكر « عبـــاس محمود العقاد » وأثبت أسبقية الثقافة العربية من ثقافة « اليونان » و « العبريين » بكل الدلائل والبراهين المنطقية القاطعة ، ليحفز الهمم على الاستمرار والتأصيل والتجديد والاضافة فقال : « وقد أشاع الأوربيون فى عصر ثقافتهم وسلطانهم أن أسلافهم اليونان سبقوا الأمم الى العلم والحكمة ، واختلط على الأوربيين كما اختلط على غيرهم قدم التوراة بالنسبة الى الانجيـل والقـــرآن ، وقـــدم الاسرائيليين بالنسبـــة الى المسيحيين والمسلمين ، فتوهموا أن العبرانيين سبقوا العرب الى الدين والثقافة الدينية وكتابهم نفسه صريح فى حداثـة اسرائيل وحداثة ابراهيم من قبله بالنسبة الى أبناء البلاد العربية ٠

وليس أعجب من الجهل بالحقيقة التى تظهر هذا الظهور ٠

ليس أعجب من هذا الجهل الا أن تكون الأوهام المشاعة بهذه القوة عند أقوى الأمم وعند أشهرها بالعلم والثقافة ٠ » ٠

ولم يتوقف عطاء المهتدين بالثقافة ، فمازال الدكتـــور « زكى نجيب محمود » يكتب فى عمق وتنوع لبعث وتحديث الثقافة العربية ، حتى نخرج من هذه الحالة الهلامية ، ومن الجمود القاتل الذى لا يؤدى الا الى مزيد من التخلف والاضمحلال ، ومن هنا تكون أقسى النهايات .

ولعل أذان الدكتور « زكى نجيب محمود » لا يذهب الى « مالطة » .. ويجد أذانا صاغية وواعية بصدى محاولاته .. حتى لا يصبح المسيطر علينا قاعدة « لا حياة لمن تنادى » !! .

ومن هنا يتضح أهمية أن تثقف ، وأن ندرك كل المعارف والأفكار ، وأن نقف وقفة متأملة واعية لا وقفة المتفرج المنبهر ، وقفـــة المشـــارك الايجـــابى .

فالثقافة صانعة حياة الشعوب .. صانعة القوة .. صانعة القيمة والحضـــارة .

ومن هنا كانت نقطة البداية والتفكير فى لقاء الدكتـــور « سمير سرحان » فهو يعتبر أحد الرموز الواعية بقيمة الثقافة وأهميتها للمجتمع . خاصة بحكم موقعه الوظيفى على رأس أكبر جهاز ينتج الغذاء العقلى ، بمـــا يقدمه من أفكار ـ وعلوم وفلسفات واجتماعيات واقتصاديات وأدبيـــات وتاريخ ـ قادرة على بعث الوعى الحضارى من جديد .

واذا كان الدكتور « سمير سرحان » رمزا من رموز الثقافة بحـكم موقعه الوظيفى ، فهو أيضا رمز بحكم دراساته وتدريسه للأدب الانجليزى فى الجامعة ، وبحكم أنه من كتاب المسرح أيضا ، كل ذلك يجعلنا ننتظر منه الكثير للثقافة .. خاصة وأنه فى هذه الحالة قابض على مخ المجتمع بما يروجه من ثقافات ومعارف ، تصنع تحديا ، وتتيح قدرة « ديناميكية » للمجتمع ، ليتخلص من عقدة « الدول الناميـــة » أو « الدول المتخلفة » أو « دول العـــالم الثالث » .. وهذا المنظور يحاول الغرب أن يدعمه بكل قواه ، من خلال استسلام هذه الشعوب لعجزها وجهلها وقهر الحكام لها .

ولا تتحقق الذاتيـــة لهذه الشعوب الا من خـــلال الثقافة ، ويجب ألا نتعامل معها بشكل ترفى ، بل كمسألة حياة أو موت ، نتعامل معها كحاجـــة الانسان الى الهـــواء والماء ، حتى نكسر حدة كل المغالطات التى تنبعث من أصــــحاب الرؤى الذين يصرون على توطيـــد كل شرور « الأوتوقراطية » أى « الاستبدادية التى تؤدى الى الانغلاق والتخلف » .

التقيت بالدكتور « سمير سرحان » رئيس الهيئة العامة للكتاب ، حاولت جهدى أن أدع قشور الأشياء ، لاخوض غمار لبابه وجوهره ،

والتجاوز عن بعض الأشياء ليس تجاهلا له بقدر ما هو هروب من حلقة التكرار والدوران فى المتاهة ٠

من هنا كان لابد من البحث عن أطروحات جديدة فى اطارات متنوعة ، من التى تشغل بال وعقل وقلب كل المثقفين أو المهمومين بشئون الثقافة ٠٠ فكان لابد أن تكون المبارزة على الحلبة ، مبارزة شريفة ، تحرك ولا تطعن ، تبحث ولا تشكك ، تستوضح فى مجابهة هادفة لتثرى الجدل والتحاور بمنهج « وجادلهم بالتى هى أحسن » ٠

فكيف يمكن أن توظف الثقافة لخدمة المجتمع ؟ وما هى متطلبات المجتمع من الثقافة ٠٠ وفى أى شىء يفكر ؟

وهل المجتمع يبحث عن الكم غير المحدود من التدفق المطبعى ، أو عن الكيف الذى يتميز بأهداف قومية وحياتية واجتماعية وسياسية واقتصادية وفنية وفكرية ، تحقق نقلة فى حياة الشعب ؟

وما هى الركائز التى نستند اليها فى تعبيد الطرق حتى نصل الى مانريد وما ينبغى أن نكون عليه بين الأمم ذات الحضارة والتفوق التكنولوجى ؟!

كل هذه المحاورات الدائرة فى عقلى ، هى نقطة نظام للبحث عن لحظات الصدق فى حياة الأمم ٠٠ وكيف يمكن القبض عليها لبعث التنوير والانطلاق نحو الثورة الفكرية والعلمية ، التى تغير كثيرا من المفاهيم ، وتدعم كثيرا من الأبنية ذات الدعائم الممنهجة على أساس علمى سليم ، ركائزه التماسك الدينى والروحى ٠

واذا بدا الثوب الثقافى عندنا مهلهلا أو مرقعا ، الا أن الأمل فى اعادة الصياغة الثقافية بكل أشكالها الصحيحة مازلنا نترقبه ، لاطلاق الطاقات المكبوتة فى عقول كل الكفاءات بكل تنوعاتها الايدلوجية ٠٠ هذا فى حد ذاته اذا حدث يعتبر مكسبا عظيما ، لانقاذنا من جهلة التنوير ، ومن أصحاب التفكير المعوج الذى لايخدم الا مصالحهم الضيقة ٠

بعث حركة النشر

فجاء الحوار مع الدكتور « سمير سرحان » على هذا النحو :

●● ٠٠٠٠٠ بصفتك الوظيفية الآن ، انك أحد الركائز الأساسية الهامة فى صنع ثقافة مصرية وعربية متطورة ، فما هى حدود الممكن وغير الممكن لتخليق هذه الثقافة وما هى المعايير والأهداف التى يتم من خلالها الاختيار ، لانتاج كتاب توظيفى ، وما هى الأفكار التى تسعى الهيئة الى بعثها ونشرها ، وعلى أى أساس

يتم عرض هذه الأفكار من خلال ما تنشره الهيئة من كتب فى شتى المجالات ، وهل توجد خطة ذات ملامح محددة تتبناها لتدفع المجتمع الى الخروج من حالة التخلف الى الحرية الثقافية ، وما هى حدود تأثير الايديولوجيات على حرية الاختيار لصنع نهضة فنية وأدبية وثقافية متكاملة ؟

قال :

ــ هيئة الكتاب باعتبارها الجهة الرسمية المسئولة عن النشر ، منوط بها من خلال الكتاب بعث حركة النشر ، وخلق مناخ خصب ومتجدد من شأنه أن يشيع فى المجتمع الأفكار الصادقة والحيوية ، التى تساعد على التكوين الوجدانى والفكرى لأبناء المجتمع ، وصولا الى أنماط سلوك ترتكز على ما تتميز به الشخصيات المصرية من عمق حضارى ، الى جانب ما نبغى الوصول اليه فى حاضرنا من أنماط سلوكية حضارية ٠

ثم فى النهاية اذا كان الكتاب هو ركيزة الثقافة ، فان الهدف الأسمى للثقافة هو بلورة الشخصية المصرية وجدانيا وحضاريا وفكريا ، وترجمة كل ذلك الى سلوك متحضر ٠

ومن هنا فانه من خلال لجنة النشر بالهيئة ، ومن خلال التشاور المستمر مع كافة قطاعات المفكرين والمثقفين فى مصر والعالم العربى ، تعمل الهيئة على ثلاثة محاور لتحقيق هذا الهدف ٠

أولا : تحقيق ونشر وبعث التراث المصرى والعربى والاسلامى تحقيقا لوحدة العمق الحضارى للأمة فى الحياة الحاضرة ٠

ثانيا : نقل معارف العصر المختلفة الى القارىء المصرى والعربى ، اما فى صورة كتاب مترجم وهو ما يتم فى سلسلة كتاب « الألف كتاب » حيث تتم ترجمة ألف كتاب من أحدث ما صدر ، بعد أن عانينا فى السنوات الماضية نظرا لانحصار حركة الترجمة للانقطاع ، وقد رأينا ضرورة ذلك ، لأن الثورة التكنولوجية قد قفزت بالبشرية الى آفاق ، أصبح من المحتم معها أن نعيش معها فى قلب علوم العصر ومنجزاته ، ثم اعادة طبع ثمار الفكر المصرى والعربى الحديث ، مما يعيد اشاعة هذا المناخ الفكرى الخصب ، الذى كان موجودا من فترة العشرينات الى الستينات ٠

ثالثا : خلق حركة فكرية معاصرة عن طريق استنهاض الأدباء والمفكرين لتحديد معالم حركة الفكر المعاصر ٠

وفى هذه الفترة نحن ملتزمون بحرية الفكر والديمقراطية ، والذى

يحكمنا هو الصراع الحر للفكر وصولا الى ثقافة شاملة للمجتمع ، ومن ثم نقبل أعمالا من جميع التيارات الفكرية ولا نتقيد بالالتزام بتوجيه فكرى محدد ، لأنه يمثل عملية افقار للمناخ الثقافى وحبسه داخـــل جدران محددة ، ولذلك نعطى اتاحة الفرصة لكل الأفكار .

السباق اللاهث

ينتقل بنا الحوار الى منطقة أبعد عمقا ، مليئـــة بالأحـــراش ، وبالتفجيرات المكبوتة عن الرؤى المقنعة ، التى تبحث عن اجابات محددة فيما يتعلق بعجز الثقافة عندنا والعلوم والفنون على تغيير نمط الحياة ومناهج الفكر فيها ، وتبديلهـا لاحداث المؤثرات المطلوبة فى البنــاء الاجتماعى الى التقدم ، لمسايرة التطورات العصرية الحضارية .

حتى نجتاز المنطقة الراكدة بين الفعل واللا فعل ، يستمر البحث عن الحقائق المغيبة ومن المسئول عن ذلك الذى يحدث .. من هنا كان طرح هذا التساؤل .

●● .... هل حقيقة تنقصنا القدرة على التقدم ، وما هى المنحنيات التى تعترض طريق التفوق والتحضر ؟ هل هو العجز الثقـافى أو السياسى أو الاقتصادى ، أو أن المسئولين ثقافيا وفكريا عن تشكيل البناء التركيبى للمجتمع غير قادرين على بلورة مناهج التغيير للانطلاق نحو المستقبل ؟

قال :

ـ التقدم فى تصورى هو رغبة عامة لدى المجتمع أن يعيش العصر ، وان يتجاوز غيره من المجتمعات الى الآفاق التى وصلت اليهـا الثـــورة التكنولوجية الحديثة تحقيقا ـ فى النهاية ـ لسعادة الانسان ورفاهيته .. ولابد أن يتواكب هذا مع التمســك بكل الموروثات الحضـــارية والتاريخية والدينية والشعبية والأخـلاق التى تشـــكل « الشخصية الثقافية » لهذا المجتمع وتحفظ له تفرده بين المجتمعات .. كما لابد أن يصب كل هذا فى نهاية الأمر فى « سلوك » حضارى أو أنماط سلوكية متحضرة تعكس مستوى التقدم الذى وصل اليه المجتمع .

والتقدم الوحيـد المتـــاح الآن أمام البشرية هو التقدم العلمى ، وأمامه تسقط كل الايديولوجيات اذا لم تثبت صلاحيتها فى التطبيق لحل مشاكل المجتمع والدفع به الى قلب العصر .

والتقدم الحقيقى فى نظرى هو أن يصـــبح المجتمع فى حـــالة تسمح له بأن ينتج غذاءه وكساءه وصـناعاته وآلاته ومتطلبات حيـــاته

بنفسه وذلك على أعلى مستوى من الخبرة التى وصل اليها العالم المعاصر ، وبالتالى يستطيع أن تكون له ارادته الحرة المستقلة وأنماطه الحضارية التى تحترمها سائر المجتمعات ، ويستطيع حينئذ أن يدخل مع غيره من المجتمعات فى علاقة « حوار » وليس علاقة « تبعية » ٠

وتأسيسا على ذلك فان مجتمعنا بالرغم من أنه بدأ عصر التنوير مبكرا جدا ، كما تزامنت بدايات النهضة فيه مع غيره من الشعوب المتقدمة مثل الصين واليابان ، كما أنه يحمل أقدم حضارة فى التاريخ الا أنه لظروف تاريخية وأخرى موضوعية وثالثة شخصية تتعلق بمغامرات بعض الزعامات السابقة ، استبدلنا فكرة التقدم من خلال العمل والانتاج والأخذ بمعطيات العصر ، بالشعارات الرنانة ، والكلمات الكبيرة ، واستعضنا بذلك عن العمل ٠٠ وعندما استبدلنا قيمه العمل بقيمة « الكلام » تخلفنا عن الأخذ بقيمة التقدم الحقيقى ، وانخرطنا فى معارك وهمية بين اليمين واليسار ، والشمال والجنوب ، وغيرها من المسميات فى عصر سقطت فيه جميع الايديولوجيات ازاء السباق اللاهث وراء التقدم الحقيقى فى عصر الثورة التكنولوجية أو ما يسمى بالثورة الصناعية الثانية ، ونتيجة لذلك فاننا أصبحنا نعانى من الناحية الثقافية بمعناها الواسع ــ من أنماط فكرية تتسم بالتطرف وأحادية النظرة وضيق الأفق كالتطرف الايديولوجى يمينا ويسارا وكالتطرف الدينى ــ سواء على الجانب الاسلامى أو المسيحى ــ أو مظاهر الخومينية الجديدة ــ التى لحسن الحظ لم تصبح بعد ظاهرة تهدد حياة المجتمع أو ثقافته ٠٠ كما أصبحنا نعانى أيضا من اتساع دائرة أنماط ثقافية استهلاكية هابطة فى معظمها فرضتها أذواق طبقة أثرت ثراء سريعا فى زمن الانفتاح فأصبحت قادرة على تمويل وتشجيع الثقافة الهابطة فى الوقت الذى تعجز فيه الفئات المستهلكة للثقافة الحقيقية ــ ولا أقول الرفيعة ــ اقتصاديا عن الاستمتاع بها ٠٠ واذا كانت الدولة قد تدخلت لحماية ودعم أنماط الثقافة الرفيعة من كتاب ومسرح وفنون تشكيلية وموسيقى وباليه وأوبرا فان هذه الفنون ــ جماهيريا ــ قد تراجعت لتصبح هى ثقافة الصفوة بعد أن كانت فى العشرينات وحتى أواسط الستينات مثلا هى ثقافة المجتمع بشكل عام ٠

ولا يمكن فى تصورى أن تقوم مجموعة من المسئولين على بلورة اتجاه معين نحو التغيير الى الأفضل ٠٠ وانما هذا التغيير ٠٠ اذا كنا نريد أن نكون صرحاء مع أنفسنا لابد أن ينبع من اعادة بناء التركيبة

الاجتماعية التى أصابها خلل شديد فى فترة امتدت من ٦٧ الى ١٩٨٠، مثلا ـ وهى تواريخ ذات دلالة خاصة كما هو واضح ـ ويأتى بعد ذلك العمل على بلورة « مشروع قومى » يحل قيمة العمل والانتاج محل المعارك الكلامية والأطر النظرية ٠ ثم يأتى بعد ذلك دور الصفوة من السياسيين والمفكرين والمثقفين فى اشاعة مناخ فكرى وثقافى قائم على الحوار بين مختلف الأفكار والتيارات وصولا الى الصيغة المثلى لتقدم المجتمع ٠

هل سمعتهم فى الصين أو اليابان يتحدثون عن اليمين أو اليسار ٠٠؟ هل سمعتهم يتحدثون عن الحاكمية أو العلمانية ٠٠ ؟! انهم يعملون كل فى اطار مشروع قومى خاص به واذا تحدثوا فى هذه الأطر الفكرية فانهم يتحاورون ولا يصادرون بعضهم بعضا ٠٠ !

ان تجربة « لبنان » هى شبح مفزع ، أعتقد أن الاستعمار الجديد والصهيونية قد زرعاه وسطنا كدليل حى على العوامل التى تشل حركة المجتمع وتعوق التقدم ٠

ذاكرة الأمة

●● ٠٠٠٠٠ ويصمت الحوار قليلا ليعود أكثر سخونة واستطلاعا لتفسير بعض الأحداث والظواهر التى تكشف من تواجدها فى أشكال مختلفة ، فهل الارتكاز على الندوات والمهرجانات والمؤتمرات ، يكفى لتأصيل الفن والثقافة والفكر والعلم والترويج لكل الأفكار الخلاقة ؟ وكيف يكون التأصيل ، وما هو دور الهيئة فى ذلك ؟

قال :

ـ لا شك أن الندوات والمهرجانات والمؤتمرات هى من العوامل الهامة التى تعمل على تنشيط الحركة الفكرية والثقافة وخلق مناخ ثقافى ساخن وفعال ، وقد كان الاقبال على هذه الندوات واللقاءات الفكرية فى معرض الكتاب ظاهرة تبرز حاجة المجتمع ـ وخاصة الشباب ـ الى الحوار الجاد الخلاق ـ لكن هذه الأنشطة لاتكفى وحدها لصنع الثقافة أو تأصيلها فى المجتمع ٠٠ فالمسئول عن ذلك هم المثقفون أنفسهم أو صناع الفنون والآداب ٠٠ وهم الذين يفرضون ٠ « المستوى » الذى يحكم ثقافة المجتمع صعودا أو هبوطا ٠٠ وكذلك وجود حركة نقدية وعلمية خلاقة تقيم الابداع وتشيع الأنماط الفكرية الصادقة والحقيقية ،

والهيئة العامة للكتاب هي « وعاء » مدعوم من الدولة لتسهيل وصـول الفكر الى الناس بأيسر السبل وربما أيضا بأرخص الأسعار ٠٠ كما أن من مهامها أيضا الحفاظ على « ذاكرة » الأمة ممثلة فيما تملكه من وثائق ومخطوطات في دار الكتب ، وما تنشره من تراث محقق بجهـد علمي صادق ٠٠ وهي أولا وأخيرا بيت المثقفين العرب جميعا ٠٠ حيث يطلقون من خلالها ابداعاتهم الفكرية والعلمية والأدبية في صـيغة تقوم على التحاور لا التصارع بين الأفكار ٠٠ واحترام الفكر دون مصادرة ٠

أين الحركة النقدية ؟

●● ٠٠٠٠٠ واذا كنا نبحث عن صيغة المستقبل الثقافية ، فلا يمكن أن نتغـاضى عما يحـدث للأدباء الشـبان من معوقات تؤثر في انطلاقاتهم الابداعية ، ومن هنا كان لابد من تتبع معرفة حقيقة هذا الصراع ، وكيف يمكن تيسير كل الجهـود المتاحة لتحقيق رغبات هذا الشباب الطموح ، فجاء السؤال على هذه الصيغة ٠

الأدباء الشبان يتهمون النقاد ودور النشر وخاصة الهيئة بأنهـا أحد أسباب الأزمة والتدهور في الفن والأدب لعدم تبني الاعمال الجيدة وتجاهلها ، وغلب الانحياز والشللية المجاملة على حساب القيمة الفنيـة والفكرية ، فطفا على السطح الفقعات ومن لايستحقون ، وضـاع وسط متاهة الاحباط من هو أقدر على النبوغ والابداع ؟!

قال :

ـ ليس هذا دفاعا عن الهيئة ٠٠ وانما تهتم الهيئة حاليا اهتماما خاصا بنشر ابداعات الأدباء الشباب ، بل وتقييمها أيضا من خلال دراسات يقوم بها كبار النقاد لهذا الابداع ٠ والدليل المادي موجود وهو سلسلة « اشراقات أدبية » المخصصة لابداع الشباب ٠

كما أن مجلات الهيئة الثقافية تفتح الباب على مصراعيه لابداع الأدباء الشبان ٠٠ ولا تشترط سوى المستوى الرفيع والجودة دون النظر الى أية انتماءات فكرية أو مقاييس أدبية أو غيرها ٠٠ المقياس الوحيـد هو القيمة الفكرية والفنية ٠٠ ولكن قبل كل ذلك وبعده فان القضية بالنسبة لنا ، هل هذا العمل المقدم للنشر في الهيئة عمل جيد أم لا ٠٠ ؟ بصرف النظر عن كاتبه ٠٠ فاذا وجدنا أنه يرقى الى المستوى المنشود ، فنحن ننشره على الفور ٠٠ وهناك الآن فيض من الأعمال تصدر عن هيئة الكتاب، حتى أن أحد النقاد قال : أننا أصبحنا نشكو من قلة الوقت لمتابعة كل

ما يصدر عن الهيئة من كتب ٠٠ وهذا الفيض هو دليل خصوبة فكرية فى المجتمع الآن ينقصها فقط حركة نقدية نشطة ومتابعة جادة لما يكتب وينشر حتى يستطيع كل ذلك أن يتحول الى تيـار فعال يدخل فى صميم الحياة اليومية للمجتمع ٠٠ وأنا أقول لكل من يشعر بالاحباط كما تقول أرجو أن تتقدم لنا ، فأذرعنا وقلوبنا وعقولنا مفتوحة لك ٠٠ مهما كان انتماؤك الفكرى ٠٠ شرطنا الوحيد هو الجودة والقيمة الحقيقية ٠

الترجمـة واهميتها

●● ٠٠٠٠٠ الترجمـة من أهم المقومات الأساسية فى بناء الحضـارة الانسانية ، ما هى الأسس التى يتم عليها اختيار الكتب المترجمة، وهل هناك لجنة اشرافية تقوم بهذا العبء الضخم ، ولماذا توقفنا فى ترجمتنا عند حدود القـرن ١٩ ولم نتجاوزه ؟ ولماذا لا نترجم أمهات الكتب التى صنعت التحولات الجذرية فى تاريخ الشعوب ؟!

ـ لا يمكن فى هذا العصر أن ننفصل عن ثورة المعلومات المتفجرة فى عالم اليوم ٠٠ ومن هنا تأتى أهمية الترجمة ٠٠ ولقد توقفت ـ أو كادت ـ حركة الترجمـة فى مصر لفترة طويلة لأسباب عديدة منها ضـعف أجور المترجمين ، وندرة المترجم الجيد ، وضعف تدريس اللغات فى مدارسنا وجامعاتنا بشكل عام ٠ وعندما شرفت برئاسة هيئة الكتاب فكرنا أن نعيد الى حركة الترجمة ازدهارها ٠٠ وأن نصل ما انقطع بيننا وبين المعـارف الانسانية خاصة تلك التى ظهرت ابان عصر ثورة المعلومات فى الخمسة عشر عاما الماضية ٠٠ فقمنا للتخطيط لمشروع الألف كتاب الثانى ، وقامت لجنة متخصصة بوضع خطة تتلخص فى تكليف كل الأساتذة الجامعيين من مختلف التخصصات وفى كافة فروع المعرفة لترشيح أهم الكتب التى صدرت فى تخصصاتهم لترجمتها واختيار المترجم الكفء المتخصص ان أمكن ٠٠ على أن يكون الكتاب للقـارىء العام وليس القـارىء شبه المتخصص ٠٠ وبدأ بالفعل تنفيذ الخطة وصدر حوالى ثمانين كتابا من الألف كتاب التالية ٠ أما بالنسبة لمشروع ترجمة أمهات الكتب فنحن نفكر فيه جديا ٠

●● ٠٠٠٠٠ مع ظهـور التليفزيون بصفة خاصـة كان هناك نشاط مسرحى ، كان من الممكن أن يؤدى الى نهضـة مسرحيـة ما رأيك فى هذا ؟!

قال :

ــ لا شــك أن ظهور مسارح التليفزيون في الستينات كان بمثابة معمل للتفريخ أدى الى ظهور جيل كامل من الكتاب والمخرجين والممثلين وفنانى المسرح عموما ، كما أدى ــ وهذا هو الأهم ــ الى توسيع القاعدة الجماهيرية لمشاهدى المسرح · كما أنه حقق التكامل المثالى المنشود بين أجهزة الثقــافة وأجهزة الاعلام ·· بحيث أصبح المسرح تيــارا فى قلب الحياة اليومية للمجتمع ·· وكان من الممكن ــ أولا أن تكاتفت معاول الهدم لاجهاض التجربة ــ أن تؤدى الى نهضة مسرحية حقيقية · والنهضة هى المحصلة النهائية لعملية اتســاع رقعة النشاط · لكن شروط النهضــة المسرحية ــ فى تصــورى ــ أن يقوم حوار حقيقى بين المسرح والمجتمع ، بحيث يتحول المسرح الى مؤسسة اجتماعية وثقافية تعكس قضايا المجتمع وتطرح الأسئلة الجذرية التى تواجهه فى كل مرحلة من مراحل تطوره فى الاطار الانسانى الشامل ·· بحيث يكون هناك مسرح مصرى حقيقى ·· كما أن هناك مسرحا انجليزيا وآخر فرنسيا الى آخره ·· والواقع أن المسرح المصرى المعاصر ــ منذ أوائل الستينات وحتى الآن قد خطا خطوات واسعه فى هذا السبيل غير أن دور المسرح كمؤسسة ثقافية ــ فى المرحلة الأخيرة ــ بدأ ينهزم أمام زحف التيارات التجارية ·· لكننا مع الثمانينات وبدء الحوار الديمقراطى المفتوح فى المجتمع بدأنا نستعيد مكانة المسرح وبدأت تظهر أعمال سواء فى القطاع العــام أو الخاص تدير حوارا حقيقيــا مع المجتمــع ··

الثقــافة مســئولية من ؟

●● يقال : أن الثورة وما بعدها لم تنتج ثقافة ، وانما عاشت على ثقافة الأربعينات ، وأن الديكتاتورية حالت دون تواصل الأجيال وحالت دون التطور الثقافى ؟!

ــ من الظلم أن نقول أن الثــورة لم تنتج ثقافة ·· والعكس تماما هو الصحيح ·· فقد أنتجت الثورة ثقافتها فى عصر التحولات الاجتماعية الكبرى ·· صحيح أن بعض الكتاب الذين صنعوا ثقافة الثورة نشأوا فى الأربعينات وتكونوا فكريا فى الخمسينات لكنهم عندما امتلكوا أدوات التعبير واكتمل لهم النضج الفكرى والشعورى عبروا بصدق عن مجتمع الثورة ، والكثيرون منهم خاصة في فن الرواية وفن المسرح تعرضوا بالنقد الشديد لبعض الممارسات الديكتاتورية فى العهــود الأولى للثورة ، لكنهم عبروا بنفس الدرجة من النضج والحماس عن التحولات الاجتماعية العميقة التى

جرت فى المجتمع المصرى وترددت أصداؤها فى الوطن العربى والكثير من دول العالم الثالث نتيجة لقيام ثورة ٢٣ يوليو ٠٠

ولا ننسى أنه من أعظم انجازات الثورة فى مجال الثقافة انشاؤها لوزارة الثقافة التى شقت قنوات ـ لا لصنع الثقافة ، فالثقافة يصنعها المثقفون أنفسهم ـ وانما لتسهيل وصول الثقافة الجادة والرفيعة الى مستهلكيها من أفراد الشعب العامل وبالتالى خلق مناخ فكرى وثقافى خصب ٠

تصحيح الذوق العام

●● ٠٠٠٠٠ يقول برنارد شو : ان النقاد من الوجهة الاجتماعية ومن ناحية السلوك أبالسة فى قرارة أنفسهم ، ولو أنهم انضموا الى الأندية لفسد نقدهم وأضروا بالفن ضررا بليغا ؟!

قال :

ـ النقد هو عملية ضرورية لتقييم الابداع وتصحيح الذوق العام وتحديد المستوى الحقيقى الذى يجب أن تكون عليه مختلف الأنشطة الثقافية ٠٠ وهو أيضا ضرورى ، لاشاعة تيار من الأفكار الجديدة والصادقة فى المجتمع تمهد للابداع وهو ضرورى أيضا لالقاء الضوء على العمل الابداعى من الداخل حتى يمكن للمتلقى أن يدرك كل خصائصه ويعكس فيه مواطن الجمال والقبح ٠٠ كل ذلك شريطة أن يكون النقد علميا ومنهجيا وموضوعيا ٠٠ أما من يتحدث عنهم برنارد شو فهم تلك الطائفة من أشباه النقاد أو مدعيى النقد الذين يملأون أحيانا صفحات الصحف بكلمات انطباعية أو نابعة من دوافع شخصية ٠٠ !!

●● ٠٠ هناك قول لفولتير : أن التاريخ أكداس من الجرائم والحماقات والتعاسات ٠٠ وأنت وكتاب جيلك من الدكاترة تصرون على استمرارية التعامل مع التاريخ بشكل عام ، دون الغوص فى الواقع الاجتماعى الآن والتعبير عنه ؟

قال :

ـ غير صحيح أن كل أعمال جيلى تستلهم التاريخ وأنا منذ كتبت « الكذب » و « روض الفرج » وهى أعمال اجتماعية ، وكتبت « ملك يبحث عن وظيفة » ٠٠ وهو عمل اجتماعى سياسى فى اطار الفانتازيا ٠٠ أما اللجوء الى الاطار التاريخى فى بعض أعمال جيلى من الكتاب المسرحيين فهو للتعبير ـ ربما بلغة الفن وليس بلغة المباشرة ـ عن قضايا اجتماعية وسياسية تلمس قلب الواقع المعاصر ٠٠ وبالتالى فان هذه الأعمال

تستلهم التاريخ أحيانا ولا تسرده لكي تقول من خلاله ـ كاطار ـ أشياء هامة فى صميم الواقع الاجتماعى والسياسى ٠

●● ٠٠٠٠٠ حكايتك مع الشيخ الفاسى ٠٠٠٠ ؟

ـ الشيخ الفاسى صديق عزيز منذ أكثر من خمسة عشر عاما ٠٠ وهو رجل دين وصاحب رسالة ٠٠ أنا مقتنع بها من خلال ما رأيته بنفسى من خدماته الكثيرة والجليلة للاسلام والمسلمين وخاصة فى أوربا ٠

●● ٠٠٠٠٠ هل يمكن وضع أبناء العصر الحالى فى منزلة مساوية للقدامى المبجلين ، أو هم أهون شأنا منهم من الناحية الفكرية والابداعية ، ولماذا كثر العقوق لجيل الرواد ومحاولة هدمهم على مذابح البحث عن الشهرة والمجد دون الاضافة والتجديد ؟!

قال :

ـ لكل عصر فرسانه ٠٠ ومن تسميهم « بالقدامى المبجلين » كانوا من المثقفين الموسوعيين الذين احتاج اليهم عصرهم لنشر الوعى بشتى ضروب الفكر ٠٠ أما الآن فنحن فى عصر التخصص ٠٠ والتخصص الدقيق الذى يضرب فى عمق الأشياء ولا يأخذ من كل بستان زهرة ٠٠ واذا كان جيل الرواد قد أدى دوره بأمانة وعظمة كأفراد فان الأجيال التالية ـ الأكثر تخصصا ـ تؤدى دورها كمجموعات أو قل كأوركسترا متكامل لكل آلة فيه دورها ووظيفتها لكنها جميعا تعزف فى النهاية لحنا واحدا ٠

أما عن العقوق فهى ظاهرة مرضية فى مجتمعنا خصوصا فنحن كثيرا ما أن نجد مصباحا مضيئا الا وألقينا عليه حجرا أو أحجارا ، وكأننا بذلك مصابون « بالماشوسية » كل همنا أن نهزم أنفسنا وثقافتنا بأنفسنا مع أننا الذين حملنا مشاعل الفكر والثقافة وما زلنا نحملها فى أرجاء الوطن العربى ٠٠ وأنا أتساءل معك لمصلحة من تشويه الرموز المضيئة للثقافة المصرية قديمها وحديثها ؟!

●● ٠٠٠٠٠ أين تقع ثقافة الطفل من اهتمامات الهيئة العامة للكتاب ؟

قال :

ـ أعتقد أنه فى المرحلة الحالية هنــاك اهتمـام حقيقى بالطفل وثقافته ٠٠ ولقد عمق الاهتمام الجهود المثابرة والمخلصة من أجل خلق مناخ الاهتمام بالطفل وثقافة الطفل سواء فى المدارس الابتدائية التى تقع فى مناطق محرومة أو بانشاء المكتبات العـامة للطفل ٠٠ أو باثارة الاهتمام بالقراءة ٠٠ كما أن جهود وزارة الثقافة بمختلف قطاعاتها فى هذا المجال

لا تنكر ونحن من الدول القليلة فى العالم التى تقيم معرضا دوليا خاصا بكتاب الطفل .. لكن عملية ثقافة الطفل هى فى نهاية الأمر عملية متشابكة ومتشعبة ، أطرافها فى الأساس هى الأسرة والمدرسة ثم المناخ العام فى المجتمع ، ولذلك يلزم تكوين مجلس أعلى للطفولة يخطط وينسـق بين مختلف الجهات المعنية بالطفل والطفولة ... وتسأل قبل كل ذلك وبعده السؤال الجذرى .. ماذا بالضبط نريد أن نفعل بالطفل المصرى خصوصا فى خضم واقع امتلأ بالعديد من المتغيرات ، وفى عصر يواجه الطفل فيه تحديات أكثر بكثير مما واجهه جيلنا والأجيال السابقة ؟!

وينتهى الحوار .. ويبقى الانتظـار .. واذا كنا قد لمسنا الجهـد المبذول والكم الكبير من الكتب التى تطرحها الهيئة الآن ، وهو نشاط نشكر الدكتور « سمير سرحان » عليه لأنه جعلنا نلهث خلف هذا الكم الهائل من الكتب المنشورة ، والتى افلست جيوبنا . لكن هناك تساؤلا ملحا ، ربما يكون مضمرا فى النفس ، أو أغفله العقل فى زحمة الوصول الى أكبر قدر من الحقائق ، هل بالكم وحده يحيا الانسان ؟ أو أنه لابد من وقفة موضوعية لدراسة حقيقة الكم ، هل وصل بالقارىء الى ما ينشده، وبالمجتمع الى ما يبغيه ؟ وهل هذا الكم من الكتب يعبر عن وحدة الهدف الثقافية ؟ التى يبحث عنها المجتمع لتكون أساس انطلاقه ووضعه على الطريق الصحيح ! أو أنه مازال فى الجراب الكثير من الأفكار التى يسعى الدكتور « سمير سرحان » الى تحقيقها . وتركنا نهبا لمفاجأة ثقافية تغمر المجتمع بأفكار غير تقليدية وأقرب الى الاستنارة الفكرية ، وهذا ما نأمله للهيئة ؟!

د . فوزى فهمى

الأزمة والعزلة الفكرية ... !

هنـــاك تساؤلات تطرح نفسها على الساحة الفنية والأدبية بشـــكل حاد ، لمعرفة الى أين يسير الفن ؟ وعلى من تقع مسئولية تدهوره وقصوره فى التعبير عن قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ؟ أو بمعنى أدق فى التعبـــير عن الشخصـــية المصرية بكل أبعادها ومكنوناتها وطموحاتها ٠

واذا كان الحـــوار مع شخصـــية كان لها دور فى تدعيـــم الحركة المسرحية من خلال قيادته لمعهد الفنون المسرحية فى فترة ما ، ثم من خلال العطاء المسرحى بتأليفه ثلاث مسرحيات « عودة الغائب » و « الفـــارس والأسيرة » و « لعبة السلطان » وأخيرا بتوليه منصب نائب رئيس أكاديمية الفنـــــون ٠

ولكن يبقى الرصد قائما ، والبحث عن اجابات محددة لكل التساؤلات الحائرة ، عما يحدث للثقافة المصرية فى مختلف مراحلها وابداعاتها ٠

وحيث ان الدكتور « فوزى فهمى » يمثل جيل الوسط ، فقطعا سوف تتنوع الرؤية والتقييم والمعطيات ، لأنها تكون أقرب الى استشراف المستقبل منها الى الغوص فى أعماق متاهات الماضى ، وان كان تسليط الضوء على الماضى مطلوبا ومرغوبا فيه ، حتى نستفيد من ايجابياته ونتخطى سلبياته ٠

وحتى لا نكون أسرى خطاياه فقط ، وسجناء دروبه المظلمة ، ويبقى المنظر مضحكا فى تشكيله عندما نجد أنفسنا نمتطى جوادا أعرج يغرقنا فى الخجل ، والعالم من حولنا يتطور ويتقـــدم ، ويرتاد آفاقا متنـــوعة ومتعددة ، والتى نحاول دائما أن نتجاهل خطواتها وتحضرها ٠

وهذا لا يحدث الا من خـلال تقييم شامل واستيعاب متكامل لكل الأجيال ، عن طريق الحوار البناء لمعرفة طموحات كل جيل ، ونظرته الفكرية والأدبية والفنية ، التى تحكم خطاه ومنهجه ٠.

ولذلك كان هذا الحوار مع الدكتور « فوزى فهمى » ٠

ليست كمحو الأمية

٠٠٠٠٠ من العلامات البارزة فى ارساء دعائم الفن ، تأسيس أكاديمية للفنون بمعاهدها المختلفة ، وبصفتك أحد المسئولين عن الأكاديمية ، هل أدت هذه المعاهد دورها فى خدمة الفن ، أو أنها تحولت الى معوقات للفن ، ولم تمنح الفن الا دراسة أكاديمية نمطية دون المواهب وتنميتها ؟ وهل نوعية الدراسة فيها يشوبها قصور فى المناهج ، وقصور فى عطاء الأساتذة مما أدى الى التدهور الفنى وسطحيته عن الفن فى الماضى ، الذى لم يكن يسانده الا الموهبة والثقافة الذاتية ، ما رأيك فى هذا ؟! .

قال :

ـ لا شك أن معاهد أكاديمية الفنون قد أدت بعض الدور المنوط بها فى خدمة الفنون المختلفة ، والذى لا شك فيه أيضا أن تقييد الدارسين فقط داخل أكاديميات لا يمكن أن ينتج فنانا ، كما أن تقييد الناس داخل الجامعات لا يمكن أن ينتج مثقفا ، وعمر أكاديمية الفنـون ٢٥ عاما ، ولا أدعى أنها قد نجحت فى مهمتها تماما ٠

٠٠٠٠٠ والسبب ؟!

ـ انها تعتبر شديدة الجدة ، وأيضا مشاكلها شديدة التعقيد ، وليس معنى هذا أننى ضد التعليم الأكاديمى للفنون ، ولكن عنصر التطور تعوقه مشـكلات يطـرحها مـرة الواقـع الاقتصـادى ، ومـرة الواقـع الاجتمـاعى ٠٠٠ الخ ٠

ويكفى أن أضرب لك مثلا أنه عند انشاء معهد التمثيل سنة ١٩٣٠ واجه حملة ضارية أدت الى اغلاقه على يد وزير التقاليد « حلمى عيسى » ٠٠ وهذا فى حد ذاته كان ضربا للفكر النهضوى من نزعة متزمتة ، أثارت اشكالية غريبة ، هى أن المجتمع يسمح ببناء المسارح وتقـديم العروض ولا يسمح باقامة معهد علمى لدراسة هذا الفن ، وعندما أعيد افتتاح المعهد عام ١٩٤٤ قام على أكتاف شخص واحد هو « زكى طليمات » ٠

من السهل علينا أن نتبين الدوافع وراء الدعوة باغلاق المعهد ، وأيضا وراء الدوافع التى نادت بانشائه ولا أريد أن أدخل فى تفاصيل ، ولك أن تتصور كيف يمكن أن يؤكد كيان معهد يدرس الفن وما يحتـاجه من دعم على كافة مستوياته ٠

فهو الى عام ١٩٥٨ ظل يتنقل من مدرسة بعد الظهر الى مدرسة ، حتى استطاع الدكتور « ثروت عكاشة » أن يخصص له مبنى خاصا ، وأن يحوله الى معهد نهارى ، هذه الفترة بل وما بعدها تحمل فى طياتها العديد من المشاكل المركبة التى واجهت أقدم معاهد الأكاديمية ، قس على هذا انشاء « معهد السينما » ، و « الكونسرفتوار » ، و « الباليه » ، كل هذه المعاهد تحتاج الى آلاف الجنيهات ، وعلى الدولة أن تضع فى موازناتها هذا الدعم ، لشراء أجهـزة « لمعهـد السـينما » ٠٠ وآلات موسـيقية لمعهـد « الكونسرفتوار » ، ومناخ لتدريبات واحتياجات « لمعهد الباليه » ٠٠ الخ٠

ثم أيضا عليها أن توفد البعثات لتستكمل هيئات التدريس بها ، كل هذا يشكل عبئا ماديا على موازنة دولة أمامها العديد من المشكلات ٠

ومعاهد الفنون بطبيعتها ليست كمدارس محو الأمية لا تحتاج الا الى الهواء الطلق أو فصل متواضع ، بل تحتاج الى مناخ يوفر كل الأجهزة والاحتياجات المطلوبة لتعليم هذه الفنون ، أضف الى هذا أن مناهج هذه المعاهد كانت تستند الى الخبرات المتوفرة فى المجتمع المصرى وقتذاك ، الأمر الذى لم يكن محققا لما يجب أن تكون عليه هذه المعـاهد من ناحية المناهج وأعضاء هيئة التدريس ٠٠ وشيئا فشيئا استطاعت الأكاديمية أن تستكمل أدواتها ، سواء بتوفير الأجهزة أو اعداد الكوادر الفنية عن طريق البعثات ، وانشاء الدراسـات العليا ، ثم بدأت بعد ذلك تطور مناهجها مسترشدة بذلك معاهد العالم فى مثل هذه التخصصات ، وبدأت تغير فى شروط قبولها وأيضا فى اختباراتها ٠

وعلى هذا صار المعيار بالنسبة لمعاهد الأكاديمية هو الموهبة بالدرجة الأولى ، التى تصقل بالتعليم والدراسة العلمية ، حتى تشحذ هذه الموهبة علميا وتطبيقيا ، ولست أدافع عن انها نجحت ١٠٠٪ ، بل أقول أنها عام بعد عام تستكمل أدواتها لتحقق خلق الفنان الواعى الموهوب والمقدر فى ذات الوقت لدوره فى مجتمعه ٠

انه الهـدف

٠٠٠٠٠ ما هو دور الأكاديمية ومعاهدها الفنية فى تنمية الشخصية المصرية. ؟!

ـ الدور المنوط للأكاديمية هو تعليم الفنون وفق مناهج علمية ، وتحقيق هوية مصرية للفنون وهذا ما نص عليه قانون انشاء الأكاديمية ٠

والذى لا شك فيه أن الهوية المصرية تتكون من حلقات ثلاث ، هى « الفرعونية » ، و « القبطية » ، و « العربية الاسلامية » ٠

الشخصية المصرية تجمع فى تضاعيف تراثها أصداء من هذه الحلقات، والتى رغم انفصالها الظاهرى الا أنها متصلة ومستمرة ، هذا الوعى بطبيعة الشخصية المصرية وكذلك فنونها التقليدية التراثية هو ما تحاول الأكاديمية أن تؤكده ، سواء فى مناهجها الدراسـية أو فى عروضـها التطبيقية ٠ فالأكاديمية لا تكتفى بالجـانب التعليمى فقط وانما أقامت فرقا طليعية مهمتها أن تقدم العروض الفنية ، التى تتخـذ مصـادرها من الشخصية المصرية وفنونها ، وذلك لصـد هجمات أصـحاب الفن الرخيص أو الفن السوقى ، الذين يستخدمون الفنون الشعبية أو التقليدية لافساد الذوق والاتجار به ، ويطرحون على الساحة الفنية بخبث ، أن ما يتعلمه طالب الفن داخل جدران الأكاديمية لا يصلح خارج جدرانها ٠

ومنذ انشاء وتدعيم الدراسات العليا أصبحت قضية هوية الفنـون المصرية ، هى الطرح الدائم فى رسائل الماجستير والدكتوراه لخلق مظلة فكرية علميـة ، تقنن وتنظـر وترصـد وتحلل ، تواكبها عروض الفرق الطليعية التى تؤكد هذا الاتجاه ٠

الهتاف هو المعيـــار

وحتى لا يتوقف الحوار عنـد دائرة الوظيفـة ، كان لابد أن نطلق للحوار العنان حتى يسلك كل الدروب الظاهرة والخفية ، وخاصـة أن الحوار مع واحد من جيل الوسط ، وله رؤيته الثقافية وكتاباته المسرحية ، فهل يمكن أن يدور الحوار فى مدارات مختلفة دون أن يكون للثقافة نصيب من القاء الضوء عليها ٠٠ فكان هذا السؤال ٠٠

٠٠٠٠٠ ما رأيك فيما يقال أن الثورة وما بعدها لم تنتج ثقافة ، وانما عاشت على ثقافة الأربعينات ، وأن الديكتـاتورية حالت دون التطور الثقافى ، وحالت دون تواصل الأجيال ؟!

قال :

ـ مفهوم تقييم أى ثورة لا يمكن أن يأتى بعد مرور عشر سنوات أو عشرين سنة ، ثم أى ثورة المفروض أنها تحدث أى تغيرات ، هذه التغيرات تكون على المستوى السياسى والاجتماعى والثقافى والفكرى ‥ ومعروف أن هناك تغييرات ممكن أن تتم بالقوانين ، هذه التغييرات يمكن أن تتحدد فى المجال السياسى والاجتماعى ، فيمكن أن يصدر قرار بتحديد الملكية بخمسين فدانا أو مائة ، ويحمى هذه التغييرات سلطة الدولة أو الثورة كسلطة آمرة ‥ !!

أما ما لا يمكن احداثه بالقوانين فهى التغيرات النفسية أو بمعنى أشمل التغيرات الثقافية ‥ هذه التغيرات الثقافية لها أدوات اذا ما توافرت هذه الأدوات يمكن أن تساعد بفعل التراكم الكمى الى احداث التغيرات ، لأنها بالتأكيد توسع القاعدة التى تساعد فى خلق هذا النوع من التغيير ۰ كل ثقافة لها معاييرها وشروطها ، ولا نستطيع أن نقول أن هناك ثقافة ثابتة ، أو أن هناك ثقافة خاصة بالأربعينات أو الثلاثينات ، وانما الثقافة هى حصاد ضمير الأمة على مر عصورها تتجسد فى سلوك أفرادها الحياتى ۰

وفكر الثورة هو نتاج تراكم هذه الثقافة ‥ فعندما خرجت ثورة يوليو من منظومة معتقدات كونتها الثقافة المصرية ، ولم تأت وافدة عليها ، أقصد أن هذه الثورة خرجت من المجتمع المصرى والمؤازرات التى آزرت هذه الثورة بالتأكيد تؤكد انتماء هذا الفكر الى المجتمع المصرى ۰

الأحداث السياسية التى تمت فى الأربعينيات بكل صورها تؤكد ضرورة قيام هذه الثورة ، اذن فلا يمكن أن نقول أن ثورة ٥٢ عاشت على ثقافة قبلها ولكنها خرجت منها ۰

التغييرات التى طرحتها ثورة يوليو الاجتماعية والسياسية ، كان على الأدب والفن أن يؤكدها ۰ لأن وظيفة الأدب والفن تتحدد بأنهما يعدلان مواقف الانسان تجاه التغيرات التى تحدث فى مجتمعنا ۰

بعض من هذا الدور كان موجودا كاتجاهات فى ثقافة الأربعينيات ، كالدعوة الى الحرية والمساواة والعدل الاجتماعى ، ورفض القهر واذابة الفوارق ، كل ذلك لا نستطيع أن نقول أن الثورة قد أتت به ، وانما الثورة جسدته فى شكل الحكم أو شكل السلطة ، واعتبرت نفسها وريثة هذه الأحلام التى طرحت على الساحة المصرية ، وأصبحت النخبة التى هى ثورة ، نفسها مسئولة عن تحقيق هذه الأحلام ۰

من هنا تأتى نقطة الخلاف ، وهى أى الطريق يسلك لتحقيق هذه الأحلام ؟ ۰

اصطدمت ثورة يوليو مع كل الأحزاب التى كانت تحكم قبلها ، رغم أن بعض هذه الأحزاب كان يشترك فى معظم هذه الأحلام ، وانما أتى الخلاف فى التكتيك أى فى الطريق .

يأتى عامل آخر هام وهو وضع المجتمع المصرى كمجتمع متخلف .. وعلاج هذا المجتمع كان يتحدد فى تنميته ، والتنمية هى عملية تغيير اجتماعى شامل لتحقيق العصرية والحداثة ، وايجاد التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والادارية التى تدفع بالمجتمع الى التجديد ، وهذا علميا لا يأتى الا باطلاق الطاقات الكامنة من أجل السلوك المبدع ، حيث يتحرر الفرد والمجتمع وتتزايد استقلالية الأنظمة الاجتماعية وينشط تولدها الذاتى .

وبالتأكيد ان الطريق لتحقيق هوية واستمرارية المجتمع المصرى النامى ، يكمن فى العمل الدؤوب المتكامل ، وتلك هى مهمة القيادة السياسية .. اذ لا يمكن أن تتم هذه التنمية الا بايجاد الثقة العامة ، وتنعكس هذه الثقة فى مدى المشاركة السياسية ومستوى التكامل القومى والاستقرار ، وهو ما يلخص ما يعرف بمستوى الحضارة السياسية رفعت ثورة يوليو الشعارات والأهداف والمبادىء التى تحقق لها هذه الثقة ، وكان عليها أن تنتبه الى أفراد المجتمع أنفسهم لأنهم هم المنوط بهم العمل الدؤوب لتحقيق التنمية الثقافية .

والمدخل لأى تنمية ثقافية هو القضاء على الأمية الأبجدية والأمية الفكرية ، وحدث بالنسبة للتعليم فى مصر بعد طرح شعارات الثورة ، أنه قد أصبح التعليم وسيلة للحراك الاجتماعى ، ولم يصبح التعليم فى حد ذاته وسيلة للتنوير ، انما للحصول على الشهادة التى يتم بها هذا الحراك الاجتماعى .

أضف الى هذا أن قضية الأمية الأبجدية على قدر أهميتها للخروج من مأزق التخلف لم يلتفت اليها بهذا القدر من الأهمية ، الأمر الذى فى رأيى أثر تأثيرا مباشرا على انتشار الثقافة ، وحصر مصادر هذه الثقافة فى الأجهزة التى تعتمد على نظرية « أقل الجهود » كالاذاعة والتليفزيون والجرائد اليومية ، وهذا ما لا يمكن أن يحقق ثقافة المجتمع .. !!

فالصفوة التى تقود هى التى تقرأ وتتعامل مع الكتاب فقط ، وهذه النخبة ليست كل الشعب أو كل الناس .

وبذلك لم يتحقق التحرر الثقافى للفرد ، لأنه أصبح أسيرا لمصادر بعينها ، وحرم من أدوات ممارسة حريته فى التحصيل الثقافى ، والتى

تتمثل فى الأبجدية الأمية التى لم يقض عليها وفى الأبجدية الفكرية عندما ربط التعليم بالشهادة ٠٠ !!

ومن المعروف علميا أن أى مجتمع يحوى فى داخله ثلاث ثقافات ، ثقافة « الجد » وهى التى تسمى الثقافة السابقة الصورة أى التراث ، ثم ثقافة « الأب » والتى تسمى الثقافة المتلازمة الصورة أى الحاضر ، ثم ثقافة « الابن » والتى تسمى الثقافة اللاحقة الصورة وهى المستقبل ٠

ولا يمكن لأى مجتمع أن يقتصر على واحدة بعينهـــا دون الجناحين الآخرين ، اذ لابد أن يتم نوع من الجدل والحوار بين هذه الثقافات الثلاث ٠

هذه الثقافات الثلاث هى التى تشكل الوعى للمجتمع ، وترتكز على جناحين هما اللغة والوحدة السيكولوجية ٠٠ ولا يمكن أن نتصور أنه لم يحدث حوار بين اللغة فى الثقافات الثلاث والا لاعتبرنا أن ما نكتبـه اليوم فى لغتنا العربية لا يمت الى لغة التراث ، فاللغة كائن متطور ، وأيضا يتطور بها السلوك الاجتماعى ، والاقتصار على واحدة بعينها خطر محقق على المجتمع تماما ٠

ومن الأشياء التى أثرت على الثقافة المصرية هى تقطع هذا التواصل ولأسباب ـ بعضها انتهازى ، وبعضها نقص فى سعة الأفق ـ أتهم التراث بانه رجعى ، ولنفس الأسباب أتهمت الثقافة اللاحقة بالشطط ، وانحصر الأمر على الثقافة الحاضرة ، والتى كانت تشايع الفكر المطروح ، اما عن صدق واما عن انتهازية ، وأيا ما كانت الأسباب فان هذا « التجزر » كان خطرا على المجتمع وتواصله واستمراره ، وأصبحت الســـاحة خالية من الحوار ، وصار الهتاف هو المعيار ٠٠ !!

كيف نتجاوز الواقع ؟!

٠٠٠٠٠٠ هل العزلة الفكرية تؤدى الى الاغتراب وعدم الانتمـــاء داخل المجتمع ؟! ٠

قال :

ـ لا شك أن العزلة الفكرية لها دخل كبير فى اغتراب الانسان ، والاغتراب يأتى من موقف الانسان تجاه مجتمعه وحضارته ، يشك فى قيمتها واسهاماتها وقدرتها على مسايرة الاحتياجات الأساسية ٠

لكن أن يؤدى الاغتراب الى عدم الانتماء فهذا أمر يحتاج الى وقفة ،

اذ لا يمكن للمغترب أن يتحول بجهـــده الخاص الى منتمى ، وقد يمكن للمغترب ألا ينتمى .

فالانتماء هو التفاعل الحقيقى مع المجتمع الذى نعيش فيه ، والايمان بقيمه ومنجزاته ، والمشاركة في تطويره ، وأنا أقصد بأن المغترب يستطيع بايجابيته أن يتحول الى منتمى مهما كانت درجة شكوكه وتوجساته .

المغترب الذى يؤمن بحضارة مناوئة وبشكل موضوعى لابد أيضا أن يؤمن بالحضارات الأخرى ، فيقبل عليها ويتعرف على ايجابياتها وسلبياتها ويوجـد الحوار بينهما ، الأمر الذى يقطع هـذا الاغتراب ، وهنا يفترق الاغتراب المرضى الذى ينشأ عن الحصار الذى يلازمه صاحبه نتيجة لفكرة مهيمنة تفقده فاعليته وتمنعه من ملامسة واقعه وأيضا تجاوزه .

وهناك عنصر أود الاشارة اليه فى شأن مكونات هذا الاغتراب ، هو أثر الاستشراق أو الاستعراب على المثقف العربى أو المصرى ، فقد كانت لهذه الحركة دخل كبير فى صياغة صورة عن الذات المصرية أو العربية ، صنعها المستشرقون من خلال دراساتهم لأدبنا وفننا وتاريخنا ، وهــذه الصورة لا شك يشوبها عدم الدقة فى بعض الأحيان أو القصد السىء فى أحيان أخرى لكى تكون فى خدمة أوضاع سياسية مقصودة .. !!

واستقبال المثقفين لهذه الدراسات بحالها والايمان بها شكل خطرا أثر لا شك على فكرهم .

فللغرب صورته عن الشرق ولديه منظومة من التصورات المتسلسلة تستجيب لمواقف سياسية أو فكرية أكثر ما تستجيب لرصد موضوعى .

وأعتقد أن مسألة الشك فى دراسات الاستشراق مسألة واردة ، كان محورها الأساسى افراغ هذه الحضـــارة من ايجابياتها ، لأن هذه الدراسات قائمة على التفسير الأمر الذى يثبط من عزيمة المتلقى لها .. فيضرب بذلك الشخصية المصرية ويدمرها باعطائه صورة قد تبــــدو موضوعية ، وان كان جوهرها غير ذلك . فيتحقق الاغتراب عندما تنظر خلفك فتجد تاريخك وأدبك وفنك فى صورة غير ما تحس به أو تتحسسه .

فيكفى مثلا أن يكون « جمال الدين الأفغانى » متهما بالجاسوسية ، والشيخ « محمد عبده » متهما بالماسونية والأمثلة على ذلك كثيرة .. !!

الشكل الفنى وليد حضارة

...... أين يقف مجتمعنا من القيم الجمالية ؟! .

قال :

ـ بادىء ذى بدء فان القيم الجمالية فى أى مجتمع ترتبط بأشكاله الفنية ، والشكل الفنى وليد حضارة تحكمها جغرافيتها وتاريخها ، وهناك فرق بين العلم والفن ، فنستطيع القول أنه ليس هناك من كيمياء مصرية ، وكيمياء أمريكية ، وكيمياء فرنسية ، فالكيمياء واحدة فى كل بقاع العالم وهذا يؤكد أن العلم واحد ، سواء كان فى مصر أو فى أمريكا .

أما الفن فان الأمر يختلف ، فهناك فن مصرى ، وفن أمريكى ، وفن فرنسى ، لأن الفن بطبيعته قومى ، اذ هو يعبر عن احتياجات نفسية خاصة لمجتمع بعينه ، وحضارة بعينها ، تحكمها ظروفها الخاصة ، لذلك ففنون الشرق عامة والظواهر الفنية فيه تختلف فى مكوناتها الجمالية عن فنون الغرب اختلافا يمكن رصدها بسهولة .

فالمسرح مثلا فى الصين والهند واليابان ، وأقصد بذلك المسرح التراثى الذى ينتمى الى هذه الحضارات ، يختلف عن ظاهرة المسرح الأمريكى والأوروبى ، ذلك أن القيم الجمالية فى كل منهما تحكمها ظروف هذه الحضارة ، وعندما ارتفعت دعوة تأصيل المسرح المصرى والتى بدأها « يوسف ادريس » بالثلاث مقالات المشهورة « نحو مسرح مصرى » كانت هذه الدعوة محاولة لتأصيل هوية المسرح فى مواجهة المسرح الأوربى الوافد الينا فى منتصف القرن التاسع عشر ، التى وفد بقيم جمالية تخص المجتمع الأوربى وحده ، وهذا الأمر يتفق مع الموسيقى كذلك التى وفدت الينا بصيغتها الأوربية المختلفة ، كالقصيد السيمفونى والكونشرتو وغيره . فالشكل الجمالى ابن الحضارة ، وأرجو ألا يفهم من حديثى هذا أن هناك رغبة فى التقوقع وبعدا عن الحوار بين الحضارات ..

لا شك أن الحوار بين الحضارات والأشكال الفنية يثريها ، بشرط ألا يطمسها ويقطع جذورها ويفنيها .

أقول أننا عشنا على قيم جمالية فى بعض الفنون مستوردة وافدة ، أخلت بيننا وبين فنوننا بأشكالها المختلفة ، وصار المعيار للحكم على هذه الأشكال الفنية ودرجة قربها من الفن الأوربى أو ابتعادها عنه ، فليس من المعقول مثلا أن يصبح اتجاه كمدرسة « البربيزون » فى الفنون التشكيلية معيارا للحكم على نتاج الفنان التشكيلى المصرى عند رسمه للوحة ، لأن هذه المدرسة كانت تمردا على اتجاه فى الحضارة الأوربية ، أو الحضارة

الفرنسية بوجه خاص ، وانما يجب أن يكون المعيار للحكم على الفنان التشكيلى هو معيار مستنبت من واقع الحركة الفنية المصرية ٠

فمحاكاة القيم الجمالية النابعة من مجتمعنا تفقد العمل الفنى صدقه وأصالته ٠

٠٠٠٠٠ هل الأدب والفن عبرا عن المجتمع ، أو أنهما تقوقعا داخل أيديولوجية لا تعبر الا عن وجهة نظر ذاتية لا تخدم الا مصالح الشخص فقط دون المشاركة فى تحليل الواقع الاجتماعى بصدق لانقاذه من اللوثة التى سيطرت عليه من خلال أفكار ساذجة وفن مسطح وأدب لوغريتمات ؟!

قال :

ـ يصعب اطلاقا الحكم العام ، فهناك تيارات متنوعة داخل حركة الأدب والفن يمكن رصدها بسهولة ، وأود أن أطرح عليك وجهة نظر هامة ، هى أن الفن والأدب احدى وسائل جذب البشر نحو أى أيديولوجية تشكل التعبير النظرى عن مصالح فئة أو مجموعة أو تيار ، لكن وهذا هو المهم أن الفن والأدب لا ينقلان النظريات التى تشكل هذه الأيديولوجية ، ان مادتهما وهى التعبير عن المشاعر والأحاسيس والانفعالات والأمزجة والنشوة الروحية والشهوات ، والحالات النفسية للبشر ٠

من هنا يأتى دور الفن كوسيلة للتواصل اللا فردى بين الناس ، فخاصية الفن هى التواصل البشرى خارج النطاق الشخصى ٠

فالفنان أو الكاتب ليس أيديولوجيا ، فهو لا يضع برامج سياسية أو نظريات ، بل هو يبدع فنا يعكس واقعا ، عندما لا يصدر عن هذا الواقع يقع فى مصيدة الزيف واللوغريتمات ، وأيضا فى سذاجة وسائل الايضاح وفجاجة المنشور ٠

فالفن لا يقبل الأفكار الفلسفية المجردة ، وانما يقبل الأفكار الشاعرية ٠

٠٠٠٠٠ لكن هناك أدباء يكتبون من خلال مشايعة نظرية بعينها ؟! ٠

ـ كتابات مثل هؤلاء الكتاب لا تدخل فى عداد الأعمال الفنية ٠٠ فهى قد تكون منشورا أو نظما أو قريبة الشبه بمسرحية النظرية أو مسرحية المناهج ففقدت بذلك صدقها ، والصدق عنصر أساسى فى الحكم على الأعمال الفنية والأدبية ٠

فهناك حادثة تحكى أن « لينين » كان فى زيارة لاحدى المدارس فوجد الطلاب يقرأون أشعارا « لمايكوفسكى » فطلب منهم أن يقرأوا أيضا

« بوشكين » ٠٠ هذا المثال لا شك يؤكد أن صدور الفن عن صدق فى عكس الواقع واكتماله كفن يغنى نفس المتلقى ويثريها أكثر من غيره ، علما بأن « مايكوفسكى » كان شاعر الثورة الروسية ، من هنا تتحدد وظيفة الفن ومادته ٠٠ فالنظرية تخاطب العقل ، لكن الفن يخاطب الوجدان ، بل هو القادر على خلق التحولات العقلية نتيجة لتوجهه بعكس صدق الواقع الذى يؤدى الى اعمال العقل وليس العكس ٠

ظاهرة الصراع

٠٠٠٠٠ بصفتك من أدباء جيل الوسط ، ما رأيك فيما يحدث من سرقات أدبية وفنية ، وما سبب ظاهرة الصراع بين الجيل القديم والجيل الجديد من الأدباء الشبان ، وتجريم كل منهما للآخر حتى الرفض ؟! ٠

قال :

ـ هناك فرق بالتأكيد بين أن يكون هناك تأثير لكاتب على كاتب ، أو مدرسة أدبية وبين أن يسطو كاتب على عمل كاتب آخر و « ينخعه » والناقد هنا يختلف أسلوبه فى التعامل ٠

فمع الحالة الأولى : تتم دراسة ما يسمى بالأدب المقارن ، ويستخدم الناقد مبضع الجراح لمعرفة كيفية التأثر ومواضعه ، هل هو فى التكنيك أو فى الأفكار ٠٠ الخ وهنا تخرج دراسة ممتعة عن تقصى المصادر والانطباعات والوسيط ٠

أما فى الحالة الثانية : وهى « النخع » أو السرقة فيستخدم الناقد سكين البصل ، وتتحول مهمة الناقد الى احالة السارق الى المحاكمة ٠

وفى رأيى أن سبب هذه السرقات يتحدد فى جدب السارق وضيق أفقه وعطل موهبته وصغره حتى انه يصل الى حد النسخ والنقل ٠

أما الكاتب الكبير فانه اذا ما تأثر يعود الى نفسه وأصالته ، فهناك لا شك تأثير « لموليير » و « تورجنيف » و « جولدونى » ، وهناك تأثير « لروسو » على « شيلر » و « تولستوى » و « لشكسبير » على « الفريد دى فينى » والأمر فى الحالتين يختلف ٠

وعن ظاهرة الصراع ، قد يكون هناك صراع بين الجيل القديم والجيل الجديد ، وقد تحركه دوافع تخلقها ظروف خاصة فى مراحل تطور المجتمع ، قد تصخب أحيانا ، قد تخفت أحيانا أخرى ، الا أن الأمر الذى لا يمكن أن يقبل هو أن يرفض كل منهما الآخر ٠

فالجديد يولد من قلب القديم ، والعلاقة بين الأجيال تتم على مراحل ، المرحلة الأولى ، تبدأ بالافتتان وتنتهى بالتمرد ، وهذا هو الشكل الكلاسيكى للعلاقة ، والجيل الجديد من الأدباء الشبان يأخذ أحيانا موقفا « أوديبيا » من الأدباء الكبار كرمز للهيمنة ، كمحاولة للبحث عن هوية خاصة ، وهنا يأتى دور النقد الذى يستطيع أن يحد من حدة ظاهرة الصراع هـذه ، عندما يحلل أعمال الجديد ويكشف عن جذورها ومكوناتهـا ويردها الى مصادرها عندئذ يثبت بنوة وأبوة الجيلين ٠

أنا مثلا فى الكتابة المسرحية ابن « لتوفيق الحكيم » و « عبد الرحمن الشرقاوى » ، وفى النقد ابن « مندور » ولا أستطيع منهم فكاكا ، واشهار البنوة وتأكيد الأبوة هو شرعية الوجود ٠

أزمة مجـلات متخصصة

٠٠٠٠٠ فى الفترة الأخيرة تطرح قضية أن النقد الأدبى والفـنى عندنا أصبحا فى عداد الأموات ؟! ٠

قال :

ـ السبب فى هذا هو أن هناك علاقة جدلية بين الحركة الابداعية والحركة النقدية ، فعندما كان هناك « توفيق الحكيم » و « عبد الرحمن الشرقاوى » و « نعمان عاشور » و « سعد الدين وهبة » و « يوسـف ادريس » و « رشاد رشدى » و « محمود دياب » و « صلاح عبد الصبور » كان هناك أيضا نقاد عظام هم « محمد منـدور » و « لويس عوض » و « على الراعى » و « غنيمي هلال » و « أنور المعداوى » ، وان كنت أعتقد أيضا أن للحركة النقدية دورا فى تنشيط الحركة الابداعية وتجديدها ، فالذى لا شك فيه أن حركة النقد فى السـتينيات فتحت آفاقا جديدة للكتاب ، مثلا عندما تناولت بالتحليل والعرض والنقد الاتجاهات الحديثة للمسرح فى العالم ، فأغنت بذلك مصـادر الابداع ، اليـوم الأمر مختلف ٠٠ !!

فهناك أزمة فى المجلات المتخصصة وفى الكتاب وفى المسرح ، وهنا أيضا ندرة فى الناقد المتخصص الموسوعى الثقافة ٠

المسرحيون أنفسهم

...... من المسئول عما يحدث للمسرح المصرى ؟! .

ـ المسرحيون هم أنفسهم المسئولون عما يحدث للمسرح فى مصر ، لك أن تتصور أنهم يتعاملون مع المسرحية كما يتعاملون مع الجريدة اليومية ، ولا يؤمنون بنظام « الريبورتوار » الذى نراه فى كل بلاد العالم .

فالمفروض أن يكون لكل مسرح عدد من رصيده من المسرحيات ، يقدمها خلال كل موسم ويضيف اليها مسرحية أو مسرحيتين جديدتين ، هذا النظام يحقق الرواج المسرحى ، وبالتالى اعتياد الذهاب الى المسرح وينمى ذوق المتفرج ، ويطور الكاتب والمخرج ، ولكنهم يقدمون المسرحية ثم بعد شهر يحطمون ديكوراتها وينتهى كل شىء ، فهذا هو منطق « المولد » أو « البلو » وليس منطق حركة مسرحية ثم يدفعون بأن هناك أزمة فى كتاب المسرح ، لأنهم يتصورون أنهم فى كل عام عليهم أن يقدموا خمس مسرحيات جديدة ، وأكثر البلاد تقدما لا يمكن أن تقدم فى العام كاتبا مسرحيا جديدا ، ثم من أين يخرج هذا الكاتب ، اذا لم تكن هناك حركة مسرحية تقدم تشكيلة متنوعة من المسرحيات الكلاسيكية والحديثة والمعاصرة ؟! ولا أحد يمكن أن يدعى أن ظهور كاتب جديد يلغى كاتبا قديما ، وهذا فى رأيى سبب من أسباب غضبة جيل كتاب المسرح على الجيل الذى يليه ، فلو أن كتاب « ريبورتوار » المسرح المصرى مثل « نعمان عاشور » و « يوسف ادريس » و « محمود دياب » و « صلاح عبد الصبور » تحاذت أعمالهم مع أعمال أبنائهم لاختلف الموقف ، أما أن يسدل ستار النسيان على جيل بظهور جيل آخر ، فهذا فى الأدب والفن منطق مرفوض ، والعلم فقط هو الذى يقبل ذلك ، فظهور نظرية جديدة فى العلم تنسخ ما قبلها من نظرية ، لكن فى الفن « شكسبير » لا يلغى « سوفوكليس » و « أبسن » لا يلغى « شكسبير » ، و « تشيكوف » لا يلغى ما قبله أما ما دون ذلك من مشاكل فمقدور عليها ، وانما أنا أقصد خطأ الفهم لمعنى الحركة المسرحية هناك أزمة فى دور العرض وهذا أمر مقدور عليه ، وان كانوا أيضا هم المسئولون عنه .

فيمكن حل أزمة دور العرض المسرحية بوسائل عديدة ، وغيرها من الأزمات التى أعتقد أنه قد مللنا من الحديث عنها ، ومللنا طرح حلولها .

وتبقى الاشكالية المطروحة على الساحة الآن التى يتحدد طرفاها ، فى أننا نملك أكبر طاقة من رجال المسرح ، من مخرجين وممثلين وكتاب ،

وفى نفس الوقت ليست لدينا حركة مسرحية ، وما أسهل أن نعلق أسباب الأزمة على مشجب الاتهام لغير المتهم الأساسى ٠٠ !! ٠

محـاولة التجاهل

٠٠٠٠٠ هناك رأى يقول أن ما يكتبه الدكاترة من مسرح هو نظريات ممسرحة بعيدة عن الابداع الفنى ؟! ٠

قال :

ـ هذه محاولة لتعتيم الحركة المسرحية وضربها ، ومنطلقاتها معروفة وواضحة ، وميلاد جيل من الكتاب لا يمكن وأده ، لا بالتجاهل ولا بالطرد خارج الحلبة ولا بكلمات غير مسئولة ٠

أما مسألة معرفتنا بالنظريات ، فلسنا ندعى أننا وحـــدنا الذين نعرفها ، بل أيضا كبار الكتاب يعرفونها ، وهى تشكل لنا ولهم ضوابط نخضع لها جميعا ٠٠ أصحاب هذا الرأى يســـتندون وراء ما يطرحونه لتمرير بعض الأعمال التى لا تلتزم بالقيم الجمالية والفنية للمسرح ٠

ونحن اذا كنا نعرف قواعد الكتابة المسرحية ، فاننا نعرف أيضـــا نظريات الفن وعلم الجمال ، ونعرف أن نجاح التجربة الفنية يكمن فى أنها تعكس وتعبر عن جوانب معينـة فى الوعى الاجتماعى ، وفقا لنظرة الفنان الى العالم ورؤيته وصنعته الرفيعة ، كما ندرك أيضا أن لا حياة لفن لا يتصل بواقعه وحياة مجتمعه ، ولسنا من الغفلة حتى نمسرح نظريات ، سواء كانت فنية أو أيديولوجية ، فهمومنا التى نطرحها تفصح عنهـــا أعمالنا ، ولا أدعى أننا اكتملنا ولكننا نتطور من خلال تجاربنا ٠

هل المخرج مبدع ؟

٠٠٠٠٠ هناك رأى يقول : أرى أن ما من أحد يستحق أن يقـول عن نفسه أنه مؤلف أى مبدع الا ذلك الشخص الذى يتحكم فى خشـبة المسرح مباشرة ؟ ٠

قال :

هذه قضية قديمة هى الصراع ما بين المخـــرج وما بين المؤلف منذ القرن التاسع عشر ٠٠ وأنا فى رأيى أن المخرج المسرحى هو « مايسترو » العمل ٠٠ وعن نفسى فانا بعد كتابة المسرحية ونشرها أسلمها دون تدخل الى مخرجها الذى يستنبت ويستولد رؤيته الاخراجية لهذا النص بلغته

على خشبة المسرح ، وكل نص يحتمل العديد من التفسيرات ، « فهاملت » شكسبير لها عشرات التفسيرات ويقدم عليها كل مخرج برؤيته الخاصة ٠٠ ونحن نعرف أن هناك مخرجا منفذا ومخرجا مفسرا ، وهناك قول مسرحى مشهور أن « شكسبير » قلما يمثل فى نصه الكامل ، هذا معناه أن كل مخرج يحذف من النص ما قد لا يؤكد وجهة نظره ٠

والرؤية الاخراجية لكل نص تختلف تبعا لاهتمامات وثقافة المخرج الذى يتناول هذا النص حقيقة أن النص هو الركيزة الأساسية التى يستلهم منها المخرج رؤيته ، وبالتالى يصبح العرض المقدم على خشبة المسرح هو ابن أو وليد لهذا المخرج ، يستخدم لغته الدلالية التى تختلف عن لغة الكاتب ليحقق طرحه الشاعرى للنص ، وعليه فأنا مع هذا القول بأنه مبدع حقيقى ولا يمكن أن ينتقص من ابداعه ٠

دلالات العرض

٠٠٠٠٠ أيهم أكثر فاعلية واقناعا ، أن يجسد الممثل المدلول الفكرى للمسرحية بالحركة التعبيرية أم يجسد الفكرة من خلال المدلول اللغوى للكلمات ؟! ٠

قال :

ـ اللغة فى المسرح جزء من لحظات التعبير ودلالات العرض المسرحى متنوعة ، تبدأ من اللغة الى الحركة الى الايماءة الى لحظة الصمت الى الموسيقى التى تزحف تحت الجملة ، الى تحرك الديكور واستخدام الاضاءة بمستوياتها المختلفة ، كل هذه دلالات تستخدم فى المسرح وقد تؤكد جملة موسيقية والممثل يبنى أداءه وفقا لفهمه للدور ، وهذا البناء الأدائى يحكمه ايقاع خاص به وفقا لأبعاد الشخصية التى يلعبها ، والممثل يضع فى اعتباره أن المتفرج الذى أمامه يتعامل معه على محاور ثلاثة ، هى « المتفرج » ٠٠ « يرى المتفرج » ٠٠ « يسمع المتفرج » ٠٠ « يحس » ٠٠ ولابد من مخاطبة هذه المحاور الثلاثة ، فالاعتماد على المدلول اللغوى للكلمات يفقد الظاهرة المسرحية جوهرها ٠

د . عبد القادر القط

جيل شيطانى ... !!

.. وسط زحام العبثية التى تتحكم فى التكوين الفكرى والثقافى ، نحاول أن نبحث عن الطريق .. عن تحليل أمين ودقيق لهذا الواقع المتردى ، المضطرب .. المثقل بكل الهموم والآلام .. التى اكتوى بنارها هذا الجيل الحائر فى متاهات الضياع وخيبة الأمل .. وفى فقـــدان الثقة فى كل ما تلمسه يده ، وما تقع عليه عينه وما يختزن فى داخل عقله .. من المسئول عن هذا ؟!

وهل من حق هذا الجيل أن ينظر خلفه فى غضب ؟! أن يتمرد على هذا الواقع ، حتى يرسم لنفسه طريقا صحيحا ، خاليا من ألاعيب الذين حشوا عقله بالأكاذيب .. ودفعوه قهرا الى أن يتجرد من شخصيته ويدور فى فلك أبراجهم المنحوسة المختلفة .. ففقد القدرة فى السيطرة على امتلاك واقعه .. وعجز عن تغييره الى ما يخدم طموحاته فى المستقبل .. وحتى لا نكون خائنين لأنفسنا .. نحاول أن نستوضح أمور هذه الأمراض ، وكيفية علاجها ، من أحد الذين قد وضعوا فى يوم ما فى برواز أنه قطب من أقطاب النقد الأدبى .. الدكتور « عبد القادر القط » الحائز على جائزة « الملك فيصل العالمية » عام ١٩٨٠ عن كتابه « الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر » :

.. وفكرتنا عن الدكتور « القط » قبل أن نذهب اليه .. أنه ناقد .. والناقد له قدرة خاصة على التمييز بين الجيد والردىء .. وأنه مشغول بهمومنا الثقافية وبتصحيح مساراتها المعوجة ، ووضع المنهج المستقيم فى الاصلاح والتقويم .. وحيث انه كان كثير التحدث عن الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى مهدت لظهور « الاتجاه الوجدانى » .. وأن

ليست الذاتية ولا التجارب العاطفية شيئا جديدا على الشعر العربى ..
لكننا نفرق بين العواطف الانسانية العامة التى لا يكاد يخلو منها أدب انسانى فى أى عصر من العصور ، و « العاطفية » التى تمثل موقفا خاصا من الحياة والطبيعة والمجتمع ، وتغلب على أدب مرحلة من المراحل ، حتى تتخذ صورة « الظاهرة » المشتركة بين طائفة الشعراء سواء فى طبيعة التجربة أو صور التعبير عنها .. !!

ولم يتوقف انشغاله بالشعر والقصة والمسرح ، وانما أضاف اليهم التليفزيون وكما يقول : أعتبر المشاهدة نوعا من الدراسة ، وعندما أجلس أمام التليفزيون أصبح مثل معلق الكرة ، وأنا أشاهد التمثيلية فأنا أعلق بصوت عال طول الوقت ، عندما أشاهد أعمـــــالا هابطة ، وما أكثرها « ايه الكلام الفارغ ده .. !! » .

أنا مشغول بشكل آخر من أشكال التاليف ، مشغول بالمسلسلات التليفزيونية اليومية .. وهى شكل جديد من أشكال التاليف الدرامى يحظى فعلا باهتمام الناس .. ويؤثر فى ذوقهم وسلوكهم وفكرهم ، وهو لهذا جدير بالاهتمام والمتابعة والدراسة .

ويبدو أننا خدعنا بظواهر أقوال الدكتور « القط » وخيب ظنوننا .. وان بعض الظن اثم فعندما ذهبت اليه مستوضـــحا رأيه فى الكثير من القضايا الفنية والثقافية والأدبية .. وجدت التسويف واللامبالاة هما عماد منطقه الحوارى .. بين التجيجج بالأعباء الادارية التى تستهلك كل وقته ، وبخله المتحكم فى ألا يجيب الا على ٤ أسئلة من ١٨ سؤالا .. لماذا ؟! . لأنه فى حالة عدم اقتناع أو رفض .. ووجهة نظره فى ذلك .. أن القراء لا يهتمون بمثل هذه الأحاديث الجادة .. وأنهم مشغولون بلاعبى الكرة .. أو بالأخبار الفنية عن الراقصات ونجوم السينما والتليفزيون .. !!

ويبدو أن الدكتور « القط » قد نسى أو تناسى .. أنه واحد من الذين قد شاركوا فى تبديد الطاقة الابداعية عند الشـــــباب ، والعبث بمدركاتهم الحسية والعقلية .. عندما عبثوا بعقولهم .. وزيفوا أحلامهم .. وقزموا من ارادتهم .. وأبعدوهم عن المشـــاركة الفعلية الجادة فى قضايا وطنهم .. سحبوا منهم دورهم سجنوهم فى أبراج ما يريده السلطان .. وكانت النتيجة الوهم والسقوط .. والهروب الى هذه المخدرات التى يعيبها عليهم الدكتور .. هل مهدوا لهم الطريق وأخذوا بأيديهم تصحيحا ومتابعة ؟ أو انهم ضللوهم وتركوهم فى صحارى التيه بلا عقل أو تفكير .. ؟؟

وقد سألنى الدكتور « القط » سؤالا غريبا ·· لماذا اخترته فى أن يتكلم عن الثقافة ؟ ·

قلت له :

ـ لأنك الدكتور « القط » ·· وعلى حسب معرفتى ·· أنت من النقاد المعدودين ، الذين شاركوا فى صنع أو فى وضع بعض الأسس الثقافية للنهوض بالحركة النقدية الجديثة ؟! ·

قال :

ـ نحن نسود صفحات ولا أحد يقرأ ·· وهل مطلوب منى أن أحل كل هذه المشاكل الثقافية والأدبية والفنية وحدى وكأنى المسئول عنها ؟! ·

قلت :

ـ على الأقل انك شاهد على العصر ·· وشهادتك وثيقة لها قيمتها ووزنها فى تصحيح مسارات كثيرة فى عالم الفن والأدب والثقافة ·

ضحك فى رحابة صدر ·· ولكن عينيه قد كساهما الملل ·· !!

بدأ الدكتور « القط » يختار الأسئلة التى يجيب عليها ·· ويرتبها على حسب هواه ·· وهذا الاختيار لم يأت على حسب هواى ·· لكن الاصرار من جانبى على اكمال الحوار كان دافعى ·

الدراما فى التليفزيون

···· بعين الناقد الخبير ، كيف ترى التأليف الدرامى التليفزيونى ، وما هو تأثيره على الذوق والسلوك والفكر ؟ ·

قال :

ـ لا شك أن البرامج الدرامية فى التليفزيون ـ من تمثيليات ومسلسلات ـ من أحب البرامج الى المشاهدين ، ومن أشدها تأثيرا فى عقولهم ووجدانهم وسلوكهم ·· لأنها « توحى » الى المشاهد بالفكرة أو الاحساس أو السلوك ، وهو فى حالة استغراق فى متابعة الأحداث ومعايشة الشخصيات ·· ومثل هذا الاستغراق من أصلح اللحظات النفسية لقبول الايحاء ·· على نقيض اللحظات الواعية التى يستقبل فيها

المرء ما يتضمنه الحديث أو الندوة من آراء ، فيناقشها وينتهي من مناقشتها إلى القبول أو الرفض أو التعديل .

ومن هنا تكمن خطورة العمل التمثيلي ، وبخاصة لدى كثير من المشاهدين الذين مازالوا يتقبلون التمثيلية بروح « الاندماج » والتعاطف مع الشخصيات أو النفور منها كأن ما يحدث على الشاشة حقيقة واقعة .

ولا أدل على ذلك مما نراه في حياتنا في السنوات الأخيرة ، من شيوع بعض أنواع السلوك ، وبعض الألفاظ والعبارات التي دخلت لغتنا اليومية ، من خلال بعض المسلسلات والتمثيليات الناجحة ، ولعل المسلسلات هي أشد ألوان البرامج التمثيلية تأثيرا في عقول المشاهدين ونفوسهم .. وهي لهذا جديرة بعناية وتدقيق في الاختيار ، لا تحظى بهما كثيرا في هذه الأيام .

وقد لاحظ النقاد وكتبوا كثيرا عن عيوب تلك المسلسلات ، لكن يبدو أن الاعتبارات التجارية تتحكم في الأمر أكثر مما يتحكم الفن .

فمعظم هذه المسلسلات يتم تصويرها في الخارج ، ويتكلف انتقال الممثلين والمخرجين والفنيين نفقات طائلة لابد أن يعوضها المنتج بالتطويل والمط المقصود ، وتشعب خيوط الأحداث والاكثار من استرجاع الماضي وتكرار جزئية الحدث في أكثر من مشهد .. والتفكير الطويل غير المبرر قبل الحديث .. وتردد الشخصية وسكوتها طويلا قبل أن تفصح عما يهمها لصديق أو أخ أو أم ، ولهذا لا يتضمن المسلسل ــ في الأغلب ــ قضية كلية متكاملة الجوانب في المضمون والفن ، بل تقوم في كثير من الأحيان على بعض العواطف السطحية والنقد العابر المباشر لبعض مشكلاتنا ، مما قد يجده المشاهد في أية صحيفة يومية .. وهي لهذا لا تتيح للممثلين أداء شخصيات مركبة متميزة تظهر من خلال أدائها قدرة الممثل وموهبته .. بل يغلب على الشخصيات الطابع النمطي المألوف ، الذي لا يتطلب من الممثل أو الممثلة الا براعة « الصنعة » والحذق في تقليد النمط المألوف .

وفي رأيي أن يحاول القائمون على أمر التليفزيون أن يواجهوا تلك الضرورات التجارية العملية ، بالإكثار من المسلسلات والتمثيليات التي يختارها وينتجها التليفزيون نفسه .. ليكون لهم بعد ذلك حرية اختيار الصالح مما يعرض عليهم من أعمال مسجلة في الخارج أو في شركات خاصة .. ولا بأس من أن يكون هناك لجنة دائمة من نقاد وفنيين معروفين بالخبرة والنزاهة لكي يعينوا على الاختيار السليم .

••••• فى رأيك كيف يتم التواصل بين الممثل والمتفرج وما نوعيته ، وهل علاقة الممثل بالمتفرج علاقة اثارة وتنـــويم مغناطيسى أو هى علاقة مستوحاة من الفعل ورد الفعل ؟ •

قال :

ـ ظلت العلاقة بين المتفرج والممثل زمنا طويلا من حياة المسرح قائمة على ما يسمى بمبدأ « المحاكاة » الذى تحدث عنه « أرسطو » •• وهو يعنى أن العمل المسرحى صورة لما يحدث فى الواقع ، وأن على المخرج والممثلين أن يخلقوا قدر الامكان توهما عند المشاهد ، بأن ما يراه على خشبة المسرح حدث حقيقى يقع فى اللحظة التى يراه فيها •• لذلك كان « يندمج » المتفرج مع بعض الشخصيات اندماجا كاملا ، أو ينفر من بعضها نفورا يبلغ حد الكراهية •• وينفعل انفعالا شديدا بمصائر الشخصيات ، وهو ما أسماه « أرسطو » أيضا « التطهير » •• أى أن يخرج المتفرج من المسرح وقد تطهر مما كان يثقل وجدانه من أحاسيس مكبوتة من خلال انفعاله العنيف وتعاطفه مع بعض الشخصيات ورضاه عما آلت اليه الأحداث من نهايات ترضى ميوله العاطفية أو مبادئه الأخلاقية أو نظرته الاجتماعية •

على أن نظرية « المحاكاة » قد بدأ شأنها يضعف بظهور نظريات جديدة فى الفن ــ وبخاصة فى الفن التشكيلى ــ وبدأ الفنانون يؤمنون بأن الفن ليس صورة مطابقة للواقع ، بل صورة خاصة له يلونها وجدان الفنان وفلسفته الفنية ؛

أما فى المسرح فقد ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها اتجاه جديد فيما يسمى بالمسرح السياسى ، والمسرح التسجيلى ، يقوم على الدعوة الى أن تكون غاية المسرحية خلق وعى عند المشاهدين ، بقضية مطروحة عليهم فى قالب تمثيلى •• دون أن يندمجوا مع الأحداث والشخصيات ، وينسوا فى غمرة انفعالاتهم حقيقة القضية •

لذلك يحاول المؤلف والمخرج والممثلون أن يتجنبوا كل ما يمكن أن يؤدى بالمتفرج الى الاستغراق الوجدانى فى أحداث المسرحية ، أو « تقمص » شخصياتها على حد التعبير المطلوب •

وهم يذكرون المشاهد من حين الى آخر ــ بوسائل مختلفة ــ بأن ما يراه ليس حقيقة واقعة تحدث على خشبة المسرح ، بل هو « أداء » تمثيلى لقضية سياسية أو اجتماعية معروضة ، لكى يشارك بالتفكير فيها • •

وقد وضع « بريخت » المسرحي الألماني المعروف ورائد ما عرف بالمسرح « الملحمي » ٠٠ قواعد معروفة لتجنب الاندماج والاحتفاظ باليقظة الفكرية لدى المشاهد ٠

ولعل أهم هذه القواعد نظريته المعروفة « بالتغريب » ٠٠ أى أن يظل هناك « غربة » قائمة بين المتفرج وأحداث المسرحية وشخصياتها ، فلا يقترب منها أكثر مما ينبغى حتى يصل الى « الاندماج » ولا يجد المؤلف حرجا فى أن يطرح القضية طرحا مباشرا على المتفرجين منذ البداية ، ثم يلخص مغزاها فى النهاية كما فعل فى مسرحيته المعروفة « دائرة الطباشير القوقازية » ٠

أما المسرح التسجيلى فلا يجد المؤلف فيه حرجا فى أن يستخدم الاحصاءات وأقوال الصحف وأن يقوم الممثل بأكثر من دور فى المشهد الواحد على مرأى من المتفرجين ٠

ولعل خير نموذج لهذا مسرحية « بيتر فايس » ــ أحد رواد هذا الاتجاه ــ المسماة « غول أنجولا » ٠ وهى تصور بشاعة الاستعمار البرتغالى فى أنجولا ، وتورد كثيرا من الاحصاءات عن أجور العمال الأفريقيين ، وعن الشركات المستغلة لمناجم أنجولا ، وفى المشهد الواحد قد يقوم الممثل الأسود بدور الافريقى ، وفى اللحظة التالية يرتدى قبعة عالية ويمسك بعصا ويمشى مشية المستعمر المتغطرس فيصبح شخصية مستعمر برتغالى ٠

ذلك لأن القصد فى هذا المسرح ليس « ايهام » المشاهد بالحقيقة واثارة انفعاله بها ، بل خلق وعى سياسى خاص بالقضية المطروحة لديه عن طريق التمثيل ٠

ومع أن مسرحية « الغول » قد نجحت نجاحا ملحوظا حين عرضت فى المسرح المصرى ٠٠ فان المشاهد المصرى ــ والعربى بوجه عام ــ مازال يميل الى المسرح الذى يثير انفعاله ويتيح له معايشة الشخصيات والأحداث ٠

ومازال هذا الاتجاه المألوف ــ فى صور عصرية مختلفة ــ هو الغالب على الأعمال المسرحية ، مع خروجه على بعض التقاليد المسرحية فى الاخراج والأداء ، يتفاوت حسب فلسفة المخرجين ومواهب الممثلين ٠

والمهم ألا يكون العمل المسرحى مسرفا فى العاطفية والاتجاه الى اثارة الانفعال الى حد يبلغ ما يحدث فى « الميلودراما » التى تقوم على المبالغة

و « ترتيب » الأحداث لتنتهى نهاية مرسومة ، كما تقوم على العنف والمآسى التى تتسم بكثير من الاسراف ٠٠ !!

مرحلة الأفـذاذ

٠٠٠٠٠ ما هو تفسيرك لكثرة الاتجاهات الأدبية وقلة الأفراد الأفذاذ عن الماضى ؟! ٠

قال :

ـ نشأ ما نسميهم « الأفذاذ » فى مرحلة واضحة المعالم ، تسير فى خط مرسوم كانت تقتضيه طبيعة المرحلة التى عاشوا فيها ٠٠ وهى مرحلة يمكن أن نسميها مرحلة « الاحياء » ٠٠ وكانت غايتها احياء التراث باختيار أحسن ما فيه وتقـديمه الى النـاس بمنهج دراسى عصرى ٠٠ و « تطعيم » أدبنا الحديث ببعض ثمار الأدب الغربى ، فى الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرح ٠

لذلك كان الطريق واضحا أمام الأديب ذى الموهبة أو الدارس المتميز ٠٠ وكان يتوجه بأدبه ودراسته الى قراء يعيشون تلك المرحلة من الانتقال ، التى تخلق تطلعا الى الثقافة الجامعة ٠٠ بين ما نسميه الآن بالأصـالة والمعاصرة ٠٠ فكان الطريق ممهدا أمام الأديب لكى يصل الى دائرة واسعة من القراء ٠

وكانت طبيعة تلك المرحلة تفرض اهتماما كبيرا بمثل تلك الثقافة ، فكان طريق النشر الجماهيرى ميسورا أمام هؤلاء الأدباء فى الصـحف اليومية والمجلات الأسبوعية ٠٠ وكانت قصائد بعض الشعراء المعروفين تنشر ـ مشـكولة وببنط متميز ـ فى صدر الصحف اليومية ٠٠ لذلك لم يكن عسيرا على الأديب أو الدارس الموهوب المثابر أن يصل الى درجة عالية من التقدير وذيوع الاسم مازلنا نفتن بها حتى اليوم ٠٠ ونقيس اليها تميز أدبائنا فى هذه الأيام فيبدون أقل شهرة وتميزا ٠٠ مع أنهم لا يقلون موهبة وعطاء عن الأدباء السابقين ٠

والمرحلة التى نعيش فيها مرحلة ليست واضحة المعالم ، بسـيطة التركيب كالمرحلة السابقة ، بل هى مرحلة بالغة التعقيد تمتزج فيهـا الثقافة بالاعلام والسياسة وتتعدد فيها اهتمـامات المتلقين والقراء ٠٠ وتستأثر فيها باهتمام الناس كثير من الوسائل الجديدة ، التى لم تكن موجودة زمان هؤلاء الأدباء « المتميزين » وبخاصة التليفزيون ٠

لكننا لو درسنا حياتنا الثقافية دراسة متأنية لوجدنا فيها كثيرا من المواهب المتميزة والعطاء الكبير . على أنه كان من الطبيعى مع تعدد عناصر المرحلة التى نعيشها واختلاف الفلسفات المعاصرة فى الأدب والفن أن تتعدد الاتجاهات الأدبية على نحو يفوق بساطة الاتجاهات الأدبية فى مرحلة الانتقال والاحياء

اختلاف الأجيال

..... وعن الأسباب التى أدت الى عدم تواصل الأجيال وانحدار القيم الفنية والأدبية والفكرية ؟! -

قال :

- اختلاف الأجيال أمر طبيعى فى كل مراحل الحياة الاجتماعية .. فالجيل الجديد يواجه دائما أوضاعا تختلف اختلافا كبيرا أو يسيرا عن الأوضاع التى نشأ عليها الآباء والأجداد . لكن هذا الخلاف الطبيعى يتسع أحيانا ، حتى يصبح هوة تفصل بين الجيلين اذا تعرض المجتمع لهزات كبيرة تقلب موازينه ، وتغير من أوضاعه فجأة بما يكاد يشبه الطفرة . وقد تعرض المجتمع المصرى والعربى بوجه عام لهزات كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية فى جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية .

ولعل الأمر يبدو واضحا لو تجاوزنا الخلاف بين الأجيال فى الأمور الفكرية الى العلاقات بين الآباء والأمهات والأبناء والبنات فى الأسرة الواحدة .. فأبناء الجيل الجديد يبدون متمردين على كل الأوضاع القديمة ويعيشون على قيم فى السلوك ، والنظرة الى الحياة تختلف اختلافا جوهريا عن نظرة آبائهم وسلوكهم .

ولا شك أن الخلاف حول الأدب والفكر والفن أكثر تركبا وتعقيدا من الخلاف حول السلوك والقيم الاجتماعية التى يضبطها الى حد كبير قدر معقول من التقاليد والعادات والأعراف .

ولعل من أهم ما عمق وجوه الخلاف بين الجيلين ما طرأ على نظام التعليم فى السنوات الأخيرة .. وماجد من كثرة الأعداد واختلاف المناهج ، مما خلق انفصالا بين عقلية الجيل القديم والجيل الجديد ، وقضى على الأوضاع القديمة التى كانت تتيح اتصالا مباشرا بين الأستاذ وتلاميذه النابهين من ذوى المواهب المبشرة ، وبين الآباء وأبنائهم حين كان الآباء ينقلون علمهم وخبرتهم الى أبنائهم .

.. والطالب الآن ـ سواء فى مرحلة التعليم العام أو مرحلة التعليم الجامعى ـ مشغول بالتحصيل الآلى للمعلومات ، مهموم بالتفكير فى أمر « المجموع » والمستقبل .. وليس بينه وبين أستاذه أية صلة حميمة يمكن أن توجهه إلى قراءات خاصة ، أو تكتشف طبيعة موهبته وتغذوها بالنصيحة والمعرفة والخبرة ..

واذا كان صاحب الموهبــة أديبا .. فان مستوى تعليم اللغة والأدب قد هبط فى مرحلة التعليم العام هبوطا لا يتيح لموهبته أن تنمـــو وأن تتسلح بذخيرة لغوية وأسلوبية لابد منها لكل أديب مبدع .

وهكذا أصبح الشاب ذو الموهبة الأدبية لا يجـــد غذاء لموهبتـــه الا ما يتاح له من ثمار الأدب الحديث فى سنواته الأخيرة .. وهو مع جودة كثير منه .. لا يصلح وحده لكى تتخرج عليه موهبة ناشئة .

فاذا أضفنا الى هذا أن هناك اتجاهات فى الشعر والقصة تأثرت بتيارات وافدة من ناحية وباحتذاء المجيدين من الأدباء العرب من ناحيـــة أخرى .. وتنحو نحو التجريد المسرف والرمز المغلق فى كثير من الأحيان ، وتتجاوز قدرة القارىء العربى فى الفهم والتذوق .. أدركنا عجز الأجيال القديمة عن التعاطف مع أصحاب هذه الاتجاهات من الشباب .. ومقدار الهوة التى تفصل بين الجيلين ، وصدق ما يقوله الشباب من أنهم جيل بلا أساتذة .

على أننا لابد أن نحسن الظن بهؤلاء الشباب وندرك طبيعة المعركة الأبدية بين القديم والجديد ، ونحاول أن ندرس ابداعهم بكثير من الجد وحسن الظن .. ولعلنا حينئذ سنجد من بين نتاجهم الغزير بعض الابداع المتميز الأصيل .

ولعل أقدر الناس على تقديم أعمال هؤلاء الشباب ، نقاد من الشباب الذين يعايشون تلك الحركات الأدبية ويدركون نوازعها ودواعيها وفلسفتها الفنية .

وفى النهاية اذا كان وقت الدكتور « القط » لم يسمح له أن يمتعنا أو يضع أيدى هذا الجيل الحائر على مواطن الصواب والخطأ ـ أكثر من ذلك ـ فجاءت اجابته على أربعة أسئلة لتمثل حجرا فى زاوية كبيرة .. يبحث من خلالها هذا الجيل عن خط البوصلة الواضح الذى يؤدى به الى عبور هذا الضباب الكثيف وينطلق من هذا المستنقع الذى أجبر على أن يظل واقفا مصلوبا ومغروزا فى أعماقه .. واذا كانت المحاولة من جانبنا جادة فى سبيل التوفيق بين ما كان يفكر فيه الجيل الماضى وما زرعوه داخل

عقولنا من صواب أو خطأ لتصحيح مسيرة هذا الجيل ، لينطلق معبرا عن كل أحلامه وطموحاته .. مفجرا أغوار نفسه العميقة التى تمتلىء بالقوة والجدية من أجل مستقبل أفضل .. ومن أجل ألا تغيب شمس النبوغ عن ربوع وادينا الحبيب .. لذلك سوف نظل نستوضح المفكرين والأدباء والمثقفين عن حقيقة ما صنعوه لنا وبنا .. حتى يكتمل هذا الكيان ويكون له وجود معبر فى أصالة ومعاصرة .. !!

سعد الدين وهبه

الثورة والخوف من الثقافة ... !

أصبح الحديث عن أزمة السينما والمسرح والأغنية والثقافة ، هو بمثابة الحديث على طريقة الطرشان ، ضجيج بلا معنى أو هدف أو قيمة ، لأن مساحة المهدر من الوقت والجهد المبعثر في الهواء كثير جدا .. ولا يبقى لنا الا اللوعة والحسرة والألم على ما وصلنا اليه .. لافتقادنا التوازن الفكرى والثقافى والفنى ، وأصبح المجتمع كله في مأزق ، كل شيء جميل وصادق يغتال جهارا دون حياء ، وتطفو على السطح بؤر ملوثة بالميكروبات والفيروسات القاتلة ، وتتجدد كل القيم ، وتتلون النفوس بكل ألوان التناقض التى تؤدى الى انفصام في شخصية المجتمع ، ويشرد العقل ولا يعرف له غاية ، وتتوه الخيوط وتتمزق الفواصل التى كانت شاهدا بين الصدق والكذب ، والحق واليقين ، والخداع والنفاق ، هذه الصور المبتذلة تقتل بهجة الوجود في داخل عقول وقلوب الأجيال والشباب ، فيتأرجح في دوامات ليس لها بداية ولا نهاية ، تأخذ كل يوم منه شيئا ولا تمنحه الا أشياء غريبة مركبة من الحيرة والضياع ، وفى النهاية يغلف أفقه الصمت ، وينقش فوق عقله لفظ واحد هو اللاجدوى .. !!

لأن حال الفن والثقافة عندنا مثل حال الذى أعطى ملابسه لسيدة كى تغسلها في الطين ثم يصرخ لأنها اتسخت .. !!

متى تجد الأجيال نفسها ؟ ومن الذى أضاعها سياسيا ؟ ومن الذى أضاعها ثقافيا ؟ ومن الذى تركها لاتعرف كيف ضاعت ؟ ومن الذين ساقونا الى هذا المأزق والارتباك ؟ وهل لم تعد عندنا القدرة على الشفاء من هذا الشلل وتجاوز هذا الجمود ؟ هل لأننا عجزنا عن الوصول الى

الأســـباب الحقيقية وراء هذه الأزمة وهذه الدوامة التى تبتلعنـــا فى ظلماتها ؟ أو أننا نضحك ضحك البلهاء بما هو متداول من شـــعارات مزيفة ، وعلاجات تلفيقية لقضـــايا وهمية ، دون الاقتراب من الظـــاهرة ودراستها دراسة ممنهجة بشكل علمى دقيق فيه الصدق والوفاء والالتزام بحماية الوطن والمواطن .. لا يوجد شيء أسمه مشكلة ، ولكن يوجـد شيء اسمه عدم القدرة على الفهم والتحليل لجذور الأمراض التى تعترض طريق نهضتنا وحضارتنا ، والأمراض نوعان ، نوع نستمر فى تكثيفه لحماية طبقة صاحبة الامتيازات ، ونوع مفروض علينا من الخارج نقبله أيضا لتحقيق الأغراض الاستعمارية فى استمرارية التدهور والاضمحلال وعدم القدرة على النمو الصحيح ، وهذا أيضا مبرر لحساب بقاء السلطة الحاكمة فى مقاعدها وبقاء عروشها ، بفرض التخلف ، وتمييع الحلول الجادة ، واستلاب المجتمع من مقوماته الحقيقية فى القـدرة على الدفاع عن نفسه ، فلا يمكن لعاجز مقهور ، محروم من لقمة العيش أن يقاوم ، بل يظل مستسلما لما هو مفروض عليه عسفا . وأسوأ شيء فى الحياة أن تغيب عقل أمة أو تسخر منه أو تعجزه أو تؤمم هذا العقل وتسجنه فى أفكار السادة المشبوهة .. ومن هنا يظل البحث عن مخرج ، والمخرج لا يكون الا فى الثقافة ، والبحث عن أسباب الأزمة الثقافيـــة والفكرية والفنية اذا أردنا الخروج من المأزق القاتل .

فرجال الفكر بدلا من أن يحموا أنفسهم من ذلك برجولة ، ويستمعون الى صوت الفكر والمنطق ، يخدعون أنفسهم ، ويخدعون غيرهم ، ويتاجرون بالكلمة . ويحاربون المنطق ، وهم يتلذذون بسماع معزوفاتهم النفاقية .

لذلك كان هذا الحـوار مـع الأديب والكاتب ونقيب السينمائيين ورئيس اتحاد النقابات الفنية « سعد الدين وهبة » الذى تناول الكثير من عيوب المجتمع بالنقد ، وحاول أن ينبه الى خطورة ما يحدث من خـــلال مسرحيـــاته المتنـوعة والمتعددة مثـل « السبنســة » و « كفر البطيخ » و « ســكة الســلامة » و « كوبـرى الناموس » و « المســامير » و « أسطبل عنتر » و « سبع سواقى » و « يا سلام سلم الحيطة بتتكلم » و « الأستاذ » و « المحروسة » و « كوابيس » و « فى الكواليس » .. لذلك عرضت عليه كل ما يصرخ فى صدرى من أسئلة تبحث عن اجابات محددة ، بعد أن أعيتنى رحلة البحث فى الصحراء الحارقة ، عن لماذا يحدث هذا ؟ وكيف يحدث ؟ ومتى نعقل وندرك ما نحن فيه من أخطاء قاتلة وأخطار محدقة تتربص بنا كسرطان فتاك .. فكان هذا السؤال .

●● ..... الفن ما زال يغرق عقول المتفرجين بالكثير من التفاهات والأفكار الساذجة ، فعلى من تقع المسئولية ، على الفنان أو السيناريست الذى أصبح بلا قضية ، أو على المنتج الذى لا يفكر الا فى الاستغلال ، أو على المخرج الذى لم يعد يؤثر فيه النقد ، أو على عاتق الرقابة بصفتها مصفاة لكل الشوائب ؟!

قال :

ـ لايمكن قصر المسئولية على اتجاه من هذه الاتجاهات ، أو فئة من هذه الفئات ، أو مجموعة من هذه المجموعات .

فالفن نشاط من أنشطة المجتمع ، يؤثر فى المجتمع ويتأثر أيضا به ، ومن غير مبالغة نستطيع أن نقول أن الفن صورة للمجتمع الذى يفرزه ، فاذا كان هناك خلل فى هذا الفن من ناحية المستوى أو من ناحية الأداء ، فيكون هناك خلل بالتالى فى المجتمع الذى أفرز هذا الفن . والمجتمع هنا بمعنى كل العناصر التى ذكرتها ، ويضاف اليها الجمهور المتلقى ، لأن الجمهور اذا عزف عن شىء قطعا لن يتكرر ، واذا أقبل عليه يضمن له الحياة .

فالمسئولية تتوزع على كل عنصر من هذه العناصر بقدر مساهمته ، أو بقدر مسئوليته فى ظروف مختلفة .

فالفنان تزيد مسئوليته فى بعض الأحيان ، أو فى بعض الظروف ، وتقل مسئوليته فى ظروف أخرى ، أيضا المنتج مسئول ، الرقابة الى حد ما مسئولة ، كل هذه العناصر مسئولة بقدر أو بشكل أو بآخر .

ومن غير شك أن الفنانين يمارسون أخطر أنواع أو ألوان النشاط الذى هو الفن . الفن هو الذى يغير المجتمع أعظم من السياسيين والمفكرين ، لأنه أسهل فى التغلب على نفس الانسان وأكثر على تغيير طباع الجماهير ، فهنا المسئولية طبعا أخطر .

المسئولية مشتركة

●● ...... هل الفن والفنانون أدوا دورهم تجاه المجتمع فى التعبير عن قضاياه وطموحاته وساعدا فى بناء الشخصية المصرية ، أو انهما كانا من أحد العوامل فى زيادة تمزق هذه الشخصية وعدم القدرة على تنميتها ووعيها ؟!

— هل الفنانون أدوا دورهم ؟ من غير شك هنـــاك فنانـون أدوا دورهم ، وأعمال فنية أدت دورها ، وهذا ليس محل مناقشة ، اذا كانت هناك أعمال فنية متخلفة ، فأعتقد أنها ساهمت فى التفكك الموجود فى بعض قيم المجتمع وهذا لا يحتاج الى مناقشة ٠

مسألة دورهم ٠٠ المفروض دور الفنان معروف ، فالفنان يعى دوره جيدا وعارفه ، وليس كل العبء يقع عليه ، فاذا وقع عليـــه جزء من المسئولية ، فأيضا المسئولية مسئولية مجتمع ، ومسئولية الأجهزة ، فى دولة فيها الفنون والثقافة لم تأخذ حظها الواجب ، أو قدرتها على الحركة الحرة مثـــل أى مجتمع من المجتمعات ٠٠ نحن مجتمع نامى مهما كان عمرنا ٥٠ سنة فى الانتاج الفنى ، هذا لا يعتبر عمرا طويلا بالنسبة لبلد فيها حضارة أكثر من ذلك بآلاف السنين ٠ فمسئولية الفنان تقابلهـا مسئولية على الدولة ، تقابلها مسئولية على الجماهير ، وتغيير الجماهير أو تغيير المجتمع أو أى عيوب تظهر فى المجتمع هى مسئوليـــة الدولة قطعا ٠ الدولة هنا بمعنى كل الأجهزة ، من أول أجهزة التعليم الى أجهزة الاعلام ٠ ولو أن المفروض أن نقول أن المستوى الاقتصادى والاجتماعى ، كل هذا فى النهاية يشكل خصائص المجتمع ، الذى يتأثر بالفن أو قدرته على الاستيعاب من الفن أو عدم قدرته ٠٠ ومن هنا تكون المعادلة صعبة ، فالمستوى الثقافى مرتبط بالمستوى الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع ، وعندما يرتفع هذا تقل الاستجابة للأعمال الهابطة ، أو ترفض ، وفى نفس الوقت يزيد دور الفن الجيد ٠٠

فالمجتمع نفسه هو الذى يفرز الأعمال الفنية ويرفض ما لا يساعده على تحقيق ارتفاع مستواه الثقافى ، ويقبل على الأعمال الجيدة ، عكس الذى نعانى منه الآن وعكس الذى نراه ٠

فمشكلة بعض الفنانين الآن الخوف من تقديم أعمال ذات مستوى جيد ، أو بعض المنتجين بمعنى أصح ، على أساس أن الجمهور لا يقبل الا على الأعمال السطحية والأعمال التافهة ، أو الأعمال التى لا تحتاج الى جهد فى فهمها أو جهد فى هضمها عكس المجتمعات ذات المستوى الثقافى المرتفع ، فالمجتمع نفســه هو الذى يرفض هذه الأعمــال ومن الممكن أن نقول أن دور الرقابة عندنا يكون أكثر من المجتمعات الأخـــرى لأنهـا تساعد ٠٠ وطبعا أى فنان يرفض الوصاية ، وأى انسان يرى من منظور الحرية والديمقراطية يرفض أن واحدا يقول والله هذا لايعجب الناس ، والمفروض الناس تشاهد هذا ولا تشاهد هذا ، أو تقوم الدولة بواسطة أى جهاز بعملية فرز وتقول للناس تتفرج على هذا اللون من العمل وعلى

هذه المسرحيه ، أما هذا الفيلم فعيب الفرجة عليه ·· هذا كمبدأ مرفوض، انما يمكن فى بعض المجتمعات التى مازالت فى دور التنمية أو المجتمعات النامية تضطر الى أن تلجأ الى هذه الوســيلة لتحقيق جـزء من الذى لايستطيع المجتمع أن يحققه بنفسه ·

الرقابة اجراء بوليسى

●● ····· قلت فى أحاديثك أن الســينما المصرية باتت فى حاجة الى عمليــة دفع من الداخــل ، ماذا تقصــد ؟ وبصفتك نقيب السينمائيين ورئيس اتحاد النقابات الفنية ، ما هى الضوابط التى وضعت لتنفيذ ميثــاق الشرف اذا حـدثت أضرار مادية ومعنوية من الفنان تجاه المجتمع ، وحماية الممثل من اهدار حقوقه بنفسه عندما يتجاوز ما هو منصوص عليه ؟!

ــ الى الآن لايوجد ميثاق شرف مكتوب ·· لكن فيـه ميثاق شرف كلنا نعرفه ·· مصلحة المجتمع العليا فى قضــاياه الكبيرة ، ومصلحة الفنان والتقاليدالموجودة ، والضوابط الموضوعة لتاريخنــا الطويل فى الحياة الفنية ، وهذا ما نعتبره معالم أساسية لأى ميثاق شرف ·

أما الذى قصدته أنا من الداخل ، لا أرحب كثيرا بالضوابط التى تفرض من الخارج ــ وهى الرقابة ــ فالرقابة اجراء بوليسى ، والاجراءات البوليسية ، الفن ينفر منها ، وقيل فى فترات كثيرة جدا ويمكن كان أى نقيب غيرى يرحب بهذا ، حتى أن أحد الوزراء طلب ان النقابة تتدخل فى اجازة السيناريو أو عدم اجازته ، أنا رفضتها ، لأننى فنان قبل أن أكون نقيبا ، ولا أريد أن أضع قيدا جديدا ورقابة جديدة على الفنانين ، والذى قصدته من الداخل أن تكون بوعى المخرج وكاتب السيناريو ·

وهذا ما نحاوله كثيرا فى الندوات التى تتم فى النقابة ، ليكون رفع المستوى من داخل العملية السينمائية وليس مفروضا من خارجها ، أنها ممكن تستبعد ما لا يجب ، انما ما يجب ، لا أحد يدفعه عنوة فى رأس أحد ، الا من خلال اقتناع الفنان نفسه سواء كان المخــرج أو كاتب السيناريو ، هو الذى يطور وهو الذى يعمل ، وفى هذه الحالة ممكن أشجعه بعد ذلك ، بمهرجانات عالميــة ، بجوائز مادية ، بجوائز معنوية كحوافز ، انما لابد أن تأتى المبادرة من الفنانين أنفسهم كما قلت لوزير الثقــافة فى مجلس الشعب ، أن السينما لن يطورها الا السينمائيــون أنفســهم ·

ممكن الحكومة تضع ضوابط ، تفتح البـــاب ، وتعطى فرصا ، انما فى النهاية الذى يمسك الكاميرا هو الفنان ، والذى يمسك القلم هو كاتب السيناريو ، وهذا ما قصـدته بتعبير تطوير السينما من الداخل .. الضوابط كثيرة .. وأنا أميل دائما إلى الضوابط البعدية وليست القبلية ، يعنى الفنان كيفما شاء ، وبعد أن ينتج الفيلم ، أنا أقيمه ليس كفرد ، ولكن كنقابة بواسطة عناصر مختلفة ، وهذا اقتراح طرحته فى مجلس الشعب ووافق عليه وزير الثقافة على أن يوضع فى صيغة معينة ، طبعا تستبعد الأفلام المسيئة ، لأن الرقابة تمنعها طبيعى ، وهناك أفلام تؤدى دورها وأفلام أخرى مستواها الفنى ضعيف ..

الدعم لمستحقيه

ولذلك يجب أن تكون هنا وقفة موضوعية .. نقول بأعلى صوت يجب أن يصل الدعم الى مستحقيه ، اســتديوهات السينما تعطى دعما للأفلام .. أى أفلام أدعمها ، المفروض أدعم الفيلم الذى يقول شــيئا وليس بالضرورة أن يقول شيئا خطابيا ، وانمــا يقول شــيئا فنيا على مستوى جيد ، عنـدنا دور عرض فى القطاع العـام ، المفروض ألا تفتح لكل من هب ودب ، بل أقصرها على هذه النوعيـة من الأفلام الجيدة ، عندى أفلام تمثلنى فى أسابيع فى الخارج وفى المهرجانات أقصرها على هذا النوع من الأفلام ، عندى أفلام تذهب الى البيوت فى شكل الفيديو كاسيت ، فليس كل فيــلم يذهب الى البيت حتى ولو كانت الرقابة موافقة عليه .

فى الاذاعة ، فى التليفزيون ، المفـــروض ألا يشترى بطريقـــة « الأقة والكيلو » وكل الفيلم المصرى يأخذ سعرا واحدا ، المفروض أن يكون هناك فرق ، يرفع من سعر الفيلم الجيد ويخفض من سعر الفيلم غير الجيد .

الفيلم الهابط الذى رفضته فنيا لايجب أن يعلن عنه .. لو وضعنا كل هذه الضوابط بالاضافة الى وعى المخرجين وكتاب السيناريو فسوف ينصلح حال الفن عندنا .

عشوائية النشاط الثقافى

●● ...... ما رأيك فيما يقال أن الثورة وما بعدها لم تنتج ثقافة ، وانما عاشت على ثقافة الأربعينات ، وأن الديكتاتورية حالت دون التطور الثقافى وحالت دون تواصل الأجيال ؟! .

ــ الكارثة التى نحن فيها من أولهـــا ٠٠ من أين بدأت المشكلة الثقافية الحالية فى مصر ؟ كل نشاط فى الدنيا له هدف وله اتجاه وله سياسة ٠٠ لايوجد نشاط عشـــوائى اطلاقا وبلا هدف الا النشـــاط الثقافى فى مصر ٠

أريد أن تكون البداية من عند ما سمى « بالنهضة الحديثة فى مصر » والتى كانت بعد الحملة الفرنسية ، ونقول من عصر « محمد على » ، تستطيع أن نقول اذا تجاوزنا عن المراحل القديمة من الثقافة المصرية ، التى هى تغيرت بتغير الحضارات الفرعونية ثم الرومانيـــة واليونانيـــة والاسلامية وغيرها لغاية ما وصلنا للعصر الحديث ، ونصل منه للفترة الحاليـــة ، ولا نستطيع أن نقف أمامها طويلا ولكن مـــرورا ٠٠ بداية الاحتكاك بالمجتمع الغربى أو بالثقـــافة الغربية أو بالمدنية والحضـــارة ، ولو أن كل كلمة منهم لها معناها ، انما يعنى فى سلة واحدة ٠٠ كانت وجهة نظر « محمد على » ومن تبعه ظهرت بوضوح فى عهد « اسماعيل » ، وهى محاولة نقل الحضارة الغربية لمصر ، والتى بدأها « نابليون » قبل « محمد على » ، عندما جـــاء بالحضارة أو أدواتها من « بره » لهنا ٠٠ و « محمد على » عمل العكس ، أرسل الطلبة ليتعلموا فى « أوربا » ، ثم « اسماعيل » زاوج بين الحضارتين أو بين الطريقتين ، أصبح يوفد ويستجلب حتى نصل الى الارهاصات الأولى ، وهى تأثرنا بالفكر الغربى ، فى بدايات المسرح « ليعقوب صنوع » وغيره ، ونصـــل بعده الى بدايات السينما التى نقلت من المجتمع الغربى كما هى فى السينما الأمريكية ، ونصل الى فترة الأربعينات التى ذكرتها فى سؤالك ٠

حـــركة اليقظة

فترة الأربعينات ، بدأت تاريخيا بعد ثورة ١٩١٩ ، يعنى الانتاج الفكرى فى الأربعينات بدايته منذ العشرينات ، لأن النجوم كمـــا هم ، يعنى فى العشرينـــات حدث الآتى ، جاء « طه حسين » من المنيـــا ، و « عباس العقاد » من أسوان ، ورجع من فرنســـا « توفيق الحكيم » ، وجاء من ايطاليا « يوسف وهبى » ، ووصل للقاهرة « أم كلثوم » جاءت من السينبلاوين فى ١٩٢٤ ، وجاء من التل الكبير « محمد عبد الوهاب » وجاء من شمال الدلتا « محمود مختار » من المحلة ، وجاء « طلعت حرب » من الدقهلية ، يمكن الشىء الايجابى الكبير جدا والذى برز كنتيجة من نتائج ثورة ١٩١٩ ، أنها لم تنجح سياسيا ٠

ثورة ١٩١٩ التى قامت للتخلص من الاحتلال لم تنجح وظــل الاحتلال لغاية ١٩٥٦ ، انما عملت حركة يقظة فى المجتمع المصرى .

الثورة لو نحللها التحليل العلمى ، نجد أن النــاس يحســـون بأنفسهم ، بشخصيتهم ، يتحركون ، يسعون لتأكيد هــذه الشخصية ، فاذا طبقنا هذا ســوف نجد أن الثــورة فعــلا حققت ما يمكن أن يسمى بالشخصية المصرية ، بدأت مصر تحس بنفسها ، بدأت تصنع لنفسها فكرا ، هذا الفكر فى الاقتصاد ، فى العلم ، فى الطب ، فى الفلسفة ، فى الفن ، فى الثقــافة ، فى كل روافد الحيـــاة ، كل هذا محصـــلة ثورة ١٩١٩ .

ففى الوقت الذى كان « طلعت حرب » يؤسس « بنـــك مصر » و « شركة بيع المصنوعات المصرية » كان يبنى أيضا « ستديو مصر » وكان يبنى « مسرح الأزبكية » وكان يبنى « مطبعة مصر » فى شـــارع « نوبار » الى الآن ، فى الوقت الذى يظهر « مختار » نجد « أحمد شوقى » شاعرا ، نجد « سيد درويش » بأناشيده ، نجد « أم كلثــوم » نجــد « السنباطى » و « عبد الوهاب » نجد « توفيق الحكيم » راجع بحصيلة تجاربه فى الغرب مع المسرح وأدوات التعبير الجديدة ، نجد « طه حسين » يغير فى بعض المفاهيم فى الشعر الجاهلى ، نجد « العقاد » داخــل فى دراسات جديدة حتى فى الشعر عمل معارك مع « شوقى » ومع غيره ، كل هذا كان ثمرة من ثمرات ثورة ١٩١٩ وهذه المدرسة التى بدات فى العشرينات حتى فى الطب كان فيه « على ابراهيم » وفى الهندسة كان فيه « نيازى » وفى العلوم كان « مشرفة » ، كان فيه كل حاجة فى مصر .

وهذا الفكر الذى ساد لغاية الأربعينات ، نستطيع أن نسميه « حركة اليقظة المصرية » فى مصر المعاصرة ، يقظـــة فى كل شىء ، وبــداية الاحساس بالشخصية المصرية ، وبداية تحديد معــالم مجتمع جديد ، وفكر جديد ، وللأسف مثلما يقول التاريخ باستمرار ، الحياة السياسية والاقتصادية تؤثر فى الحياة الثقافية ، وهذا ما تنبه له « طلعت حرب » وهو رجل اقتصادى أحس أنه لايمكن أن يكون فيه حرية سياسية الا اذا كان فيه حرية اقتصادية ، ولا يمكن أن يكون فيه حرية اقتصادية الا اذا كان فيه حرية ثقافية ، فالثلاثة مثلث متساوى الأضلاع .

بعد ثــورة ١٩١٩ نضجت كل هذه الشخصيات ، وكان نتيجتها الأحزاب ، للأسف ضاع من تاريخ مصر فترة طويلة جدا فى التناحر بين الأحزاب ضيعت حتى نفس هذه الشخصيات الهامة والعظيمة ، اضطرت

تحت ضغط الظروف أن تنتمى الى أحزاب وتتصارع سـياسيا وتترك مجالاتها الأصـيلة والحقيقية فى الصراع الفكرى ، أو الصراع الأدبى أو الصراع بين مذاهب فنية مختلفة ·

وهذا الجزء ضيع على مصر عمرا طويلا جدا من أول العشرينات حتى الخمسينات · وعندما وصلنا للخمسينات كان النظام كله فى أزمة ، كل حاجة فى السياسة ، الصراع بين الأحزاب والذى انتهى بحريق القاهرة ، الصراع ما بين الملك من ناحية ومع الانجليز من ناحيـة ، كل مجالات حياتنا كانت بتوصل لطريق مسدود ·

« طه حسين » كان أنتج أعظم انتاجه فى الخمسينات ، ورغم أن سنهم مازال سن انتاج الا أن « رتمهم » بدأ يقل عند كلهم ، «طلعت حرب» انضرب فى الحرب العالمية الثانية اقتصاديا من الانجليز وخرج ·

البعض انتهت حياته وخرج ، وما تبقى كان يصارع وتقريبا وصلوا الى النهايات ·· وهذا لايعنى أنهم عاشوا حياتهم وفقط ، انما أنتجوا أجيالا ، بدأت تحس أن قضيتها الأولى هى القضية السياسية ·

فالجيل الذى تربى على أيدى هؤلاء بدأ ينتج فى الأربعينات كشباب ثم فى الخمسينات ، وكان شاغلهم الأول القضية الوطنية ، لذلك عدد السياسيين فى الكتـاب والفنانين تلامذة هذا الجيل أكثر بكثير من هذا الجيل ·· يعنى « توفيق الحكيم » استطاع أن يعيش طوال عمره بعيدا عن الأحزاب ·

« طه حسين » لم ينغمس الى حد كبير فى الأحزاب ، يمكن « العقاد » لأن له ظروفا معينة · بعضهم استطاع أن ينجو من الحيـاة السياسية ويتقوقع على نفسه ويعطى فكرا وفقط ، تلامذتهم لم يستطيعوا أن يفعلوا هذا لأنه برز من خـلال التجـربة أنه لا فكر مصرى ، ولا فن مصرى ، ولا ثقافة مصرية ، ولا شىء مصرى قبل حل المشكلة الوطنيـة التى هى الاستعمار والاقطاع والمسائل التى بدأنا نحس بوطأتهـا ابتـداء من الأربعينات حتى الخمسينات ·

الثورة والثقافة

... وصلنا الى ثورة يوليو ·· ماذا كان شـكل الحياة الثقافيـة فى لوائل الخمسينات ؟ وأريد أن أقول أن الحياة الثقافية هنا ذات شقين ، انتاج ثقافى وأجهزة ، الأجهزة يعنى رموز اهتمـام الدولة بالعمليـة الثقافية ·

فماذا كان الوضع لغاية ثورة يوليو ، قبلها مباشرة ؟ كان فيه بعض أجهزة ثقافية ، كان عندنا ادارة للثقافة فى وزارة المعارف ، كان عندنا المسرح القومى أو الفرقة المصرية ، كان عندنا دار الأوبرا ، كان عندنا ادارة للفنون الجميلة ، كان عندنا هيئة للآثار ، كان عندنا دار للكتب ، نشاط السينما كان فيه محاولة « طلعت حرب » خلال شركة مصر وكانت فى أفول . المسرح كان تقريبا « الريحانى » مات سنة ١٩٤٩ ولا يوجد تقريبا غير فرقة واحدة ، الانتاج الثقافى ، كتاب المسرح كان فيه « توفيق الحكيم » وفيه بدايات لا تستطيع أن تقيم حركة مسرحية ، ولذلك المسرح القومى كان يعتمد فى ٪ انتاجه على المترجم منذ بدايته عام ١٩٣٥ .

السينما كان ٩٩ ٪ من الأفلام نقل عن الأفلام الأجنبية ، الموسيقى من غير شك كانت بعد « سيد درويش » ، « عبد الوهاب » نطور ، أدخل فيها الموسيقى الغربية والآلات الغربية ، وبدأنا نسمع نغمة جديدة قريبة قوى أو نقلة بين « سيد درويش » والموسيقى الغربية ، حاجة وسط . الفن التشكيلى ، بعد « مختار » كفلته عبقرية ، لأنه نشاط فردى ، لايحتاج الى هيئة حكومية أو أجهزة لأنه فن يعتمد على الجهد الفردى لا المجموع .

اليوم الذين يقولون انتاج الأربعينات .. لا .. لم يكن عندنا انتاج فنى فى الأربعينات نستطيع أن نقول أنه انتاج فنى فى أى مجال من هذه المجالات .. كان فيه بدايات لكن انتاج فنى يقيم مواسم كاملة من مسرح مصرى ، كما حدث فى الستينات أو فى السبعينات . فى السينما لا أعتقد لغاية الخمسينات ، ولما ابتدينا من الستينات تجد مثلا ١٠٪ معار أو مترجم أو منقول و ٩٠٪ انتاج محلى من قصص « ليوسف السباعى » و « احسان عبد القدوس » و « نجيب محفوظ » وغيره وغيره .

الأربعينات كان فيها بدايات ، لكن لا أستطيع أن أقول ان كان فيه نهضة ثقافية حقيقية أو كان فيه ثقافة مصرية حقيقية جاءت الخمسينات وضيعت بها ، أو نظام الثورة ضيع هذا ... !!

فماذا تناولت الثورة العملية الثقافية ؟ جاءت الثورة وهذه الأجهزة مبعثرة فى كل مكان .. ولا يحتويها كيان واحد ، الجامعة الشعبية أو ما سمى جامعة الثقافة الحرة كانت تتبع وزارة الشئون ، دار الكتب كانت تتبع وزارة المعارف ، المسرح القومى كان تبع المعارف ، وقبل ذلك

كان تبع وزارة الشئون ، دار الأوبرا كانت فى فترة من الفترات تتبع وزارة الأشغال ، الفنون الجميلة والثقافة تتبع وزارة المعارف ٠٠ هيئة الآثار كانت فى فترة تتبع وزارة الاقتصاد باعتبار آنها جزء من السياحة والدخل القومى ٠

السياسة الثقافية

أما حكاية الثورة اقتربت من الثقافة بحذر وبتردد وبخوف شديد جدا ، لا أعرف لماذا ؟ ربما لم تكن فى اعتبارهم ، أو لم يكن منهم أحد مهتم بالثقافة ، أو لم يكن أحد منهم مدرك لدور الثقافة ٠

فأول شىء أقيم « وزارة الارشاد القومى » ولو تقرأ قرار انشاء هذه الوزارة سوف تجد تناقضات من أول الدعوة للمبادىء الجديدة التى تدعو لها الثورة لغاية حض المزارعين على « نقاوة الدودة » ، لغاية المسرح والسينما بها نفس اختصاص هذه الوزارة ، وبعد ذلك أسست « مصلحة الفنون والابداع » ، وبدأت فكرة أن هناك شيئا اسمه فن أيام « فتحى رضوان » وبعد ذلك أنشىء « المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب » ثم « وزارة الثقافة » لتجمع هذه الأجهزة كلها فى كيان واحد ، وفترة تنضم للاعلام ، وفترة تنفصل عن الاعلام لغاية الوضع الحالى ، هذا من ناحية الشكل العام للأجهزة من قبل ١٩٥٢ لغاية اليوم ٠

والسؤال الذى لابد أن يطرح ، ماذا كان دور هذه الأجهزة ، الثورة أو الدولة أو الحكومة عندما تؤسس جهازا فلابد أن يكون له دور على الأقل ٠٠ دور فى خيال منشئه يضعه على الورق فى شكل قرار ٠٠ ويقول أن الجهاز هذا لابد أن يعمل كذا وكذا وكذا ٠٠ للأسف لأنها كانت موجودة بعض أجهزة وجمعت هذه الأجهزة فى جهاز واحد ، وحدثت اضافات شخصية من بعض الوزراء الذين تناوبوا هذه الوزارة ٠

يعنى « ثروت عكاشة » مثلا سافر الى الخارج ، احتك بالثقافة الفرنسية ، شاهد تجربة القصور الثقافية ٠٠ أقام قصور الثقافة هنا ٠٠ وكان عنده ايمان بالموسيقى القديمة فكون « فرقة الموسيقى العربية » ، زار عواصم غربية أخرى فأخذ منها فكرة وجود « السيرك القومى » ، « وفرقة الفنون الشعبية » كجزء من المحافظة على التراث ، كان موجود معهد واحد هو معهد « الفنون المسرحية » ، بدأ يبنى « معهد السينما » و « الكونسرفتوار » حتى تبلورت فى النهاية فى شكل « أكاديمية للفنون » ٠

ولو رجعنا مرة ثانية للسؤال ماذا يراد من هذه الأجهزة ؟

هذا لم يتحدد حتى هذه اللحظة الا فى فترة واحدة فقط ، ننساها ونحن نتكلم عن الستينات ، ونقول لماذا ؟ الستينات كان فيها ، وكان فيها ، لأنه يمكن الفترة الوحيدة التى أعطى فيها دورا للثقافة أو لوزارة الثقافة أو للأجهزة الثقافية ، وأعطى لها فلسفة سياسية ، كان فى الفترة التى بدأت فى وزارة « سليمان حزين » عندما أعاد تنظيم الوزارة وقال بوضوح فى قرار تنظيم الوزارة الذى صدر فى عهده قرار جمهورى ، أن الوزارة وهذه الأجهزة كلها تعمل فى ظل « الميثاق » ، وقال فى نفس القرار تعمل متعاونة مع « الاتحاد الاشتراكى » .. معنى هذا ايه ؟

ان فيه فكر نظرى ترجع له هذه الأجهزة لكى تقوم بوظيفتها ، « الميثاق » ماذا يقول فى هذه النقطة من أجل أن أعملها ؟ وبالتالى العمل كان محددا مع الحزب الواحد الذى كان موجودا فى ذلك الوقت وأسمه « الاتحاد الاشتراكى » .

أى مجتمع من المجتمعات سواء غربية أو شرقية له فلسفة ، المجتمع الأمريكى كاقتصاد حر له فلسفة ، الفلسفة مثلما هى موجودة فى الاقتصاد ، موجودة فى الثقافة ، موجودة فى الصناعة فى الزراعة ، موجودة فى كل حاجة .

المجتمع الشرقى له فلسفة ، المجتمعات التى لا شرقية ولا غربية ، لا يمكن الثقافة تعيش وأنت ليس لك فكر اقتصادى أو فكر ثقافى ، ليس لك نظرية سياسية ، فكيف يكون لك نظرية ثقافية ؟

أحزاب بلا ثقافة

حتى عندما عملنا الأحزاب لو رجعت الى برامج كل الأحزاب ، سوف تجد أنهم قد تناولوا كل المشاكل بداية من الاسكان والزراعة والصناعة والتأمينات الاجتماعية والمواصلات ، كل مشاكل مصر الا الثقافة ، وكأنها مسألة ليس لهم بها علاقة ، أو مسألة ليست مهمة ، أو مسألة لا تستحق ثلاث أو أربع صفحات .. يمكن التجمع تكلم فى جزء بسيط جدا ومركز محو الأمية .. والحزب الوطنى مساحة قليلة جدا ، لا تتناسب مع طرح كل المشاكل فى برامج الأحزاب .. كان نتيجة ذلك ؛ أنه ليس لنا سياسة ثقافية .

فعندما يأتى الدكتور « حاتم » فى الستينات يستوحى النظام

العام بعد ما سمى بالقرارات الاشتراكيـة « ١٩٦١ » ، يقلب السينما قطاع عام ، يأتى « يوسف السباعى » يلاقى الجو العام فى « ١٩٧٣ » هناك تحلل من الاشتراكية ، يتوقف القطاع العام عن الانتـاج ، يأتى « عبد الحميد رضوان » مرة يقول ننتج فى السينما ، ومرة يقول لا انتاج، مرة ندعم القطاع الخاص فى بعض الأحيان ، ومرة ثانيـة ليس لنـا علاقة بالقطاع الخاص ٠٠ مرة الرقابة تشتد ، ومرة الرقابة تصهين ٠

لا يوجد عندنا سياسة ثقافيـة مرسـومة ، وعندما يطرح اليوم سؤال أجابت عنه غالبية الدول منذ العشرينـات والثلاثينات ، هل الثقافة تجارة ولا سلعة ولا فكر ؟

أقف عاجزا ، لأنه مرة يأتى وزير مالية متنور يعطى المال ، ومرة أخرى يأتى وزير يضغط عليهم فتقف الثقافة عاجزة ٠

ولا أستطيع أن أقول أن الدول الكبيرة فقط هى التى لها سياسة ثقافية مرسومة ، فلا يوجد دولة فى العالم حتى الدول الافريقية الصغيرة جدا ليس لها سياسة ثقافية ، دول أمريكا اللاتينية فيها تجـارب فى الثقافة من أعمق ما يكون ، فى « الارجنتين » و « فنزويلا » ودول صغيرة جـدا ، أصغر منا ثقافيا وحضاريا وسياسيا ٠٠ فيهـا سياسة ثقافية واضحة المعالم ، لكننا نتخبط لعدم الفهم او العجز عن ادراك ما للثقافة من أهمية فى ايقاظ الشعور القومى والانتماء الوطنى والتحرر من كل تبعية واستعباد ، والعمل على تنمية الوعى الحضارى والتكنولوجى ٠
لا يوجد نظرية ، ماذا أريد من الثقافة ؟ وما هو دورها سـواء كان فى الداخل أو فى الخارج ؟ الى أى حد الثقافة قائمـة على عناصر التراث والترجمة ؟ الى أى حد تعبير « الأصالة والمعاصرة » يطبق فى الثقافة ؟ ولماذا ماتت حركة الترجمة ؟ ماذا نريد من هذه الأجهزة ، وكيف أحاسبها فى نهاية السنة ؟ وهل أدت دورها والمطلوب منها أولا ؟!

وهل هناك أقيسة لمعرفة العائد الثقافى ؟ اذا لم يكن اصـلا غير مطروح التساؤل ، ماذا أريد من الثقافة ؟! لذلك يظل المسرح القومى مقفولا ٤ سنوات ونصف ، ويصرف على تجديده ٤ مليون ونصف ، لا أحد يسأل ماذا صنعتم ، ولماذا تبدد كل هذا المال وهذا الزمن ؟!

المسرحية تنجح ، تفشل ، أموال تتطاير فى لاشىء أمـوال تأتى ، الفرق تتعطل لا أحد يحاسب ولو من قبيل معرفة ما يحدث ولماذا حدث ؟ الدولة لا حاسة بقيمتها ، ولا حاسة بمسئوليتها ، ولا حاسة بأن لها أهمية خالص ، وأصبح هذا هو الشكل العام لعملية الثقافة فى مصر ٠٠!!

●● ..... ما هو دور المفكرين والأدباء تجـاه هذه اللا مبـالاة ، اذا كانت الدولة فيها كل هذه التجاوزات ، وكل هذا التخبط وعدم الانضـباط فى المنهجية ، فالمفروض أن الأديب بما يملك من احساس وعلم ورؤية وتفكير ، هو المنارة الحقيقية لهذا المجتمع ، فما هو دور الأدباء فى كل هذا التخبط ، هل نبهوا ، أو أخذتهم غفلة المتفرجين وأصبحوا مصفقين لكل قرارات اتخذتها السلطة ، حتى ولو كانت قرارات خاطئة ؟

ـ المصفقون موجودون فى كل وقت .. لكن لا أستطيع أن أقول أن المفكر مصفق .. انما أقول أن المفكرين أو المثقفين ـ بمعنى بشـكل عام ـ وهذا أحد عيوب أو أحد سلبيات ثـورة يوليـو من البـداية .. وأنا طبعا من أبناء ثورة يوليو ، وهذا لا يمنعنى من أن أذكر سلبياتهـا التى أقتنع أنها سلبيات .

: ان المثقفين وقفوا متفرجين من أول الثـورة أو النسبة الغالبية منهم ، مثلما أنت قلت ، فيه بعضهم حاول ، وفيه بعضهم نبه ، وبعضهم كتب أكثر من مرة وعنـدما لم يستجب له يأس وسكت ، انما بالنسبة الكبيرة صـمتوا مثلما أرادت لهم الدولة أن يصمتوا ، أو وافقـوا على تصورات الدولة أنها غير مسئولة عن الثقافة المسئولية الحقيقية ، ومثلما شبهنا واحد زمان ، أن حكومة الثورة تصوات أن مجموعة المثقفين صوتهم مرتفع ، وخطر على الحكم فلابد أن يظلوا بعيدين ، وكلما بعدوا يكون هذا فى مصلحة السلطة ، لذلك كان دورهم سلبيا ، ولم يحدث التجاوب المطلوب بينهم وبين المبادىء أو الأجهزة الثورية أو أجهزة الثورة المتمثلة فى الحكومة ، ولذلك لم يحدث تفاعل بالنسبة للغالبية منهم ، وأخذت موقفا سلبيا ، لدرجة أننا فكرنا فى عمل تجربة « المجلس الأعلى للثقافة » ، كانت محـاولة بسيطة جدا وسـهلة لحل المشكلة لكن اتفهمت غلط ، والى الآن مفهومه غلط ، فالفكرة كانت تعنى مشاركة مجموعة من المثقفين فى التخطيط ، لوضـع سـياسة ثقافية ، ولا يمكن لمجموعة من الموظفين أن يضعوا سياسة ثقافية ، لكن عندما يكون عندى مجلس فيه « زكى نجيب محمود » و « سليمان حزين » و « توفيق الحكيم » و « نجيب محفوظ » و « محمـد عبد الوهاب » و « صـلاح طاهر » ومعهم الأجهزة الرسمية ، هؤلاء هم القادرون على تخطيط سياسة ثقافية محـددة ، لأنهم ينظـرون للثقافة بمنظور أعلى وبشكل عام كجزء من تنمية المجتمع كله فى نفس التخصصات ، فالفكرة البسيطة « للمجلس الأعلى للثقافة » والتى حوربت ومازالت تحارب الى اليـوم .. كان الغرض منها اذا كانت الدولة غير

مهتمة كأجهزة حكومية ، وكان المثقفون أيضا غير مهتمين بموقفهم السلبى تجاه كل القضايا المصرية ، فالأجدر أن يجلسوا معا للاشتراك فى وضع سياسة ، مكونة من ١٣ مادة ، والمضمون فى النهاية وضع سياسة ثقافية ، عندما ظهر المجلس الى الوجود قيل أنه يلغى الوزارة ، فأجهزة الوزارة بدأت تحارب المجلس على أنه البديل والوريث ، جمد المجلس ووظيفته وتراثه للمكتبة العربية والجوائز ، أصبح الشكل هلاميا . وزادت الأسئلة البيزنطية ، هل هذا المجلس تنفيذى أو تخطيطى ، وما هو دور الأجهزة ، اقتصرت المسألة على أن يجتمع المجلس مرة فى السنة أو مرتين وكفى .

اذا كانت المسئولية ، مسئولية أجهزة الحكومة ، فهى أيضا مسئولية أهل الثقافة .. !!

●● .... ماذا كنت تريد أن تقوله عن ثقافة الثورة ؟

ـ أريد أن أقول أن الفترة التى كان فيها فكر واضح ، برزت مدارس مسرحية واضحة ، « الواقعية الاشتراكية » كانت موجودة فى المسرح ، كانت هناك محاولات لابراز السلبيات ونقد الأوضاع القائمة ، وأريد أن أقول لك هنا عن كلمة الديكتاتورية ، كنا أكثر حرية فى عهد الديكتاتورية عن عهد الديمقراطية الحالى .. !!

●● ..... فسر البعض أن هذه الحرية بالنسبة لبعض الأدباء والكتاب ، هى لمساندة الحاكم ، وهذه كانت مناورة من الحاكم ؟!

ـ لم يحدث هذا ، لأن أنا على الأقل صودرت لى بعض المسرحيات فى هذه الأيام التى تقول عنها ، ولم أكن من المصفقين فى الأعمال التى أجيزت .. بالعكس لا « نعمان عاشور » فى المسرح نافق الحاكم ، ولا « يوسف أدريس » ولا « الفريد فرج » ولا « سعد الدين وهبة » ولا « نجيب محفوظ » .. بالعكس مسرح الستينات عاش ، لأنه كان مسرحا نقديا ، وكان قاسيا جدا على الحاكم .. !!

أجهزة الاعلام طبيعة تحركها أنها تصفق ، لأن هذا من صميم عملها ، انما أجهزة الثقافة بالعكس ، كان فيه سينما نقدية ، وكان فيه مسرح نقدى ، واليوم هناك مسرح نقدى ينتقد الأوضاع الاجتماعية ، نحن نقدنا الحاكم شخصيا ، أنا فى مسرحية « بير السلم » نقدت الحاكم شخصيا ، وهو فى عز مجده عام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ فى « سكة السلامة » وفى « المسامير » وفى « كوابيس فى الكوابيس » ، وفى « سبع سواقى »

التى صودرت ، وفى « الأستاذ » التى صودرت بعدها فى ١٩٧٣ ، وفى « اصطبل عنتر » التى صودرت أيضا ٠

لم نكن ننقد فى الخارج ، ولم أكن عدوا للثورة ، ولم أكن منضما لجهاز معارض بالعكس كنت أحد أبناء الثورة ومازلت ، كنت أنقدها بمنتهى الحرية ، وبمنتهى العنف فى بعض الأحيان ٠

فى السبعينات لم يحدث اطلاقا ، لم نر هذا ، المسألة بسيطة أوصل الرقابة ، وأنا طلبت هذا الطلب وأنا مسئول عن الرقابة فى الثمانينات ، قلت لهم أريد كشفا بالمسرحيات ، والمسرح بالذات لأنه أكثر فكرا من السينما ، أو أكثر معالجة للقضايا الفكرية من السينما ٠٠ لذلك طلبت المسرحيات التى رفضت من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٠ ، ومن ١٩٧٠ الى ١٩٨٠ ٠

النصف الذى منع لأسباب سياسية من عام ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ ؛ نصف الذى منع لأسباب سياسية من ١٩٧٠ الى ١٩٨٠ ، يعنى من ١٠٠ الى ٢٠٠ مثلاً ، فى وقت كنا نقول أنها دولة مؤسسات ، وازاء هذا الاضطراب ، وبداية فقدان الطريق فى بداية السبعينات ، المسألة تاهت ٠

الأول كان فيه نظام اما أن تؤمن به أو ترفضه ، وفى الحالتين تستطيع أن تحدد موقفك ، انما اذا كان النور الأحمر تقف ، والنور الأخضر تمشى ، والنور الأصفر لا تعرف تقف أم تمشى ، فيكون التجمد ، وهذا حدث فى السبعينات ، كل شىء ضباب ، لاتعرف أى شىء حتى رئيس الجمهورية هو الذى قال هذا التعبير ، فهو ليس من عندى ، وبعد أن تخطينا المرحلة الضبابية عام ١٩٧٢ ، وجاء انتصار أكتوبر العظيم عام ١٩٧٣ ، وكان من الممكن أن يكون هذا النصر أكبر علاج للهزيمة الثقيلة ولكل ما حدث عام ١٩٦٧ ، لكن أعقبها مباشرة سياسة الانفتاح ٠

والانفتاح الاستهلاكى بالصورة التى تحققت ، مهد لظهور المغامرين والثراء السريع ٠٠ وحدث الزلزال العنيف الذى قلب كيان الطبقات فى المجتمع المصرى ، وهذا بداية التسمم للحياة الثقافية ، أو التلوث للطقس الثقافى فى مصر ، الذى نعانى منه الى الآن ، فقد دفع للسطح فئات ليس لها علاقة بالعملية الثقافية ٠٠ !!

الكاسيت هو الجانى

●● ٠٠٠٠٠ كل شعب من الشعوب يحاول أن يصب ذوقه وما يتذوقه من خلال الأغنية ، سواء كانت كلمات أو موسيقى أو أداء ،

مما يخلق عنده نوعا من الوعى الحقيقى بوجوده وتأثيره الحركى .
فهل الغناء عندنا يعطى قيما ويسمو بالمشـــاعر والأحاسيس ،
أو أننا نقتل الملل بالكثير من الضجيج الذى بلا معنى ؟!

ــ الكاسيت جنى على الأغنية ٠٠ ودور الجمهور المتلقى هنا خطير جدا ، لو تقرأ صفحات الاعلانات عن الكاسيت فى الجرائد اليوميـــة ، تحس أن المجتمع عنده انفصـــام فى الشخصية ٠٠ اليوم عندنا مطربون لا أعرف أسماءهم ولم أسمعهم فى حياتى ، فى حالة رواج كبيرة جدا ٠٠ وقال لى أحد أصحاب المهن هذه لاتطبع من الكاسيت أقل من ١٠٠ ألف ٠

مائة الف شريط لمطرب لا أعرفه ولم أسمع عنه أبدا ، وأنا موجود فى الحياة الفنية منذ ٣٠ سنة « ليل ونهار » ، وهناك أناس تشترى هذا وتطرب له ، والدليل على ذلك أنه يطبع أغنية ثانية وثالثة ورابعة وغيره ٠

كلمـــات طبعا فارغة ، ألحان كلهـــا متشابهة ٠٠ كلهـــا طالعة من لحن واحد « لسيد درويش » ٠٠ وهذا العبث والتوهان يؤكد أننا فى مجتمع مغاير لمجتمعنا ، الذى عشـــنا فيه ، والذى مازلنـــا نعيش فيه حتى اليوم ٠٠ !!

● ● ٠٠٠٠ أين دور أجهزة الدولة من رقابة على المصنفات الفنيـــة ونقابات فنية ، وأجهزة اعلامية من صحافة وتليفزيون للحفاظ على ذوق الجمهـــور ، وما هو السر فى هذا التناقض والتخبط اذا كانت الرقـــابة تمنع والأجهزة الأخـــــرى تعلن وتـــروج لهذا الاســـفاف ؟!

ــ بالنسبة للأغنية ، هناك نظام وضع أخيرا ، بعد أن جأرت الناس بالشكوى من موضوع الأغنية ، وهذا النظام هو قبل اجازة الرقابة على أى أغنية ، يراجع نص الأغنية فى « اتحاد الكتاب » ٠٠ ويراجع لحن الأغنية فى نقابة « المهن الموسيقية » ٠٠ والرقابة لاتعطى تصريحا بطبع الكاسيت أو باذاعة أغنية قبل موافقة النقابات عليه ، وهذا سوف يغير من أشياء كثيرة جدا ، صحيح قد تأخر هذا القرار ، ولكن قرره أخيرا وزير الثقافة ٠٠ وأعتقد أن فيه العلاج السريع ٠٠ !!

الكاتب هو السيد

●● ..... هناك رأى يقول : سوف نتخلى عن خرافة النص المسرحى ودكتاتورية الكاتب ، ووفقا لهذا الرأى ينتهى أيضا عصر الالقاء الذى يجعل من المسرح مجرد تدريب على القراءة ، فما رأيك فى هذا ؟!

ـ المسرح عاش أقدم الفنون وسيعيش ، كل المخترعات التكنولوجية الحديثة لم تستطع أن تزحزح المسرح عن مكانتـه ، ومازال المسرح هو سيد الفنون ، رغم أن هناك فنونا أخرى سبقته جماهيريا ، مثل السينما والتليفزيون والفيديو كاسيت ، سيظل المسرح ما يظل الانسان ، لأن المسرح هو الانسان ، وأنت ترى ممثلا على الشاشة ، لكن هنـاك فرقا كبيرا أن تراه من دم ولحم ، الانسان فى حاجة الى انسان يكلمه مباشرة ، وسيظل المسرح هو السيد رغم كل هذا الكلام .

وهذا الكلام قاله مخرج ، والمخرجون فى نظرى زوائد مسرحيـة لا حاجة لهم ، ولا لزوم لهم ، ولا المسرح يتطلبهم اطلاقا .

والمخرج بدايته فى الأول كان مساعد مؤلف أو مساعد مدير فرقة ، وتطور وفرض نفسه على العمل المسرحى ، انما ممكن الاستغناء عنه فى أى وقت ، وكلما ضعف دور المخـرج فى أى عمل مسرحى كان أقرب للمسرح .. وكل عمليات الاضـافات بالموسيقى والاضـاءة والميزانسين والكلام الذى اخترعوه ، هذا تتويه لفكر الكاتب المسرحى ، وسـيظل الكاتب المسرحى هو سيد المسرح ، واذا حلا لهم أن يقولوا أنه ديكتاتور ، فستظل الديكتاتورية للمسرح ، لأنه الديكتاتور العالم المحبـوب ، لأن الجمهور يذهب اليه ولا يذهب لغيره .

الاقلية المهيمنة

●● ...... هل أنت من الأقلية المهيمنة التى توظف ايديولوجيتها نحو التوجه الفنى والسياسى فى السيطرة على عقليـة المتفرج لخدمة مصالح شخصية ، دون التأثير النفسى الذى يهيىء الى نوع من اليقظة والوعى بكل الحقائق ؟!

ـ بالعكس أنا مسرحى قائم على النقد .. ومسرح قائم على الرفض .. ومازلت حتى اليوم أرفض واقعى مهما كان ارتبـاطى به سـياسيا أو فكريا ، لأننى لم أشعر فى أى لحظة ، أننى فى لحظة كمال ، ولذلك

دائما أجد ما أحس أنه ناقص ، وأحاول أن أكشفه وأفضحه فى أعمالى الفنيـة .

أنا لا أخاطب المتفرج للتأثير عليه ، بل أنى أخاطبه حتى يقتنع بأن هذه نواقص ، فيكون هناك رأى عـام يضغط على صاحب الشأن ، فيغير مما هو كائن ، وما هو مرفوض منى ومن الجمهور .

وأكثر مسرحيـاتى مباشرة ، مسرحية « المسامير » ، وهذه كتبتها يـوم ١٢ يونيـة ١٩٦٧ بعـد أن عرفت نتيجة الحرب الكارثة ، كان الانفعال سريعا ، جلست أكتب ، عرضت المسرحية فى مارس ١٩٦٨ ، قدمت فى فترة كانت تموج بالزوابع ، مظاهرات الطلبة فى الجامعـة احتجاجا على أحكام الطيران فى فبراير ١٩٦٨ ، كانت المسرحية تنتهى والجمهور مازال واقفا فى الصالة .

قدمت هذه المسرحية أولا فى مسرح «محمد فريد» فى «عماد الدين» ثم انتقلت بعد شهر لمسرح الأزبكية ، كان الجمهـور يخـرج يناقش المسرحية ، وخاصة الجزء الأخير منها الذى كان يناقش القائد نفسه الذى اسمه « عبد الله » وكان فيه منولوج كبير ، الذى تقول فيه « فاطمة » : « سيبك من اللى ما سكين العصاية من النص وطبقات ايه ، واللى ينافقوك، ومين اللى معاك ، ومين اللى مش معاك » لدرجة أنه فى بعض الليالى رجال الأمن خافوا من الجمهور .

هذه هى الصورة التى جسدتهـا فى احدى مسرحياتى ، أنا أقول فكر وعلى الناس أن يناقشوه ، واذا آمنت به ، هذا يكون أقصى ما يحلم به الكاتب ، لم أكتب فى يوم من الأيام مسرحية ، أقدم من خلالهـا فكرة معينة أنا غير مؤمن بها ، ولا مقتنع بها سياسيا .. !!

فالكتابه النقدية باستمرار لا تفرض فكرا معينا ، وانمـا تضع الانسان فى مواجهة أخطاء معينة .

وقبل أن ينتهى الحوار كانت له رؤية فى بعض كتاب المسرح ، مثلا قال عن : « نعمان عاشـور » لكى يظـل فوق يجب أن يـكون « دوغرى » .

و « لطفى الخولى » ، « كانت له قضية ، ولكن كادت تأكلها الارانب»
و « رشاد رشـدى » « طاف كالفراشـة ثم عاد بشىء كخيال الظل »
و « يوسف ادريس » ، « سيد أحيانا .. وفرفور فى أحيانا أخرى »
و « الفـريد فرج » ، « جبرتى المسرح ولكن باللغـة الفصـحى »
و « لويس عوض » ، « قنصل اثينا واسيوط والقاهرة » ، و «على الراعى»:

« ليت هند أنجزتنا ما تعد » ، و « أحمد عباس صالح » : « ناقد مسلم ، كلاى » و « رجاء النقاش » . « النقد فى الصغر كالنقش على الحجر » .

ينتهى الحوار ، ويظـــل القلق والتردد والتمزق هم السمات المرسومة بوضوح فوق جبين جيلنا ، الذى من حقه أن يعرف وأن يختلف وأن يكون لنفسه فكرا جديدا .. فكرا مستقلا مبنيا على حقيقة وجوده هو ، لا على نظرة الآخرين الى الوجود ، ولا لمنطق الآخرين فى التفكير .. واذا كانت مساحة الحوار الديمقراطى تسمح لنا بالاختلاف البناء حول نوعيات القضايا وطرحها ومعالجتها ، فمن حقنـــا أن نرفض كثيرا من الآراء التى وردت فى هذا الحوار وألا نقبله على صورته الأقرب الى التاريخ لا التحديد للوصول الى مكامن الخطر المحدق بنا ، وأسـباب الانهيارات والتمزقات ، ســـواء كانت على المستوى الفكرى والثقافى والفنى ، والاضطراب الحادث حول فهمنا لقيمة الأشياء ولمضمون معانيها ، والخلاف الجدلى حول قضايا أزلية شكلية انتهت قيمتها ، وانتهى تأثيرها ، وان دل شىء على طرحها فى تلك الفترة فانمـــا يدل على مدى التخلف ، ومدى ما وصلنا اليه من اهدار لكل الطاقات الخلاقة ، التى من المؤكد أنهـــا قادرة على الاسراع بخطى المجتمع نحو الأمام ونحو التقدم .

أمينة الصاوى

التاريخ المشوه ... !

ان تعشق الوطن فللعشق ثمن ، أن تعشق القلم فللعشق ألم ، والألم يبدأ من نقطة الوعى المرتكزة على استشراف جذور الماضى للانطلاق به نحو المستقبل .

واذا كان البعض غير مرتبط بتاريخه لأنه يكشف سوءات الحاضر ، فالبعض الآخر يرفض أن نغتال أنفسنا بأيدينا ، وأن نضيع أفكارنا ، وأن نترك حقائق تاريخنا ليعبث به غيرنا أو يستفيد منه ونحن جلوس عند حدود الفرجة أو الدهشة أو التمنى .

والكاتبة الاسلامية الكبيرة « أمينة الصاوى » فتحت فى عالمنا نافذة جديدة لنطل من خلالها على عالم « الدراما الدينية » المستمد من سيرة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، ومن القيم الاسلامية الانسانية التى تقدمها من خلال المسلسلات الدينية .

واذا كان البعض يحاول أن يجافى روح الدين ، ويرفض البحث عن حقائق التوحيد عند المصريين القدماء ، الا أن الكاتبة الكبيرة « أمينة الصاوى » دأبت فى صبر وجلد فى نبش هذا الماضى لاستيضاح ما فيه من حقائق عن التوحيد عند هذا المصرى صاحب أعرق حضارة فى الدنيا كلها ، ومن خلال رحلة البحث والتقصى توصلت الى أن بذور التوحيد نمت وترعرعت فى أحضان هذا الوادى .

ونحن نلتزم بما قال الله فى كتابه الكريم « ولا تزكوا أنفسكم » .. ولنقرأ ما كتبه الكاتب الانجليزى « آرثر مى » عن هذه الحقائق .

« هؤلاء المصريون كانوا ـ فى ذلك الوقت ـ مجتمعا ممتازا ، ففيهم تحرك العقل المنظم ، واندفع بهم الى ممارسة الحياة على أسلوب انسانى بعيد كل البعد عن وحشية الآخرين وهمجيتهم » .

« وانتقلت تأملاتهم فى ظاهرة النيل الى التأمل فى أنفسهم وفيما يتصل بأنفسهم من حياة وموت ، وصحة ومرض ، وشبع وجوع ، الى غير ذلك مما كانوا يفكرون فيه من قبل ، وأسلمهم هذا التفتح الذهنى الجديد الى الاعتقاد بأن من وراء هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه قوة خارقة ، هى فوق القوى جميعا .. » .

وكان لابد من أن يصطلحوا على تعريف هذه القوة الخارقة ، فسموها الها .. !!

ورسموا لصلتهم بهذا الاله طقوسا تعبدية سموها ديانة .. !!

« فهم أول من اهتدوا الى اله ، وأول من اشترعوا شريعة تقربهم اليه . وقد تساموا فى النظر اليه على الأرض ، فراحوا يلتمسونه فى السماء » .

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد من قبل الأجانب باهتمامهم بتاريخنا القديم وبكل ما فيه من انسانية متوادعة متوادة تنعم بالتسامى والوحدانية ، كتب الكاتب الروائى الفنلندى « مايكا وولتارى » رواية بعنوان « دنيا سنوحى » تعريب « حامد القصبى » وتقديم الدكتور « طه حسين » .. فماذا يقول عن التوحيد عند اخناتون فى هذه الرواية صفحة ٣٤٩ أن « آتون » هو الاله الواحد الأحد ، خالق الأرض وكل ما فيها وكل من عليها من نهر وانسان وحيوان ، وهو مبدع الكون كله ، الوجود بأجمعه ، أبدى لايزول ولا يحول ، وكان قبلا يبدع فى صورة « رع » ولكنه أخيرا تجلى على حقيقته .. أن « آتون » هو الاله الواحد ، وليس غيره من الآلهة الا خرافات وأوهاما ... !

والذى يدعو إلى الغرابة أيضا أو التعجب أو التوقف مع النفس لحظة للتأمل وعدم التخبط فى الحكم على ما تقدمه الكاتبة الاسلامية الكبيرة « أمينة الصاوى » من خلال مسلسل « لا اله الا الله » .. أن تاريخنا الفرعونى شغل الكاتبة البريطانية المشهورة بقصصها البوليسية « أجاثا كريستى » انها كتبت مسرحية خارج اطارها البوليسى الذى عرفها العالم من خلال هذا اللون .. كتبت مسرحية عن « اخناتون » عام ١٩٣٧ بعد أن عاشت مع زوجها الأثرى البريطانى فى مدينة الأقصر

عامين .. سحرها جو « طيبة » بكل ما فيها من آثار وجـلال الماضى ، فكتبت هذه المسرحية الرائعة عن « اخناتون » وأودعتها درج مكتبهـا قرابة ٤٠ عاما .. ثم أفرجت عنها .. وترجمها الأستاذ « حلمى مراد » .. فماذا كتبت عن التوحيد فى مصر القديمة ؟! .

« انه « آتون » العظيم الحى ، واهب الحياة ، القوى البأس ، الذى يحيل نفسه بيديه ، ويشرق ويغرب فى كل يوم بلا انقطاع ، وسواء أكان فى السماء أم فى الأرض ، فكل عين تراه وهو يملأ الأرض بأشعته ويجعل كل وجه يحيا .

وبرؤيته تقر عيناى كل يوم ، عندما يشرق فى معبد « آتون » هذا فى مدينة الأفق ، فيملأه بذاته عن طريق أشـعته ، جميلا فى محبة ، ويضعها على ، فى حياة وطول أيام ، الى أبد الآبدين .

ويخاطب « اخنـاتون » « نفـرتيتى » : اسمعى يا « نفرتيتى » « آتـون » ليس ملك الآلهـة ، فلو كان كذلك لاستطعت أن تصنعى له صنما .

انه ليس ملك الآلهة لأنه لا اله الا هو .. انه الله نفسه ولذا ــ كما ترين ــ لابد لهذه الأصنام الفجة أن تزول » .

أليس بعجيب أن نقبل هذا من كتاب الغرب ، وأن نخـرج على الكاتبة الاسلامية « أمينة الصاوى » بمعاول الرفض والهدم ، عنـدما تتعرض لحقب هذا التاريخ حتى تقول كلمة صـدق فى حق المصريين أنهم أول من أدركوا قوة التوحيـد والوحدانية المطلقة « لله الواحـد الأحد » .. !!

لذلك سوف أذكر كل الرافضين المشككين بمقولة كتبهـا الدكتور « طه حسين » ..

« ليس يعنينى أن يرضى العلمـاء ، عن هذا كله أو يسخطوا . ولا أن يعرفوا أو يفكروا لأنى لم أقرأ هذا الكتاب ملتمسا للعلم بالتاريخ ، فللعلم بالتاريخ مراجعه ومصادره ، وانما قرأته ملتمسا للمتعة الفنيـة والروعة الأدبية ، والبراعة فى الاختـراع والابتكار وفى الوصـف والتصوير ، وفى القصص الذى يتنقل بك بين ألوان الفن فى غير مشقة ولا جهد ، كأنه يتنقل بك بين صور من الحياة التى تحياها دون تكلف أو تصنع ، الا ما يأتى من أنه يصـور لك عصرا بعيـدا أشد البعد عن عصرك الذى تعيش فيه » .

الدين حب وجمال

●● من هنا كان لابد من البحث عن حقائق واجابات منطقية مقنعة من الدراما الدينيـة فكان اللقـاء مع الكاتبـة الاسلامية الكبيرة « أمينة الصاوى » لأطرح عليها بعض التساؤلات عن حدود العلاقة المشروعة بين الفن والدين ، ومدى الاختلاف بين ما يقدم من أعمال دينية فى المسرح والسينما والتليفزيون وتقييمها للأعمال الدينية وكتابها ٠

ـ الدين حب وجمال وانسانية متسامية ، والفن توضيح وتفسير لهذا كله ٠

ولا أعتقد أن هناك اختـلافا كبيرا فى الجوهر ـ فالمادة فى جميع هذه الوسائل منبعها واحد ـ وهو العقيدة ، ولكن الاختلاف يأتى من تباين الوسائل الفنية ٠ فلكل وسيلة امكانياتها الخاصة بها ٠

نستطيع ان نفخر بما قدمنا من أعمال دينيـة غاية فى الجودة والاتقان ـ نصا واخراجا وتمثيلا وديكورا واضاءة وملابس وموسيقى ـ وفى مقدمة هذه الأعمـال ما قدمه التليفزيون من مسلسـلات وأهمهـا « على هامش السيرة » ، و « فرسان الله » و « الكعبة المشرفة » و « الأزهر الشريف » والأجزاء الأول والثانى من مسلسل « لا اله الا الله » الذى يتتبع جذور التوحيد فى مصر ٠

تنقية التاريخ

●● البعض يقـول أنك فى أعمـالك الدينيـة الأخيرة ، تحاولين لوى أعناق التاريخ وتوظيفه فى غير موضعه لصنع دراما دينيـة ، أو دفع الحقائق الدينية لاجبار التاريخ القديم على أن يستوعبها حتى ولو كان على حساب المخالفة التاريخية ٠

ـ على الذين قالوا هذا القول أن يرجعوا الى التاريخ وأن يقرأوه ٠٠ ليعلموا الحقيقة ويصححوا معلوماتهم ويكفوا عن الادعاءات الكاذبة ، وانى أذكر هنا أن كاتبا من هؤلاء كتب يسخر من قصة « أفراس النهر » التى جاءت فى الجزء الأول من مسلسـل « لا اله الا الله » ويدعى أننى اخترعتها ولو أنه رجع الى كتاب التاريخ الذى يدرس بالمدارس الابتدائية لعرف أنهـا حقيقة وأن الملك الهكسوسى « أبوبيس » تذرع بهـا ليهاجم

الفرعون « سقنن رع » وأرسل اليه يقول : ان صوت أفراس النهر يزعجه ويقض مضجعه وأن على الفرعون أن يقتلها والا فسوف يشن عليه الحرب ٠

ولو أنه رجع الى كتب التاريخ التى تدرس بالجامعـات فى مصر والخارج لوجدها مسجلة تفصيليا وأيضـا فى بردية « ساليبه » (١) ولعـرف أن معلوماته عن تاريـخ بلده قاصرة وخاطئـة ومخجـلة فى الوقت ذاته ٠

هذا وقد لاحظت فى أثنـاء معايشتى للتاريخ الفرعونى خـلال السنوات العشر الأخيرة ، وهى التى سبقت كتابتى لمسلسـل « لا اله الا الله » بأجزائه الستة ـ أن معظم الكتب الموضوعة عن هذا التاريخ ـ العربية والأجنبية ـ بها كثير من الثغرات والفجوات والمغالطات والأخطاء ـ كما وجدت طمسـا متعمدا لعبـادة التوحيد وانكار لوجودها فى مصر القديمة ومحاولة لجعل مصر وثنية خالصة ٠

ولما كان هذا يتنافى مع الواقع الدينى الفعلى ، وما ثبت يقينا فى الكتب المقدسـة وعلى رأسـها القـرآن الكريم التى أثبتت أن عددا من الأنبياء قد بعثهم الله فى مصر بعبادة التوحيد ، وأن البعض منهم قد ولد على أرض مصر « كادريس » و « موسى » عليهما السلام ٠

والبعض الآخر وفد اليها « كابراهيم » و « يوسف » عليهما السلام٠

ولما كان هذا يتنافى مع الواقع التاريخى الفعلى الذى أثبت ان مصر كانت صاحبة أعظم حضارة قديمة ـ فقد أصبح من غير المعقول أن تكون مصر وثنية خالصة ـ وأن تكون عقليتها الجبارة التى أفرزت هذا الكم الهائل من العلوم والفنون لم تهتد الى الاله الحق والعقيدة السليمة ، وأن تكون قد عبدت العجل والتمساح والقط وابن آوى والانسان ولم تعبد خالق كل هؤلاء ، خالق الأرض والسماء ٠ ولقد طالبت أكثر من مرة وفى أكثر من مجال باعادة كتابة تاريخ مصر بواسـطة أبنائهـا المخلصين المتخصصين ، وقد اقترحت هذا على السيد الرئيس « حسنى مبارك » فى اجتماعنا معه بمعرض الكتاب ، وأعتقد أن لجنـة قد شكلت من كبار المتخصصين لاعادة كتابة تاريخ مصر الفرعونيـة وتنقيته وتمحيصه وتطهيره من الزيف والتحريف والمغالطات المقصـودة ليظهر وجه مصر الفرعونية الحقيقى المشرق بالوحدانية ٠

ولابد أن أذكر هنا أننى أعود الى المراجع الموثوق بها عندما أتصدى لكتابة أى عمل دينى ، ثم ألجأ الى كبار المتخصصين المخلصين لمراجعـة

العمل ـ وبالنسبة لمسلسل « لا اله الا الله » فقد راجعه من حيث العقيدة الأستاذ الدكتور « أبو الوفا التفتازانى » نائب رئيس جامعة القاهرة ، ومن حيث الأحداث التاريخية راجعه الأستاذ الدكتور « أحمد عبد الحميد يوسف » نائب رئيس الجمعية التاريخية والاستاذ بجامعة القاهرة ورئيس الادارة المركزية للآثار المصرية ، وراجعه من الناحية الدينية دكاترة مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف وأيضا راجعته رقابة التليفزيون ٠

التوحيد

●● اهتم كتاب الغرب من أمثال « آجاثاكريستى » بكتابة مسرحية عن « اخناتون » وكذلك الكاتب الفنلندى « مايكا ولتارى » فى روايته « دنيا سنوحى » بالكشف عن حقيقة اخناتون وبعض أحداث التاريخ الفرعونى ٠

ما هى نظرتك ومعالجتك الدرامية لحقيقة التوحيد عند «اخناتون» وهل يمكن أن يوضع فى مصاف أصحاب الرسالة المصنوعة من البشر مثل « بوذا » و « كنفوشيوس » و « زرادشت » ، وهل حقائق التوحيد عنده تقابل حقائق التوحيد فى الرسالات السماوية الثلاث ٠

ـ التوحيد هو عبادة « الله الواحد الأحد » الذى لا شريك له ولا ولد ولا صاحبه ولا شبيه ولا مثيل « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » (الشورى) ٠

وقد نزل التوحيد مع آدم عليه السلام واستمر التوحيد فى أولاده، حتى تحالف الشيطان مع النسيان ، فانحرف البعض عن جادة الصواب، فأرسل « الله سبحانه وتعالى » رسولا ، يعيدهم الى تلك الجادة ، وهكذا فانه جل جلاله أرسل الرسل واحدا بعد الآخر ليعتدل المسار ويتحقق العدل والسلام والحياة الكريمة للانسان ، حتى ختمهم « بمحمد صلى الله عليه وسلم » ٠

قرأت (اخناتون) لأجاثا كريستى ترجمة الأستاذ « حلمى مراد » ، وقد شكرت لها أن قالت كلمة الحق فى هذا الفرعون الذى كان أول من جعل التوحيد دينا رسميا للدولة والذى عذبه الكهنة فى حياته وحاربوه وقتلوه فراح شهيدا ٠

ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يشوهون سمعته ميتا واجتهدوا فى الاساءة الى عقيدته وأعماله ما وسعهم الجهد ولكن الله شاء لعقيدة التوحيد

أن تستمر وأن تزدهر ، بفضل أتباعه الموحدين المخلصين الذين صمدوا وصبروا من بعده ٠

وانى لأشكر للأستاذ « حلمى مراد » أيضا فهو الذى ترجم هـذا العمل وفتح به نافذة عريضـة يطل منها الأبنـاء على أمجاد الأجـداد ، ويعرفون حقيقة اخناتون وعقيدته كما صورتها وتصورتها كاتبة ليست مصرية ، وليست مسلمة ولكنها زوجـة لأثرى عاش فى مصر ونقب عن آثارها ، والحق انى لا آخذ على « أجاثا كريستى » شيئا الا أن نظرتها كانت من خلال منظورها الدينى الخاص بها ٠

انا صاحبة مدرسـة

●● البعض يأخذ على المسلسلات الدينية اللغة الخطابية والتشنج الأدائى والدروشة وسوء المظهر ، وهناك أيضـا جمود الدراما واختلاق المواقف التلفيقية التى تؤدى الى توقف التصاعد الدرامى للفكرة مما يؤدى الى الترهل والتكرر ؟!

ــ لا أنكر أن بعض المسلسلات الدينية تقوم على الخطابة والتشنج فى الأداء والدروشة أحيانا ، ولكن هـذا أمر يرجع الى المخرجين الذين يحاولون تغطية قصورهم الفنى بهذه الأمور ، ولا شأن له بالمؤلفين ٠

وقد أشار الى هذا الأستاذ « أنيس منصور » أكثر من مرة ونصح ذلك البعض من المخرجين بتجنب هذه الأساليب الفاشلة ، ولكنهم يصرون عليها ، ويبدو أن هذا أقصى ما يستطيعونه ٠

أما الجمود الدرامى والأمور التلفيقية الخ ٠٠ فهذه أمور لا شأن لى بها وأتحدى أن يكون شيئا منها فى عمل من أعمالى ، فتوجه بها مشكورا الى غيرى ، واعلم يا سيدى أننى أول من درس ودرس الدراما ، وأول من قام بالاعداد الدرامى فى مصر بل والعالم العربى ٠

فأنا صاحبة مدرسة الاعـداد المسرحى وقد درسته بالمعهد العـالى للفنون المسرحية ، وقد حصلت على العديد من الجوائز التقديرية فى الابداع الفنى ، ومعظم انتاجى يعرض فى الدول العربية المسلمة ، والدول المسلمة غير العربية ٠

« بل ان مسلسلاتى (قصص القرآن الكريم) تدرس فى المـدارس بتركيا بعد أن دبلجت وتدرس فى مدارس بالدول الاسلامية غير الناطقة بالعربية بعد أن وضعت عليها الترجمة ٠

الرفض لمــاذا ؟

●● لماذا ارتبطت الأعمال الدينية بشهر رمضــان فقط ؟ ولمــاذا لا تقدم مسلسلات دينية برؤية عصرية تعبر عن المشكلات والتحديات التي تواجه المسلمين ؟ ولماذا تتوقف نظرتنا للاسلام عند حدود حقبة واحــدة في التاريخ الاسلامي ؟ وحضارتنا الاسلامية خير شاهد من خلال العظماء والأبطال الاسلاميين ؟

ـ أنا شخصيا أتساءل معك عن هذا ، وأضيف (هل نحن لا نكون مسلمين الا في شهر رمضان ؟ ولم لا تقــدم الأعمــال الدينية على مدار العــام ؟) .

حاولت تقديم أعمــال دينية تدور في العصــور الحديثة فرفضت وأصروا على النوعية الحالية .

أحسست بعد أن كتبت خمسة مسلسلات تليفزيونية عن « فجر الاسلام » و « سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم » ، وما يقرب من مائة عمل اذاعي أنني قد وفيت هذه الحقبــة حقها ، وأن على أن أتجه الى آفاق أخرى بالفعل اتجهت الى التاريخ الفرعوني ، حيث كتبت (لا اله الا الله) وتتبعت فيها جذور التوحيد في مصر ، ولكنني فوجئت بطلب ملح على المرحلة السابقة ، ثم كلفت بمسلسل « عمر بن الخطاب » وهو عمل تدور جميع أحداثه حول بداية الاسلام ، ومع تقديري الشديد لشخصية عمر فانى أعاني الكثير في أثناء الكتابة ، عندما أحاول التركيز على أحداث لم يسبق استهلاكها عند كتابة السيرة .

وقد فوجئت بأمر آخر أعجب ـ وهو ـ أن بعض الكتاب غير المتمكنين من الكتابة قد بدأوا يأخذون مسلسلاتي عن السيرة ويستفيدون منها في كتابة مسلسلات بأسمائهم ، بل ان منهم من سرقها بأكملها ونسبها الى نفســه .

أفكر في كتابة أعمال عن أبطــال المسلمين في مختلف العصــور ، والبطــولة التي أعنيهــا هنا ليست بطولة السيف ، ولكنهــا البطــولات الانسانية الأخرى ، كبطولة الشجاعة وبطولة المروءة ، وبطولة الوفاء ، والاخوة الانسانية وغيرها .

●● كيف نمنع تأثير الأسطورة والسحر والدجل من التلاعب بالدراما الدينية وبالأغنية الدينية ، ولماذا نمجد أبطال الفولكلور الأسطوريين عن أبطال الفتوحات الاسلامية ؟

ــ نعم ٠٠ هناك الكثير من الخرافات والخزعبلات تنسب الى الدين ظلما ٠٠ وهناك تزييفات وأخطاء وتحريف فى المعتقدات ٠٠ وقد دخلت الينا عن طريق الجهل وعن طريق الدس قصدا وعمدا ٠

وهناك تمجيد لأبطال الفولكلور وتجسيم لشخصيات الأساطير ، وكل هذا عن عمد وقصد والهدف واضح ، وهو أن تتراجع الشخصيات الاسلامية ثم تتوارى وتختفى من الأذهان ٠

ليس هنـاك تخطيط

●● نقطة البدء والانطلاق عندك لصنع دراما دينية كانت السيرة العطرة للرسول صلى الله عليه وسلم ، من خلال على « هامش السيرة » و « فرسان الله » و « الكعبة المشرفة » والانتقال الى « الأزهر منارة الاسلام » ، ثم كانت العودة الى الأطوار المتعاقبة للفكر الدينى من خلال مسلسل « لا اله الا الله » ، فلماذا لم يكن هذا هو البدء ، حتى يكون التسلسل واضحا للوصول بطريقة صحيحة وعضوية فى بناء الحقيقة الروحية ؟!

ــ هذا صحيح ٠٠ كان الأولى أن نبدأ بمسلسل (لا اله الا الله) ثم نسير حتى نصل الى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم نسير حتى نصل الى الخلفاء ، فأبطال الاسلام حتى يومنا هذا ٠٠ ولكن الذى حدث أننا نسير بغير تخطيط ٠

والحق أنى أعددت مسلسل (لا اله الا الله) قبل مسلسل « على هامش السيرة » بسنتين ، ولكن الشركة تأخرت فى انتاجه فى الوقت الذى جاءها التكليف من الأردن بانتاج على هامش السيرة ، فاكتفيت أنا بتسجيل مسلسل (لا اله الا الله)عن طريق الاذاعة وطبعه فى ١٥ كتابا ٠٠

وبعد أن بهر الناس فى العالم العربى كله بمسلسل « على هامش السيرة » توالت الطلبات على مسلسلات السيرة ، وظل مسلسل « لا اله الا الله) فى الكتب حتى شعرت بأن شيئا فى السيرة لم يعد باقيا لأعده فى مسلسل جديد ، فتقدمت بمسلسل (لا اله الا الله) والحق يقال أن التليفزيون قد رحب به ووفر كافة الامكانيات ، لكى يخرج فى الصورة المشرقة والحمد لله خرج فى هذه الصورة فعلا ٠

د . أحمد مرسى

بضاعة فاسدة ... !!

الفن الشعبى يمثل جانبا هاما وحيويا فى حيـــاة أى شعب من الشعوب ، ويعتبر تسجيلا حيـا وأمينـا تقاس من خلاله سيكلوجيات الشعوب فى أى فترة زمنيـة ، ويمكن أن تحـدد من خلاله أنماط أو نماذج السلوك الفكرى والعلمى ، وتبين مدى ما كانت تعيشه من مراحل متخلفة أو متقدمة من التطور الحضارى ٠

فالموروث الشعبى أو المأثورات الشعبية مهما كانت لابد أن نهتم بها ، لأنها تحمل تراثا قديما فيه بذور حكمة البسطاء وفلسفتهم تجاه كل شىء فى الحياة ، ولما كانت الضرورة تقضى بأن نستطلع رأى أحد المسئولين عن الفن الشعبى ٠٠ لتقييم ما يقدم من خلال فرق الفنون الشعبية ، أو من خلال الأغنيـة الشعبية ٠٠ توجهت بكل ما يدور من تسـاؤلات لمعرفة الحقيقة من عميد المعهد العالى للفنون الشعبية والمسئول عن مركز الفنون الشعبية ، الدكتور « أحمد مرسى » ٠

دور مركز الفنـون

●● ٠٠٠٠٠ سألته عما يقدم من فن شعبى ، وعن دور مركز الفنون فى تطوير الفنون الشعبية ؟

قال :

ـ كثير مما يقـدم ـ ان لم يكن اغلب ما يقدم للأسف الشـديد ـ ينتحل صفة الشعبية ، سعيا وراء الانتشار ، ولأهداف تجارية بحتة ، لا علاقة لها بما تقوم به الفنون الشعبية من وظائف تحتاجها الجماعات التى تبدعها ، وتشـارك فى أدائها ، أو تلقيها ٠ ودور مركز الفنـون الشعبية لا علاقة له بتنمية أو تطوير الفنـون الشعبية ، وهذه المصطلحات خادعة لا معنى لها من وجهة نظرى ـ فى هذا الخصوص ـ بأننا يمكن أن نتحدث عن التنمية الاقتصادية ، أو تطوير مصنع من المصانع ، أما الفنون ، فهذه المصطلحات لا تصلح لها ٠٠ الفنون الشعبية يصنعها أو يبدعها أصحابها ، مبدعون ومؤدون ، وهم الذين يطورونها ـ اذا جاز لنا أن نستخدم هذا المصطلح ـ أما ما يأتى الى الجمـاعة من خارجهـا فهو محكوم دائما بأحد أمرين اما أن يؤدى وظيفة تحتاجها الجماعة ، ومن ثم تتبناه وتعدل ، وتغير فيه لكى يتناسب مع ما يتناغم معها ، واما لا يؤدى وظيفة ، وربما كان يهدم شيئا قائما ، وعندئذ ترفضه الجماعة ٠

نعود الى دور مركز الفنون الشعبية الذى أصبح الآن جزءا من المعهد العالى للفنون الشعبية الذى يقوم على اعداد جيل من الدارسين والجامعيين

فى ميدان الفولكلور أو المأثورات الشعبية عامة ، والفنون الشعبية خاصة، اعدادا علميا صحيحا ، لنعيد لهذا المركز دوره الذى يتكامل مع رسالة المعهد ، وهو الدور الذى بدأنا به ، وكان منوطا به تحقيقه لولا ظروف بعضها خارج عن ادارة المركز والعاملين به ، وبعضها يرتبط ببنية المركز ، ونوعية العاملين فيه ، ورؤية المجتمع لهم ، ورؤيتهم هم لدورهم ٠

ان مهمة المركز الأساسية هى جمع المواد الشعبية من بيئاتها الأصلية ، ومن مبدعيها ، وجمع الظواهر الشعبية وتسجيل الحياة الشعبية ، وتصنيفها وفهرستها واتاحتها بشكل علمى موثق للفنانين والمبدعين والباحثين ، سواء للاستلهام أو للدراسة ٠٠ مما يتكامل مع رسالة المعهد باعتباره الكيان العلمى الذى ينبغى أن توفر له كل الامكانات لكى ينهض بمهمته ودوره الوطنى والعلمى ٠

هل هذا رقص شعبى ؟!

●● ٠٠٠٠٠ ما هو رأيك فيما تقدمه « فرقة رضا » و « الفرقة القومية للفنون الشعبية » من رقصات شعبية ، وفى ملابسهما والأغانى المصاحبة للرقصات ؟!

ــ بعض ما تقدمه فرقتا الرقص الشعبى ــ رضا والقومية ــ يمكن أن نعده من قبيل استلهام الرقصات الشعبية الأصلية ، وبعضها الآخر خلق فنى جديد يعتمد على رؤية المصمم والمخرج ولكن لا أصل شعبى له ، ومن ثم لا يمكن النظر اليه باعتباره رقصا شعبيا مهما اعتمد على عناصر شعبية من موسيقى أو تقليد للزى أو غير ذلك ٠ وما يهمنا هنا هو الجانب الأول الخاص باستلهام الرقصات الشعبية وتقديمها على المسرح ٠٠ وهو أمر لا ترفضه مدارس فنية كثيرة ، وان كانت هناك مدارس أخرى ترى أنه ينبغى المحافظة على الشكل الأصلى وتقديم المواد الفولكلورية كما هى ٠٠ وكل له وجهة نظره التى تسندها حقائق تمليها الفلسفة التى تحكم تقديم هذا النوع من الفن الشعبى ٠

فالمدرسة التى ترى أن ظروف العرض التى تقدم فيها هذه الرقصات، ونوع الجمهور الذى يستقبلها أو يشاهدها ، وظيفة الرقص نفسه تختلف بين الجماعات الأصلية التى تمارس هذه الرقصات وتؤديها فى مناسباتها المتعددة وبين الجمهور الذى يذهب الى دار العرض ليرى هذه الرقصات يؤديها محترفون ، هنا المؤدون مختلفون ، والمكان مختلف ، والجمهور مختلف ، وهناك مقتضيات الاضاءة وسعة خشبة المسرح ، وطريقة جلوس الناس ، والديكور ٠٠ الخ وهى أمور أساسية فى عملية العرض ، لا يجوز التقليل من شأنها ، والا فشل العرض ٠٠ هنا ترى هذه المدرسة أن

هنـــاك ضرورات تبيح التدخـــل والتغيير ، ولكن حـــدود التدخـل والتغيير تختلف أيضا داخل هذه المدرسة بين اتجاه وآخر ، قربا أو توسطا أو بعدا عن الأصل ٠٠ لكن الذى لا شك فيه أنه اذا زاد التدخل عن حدود معينة تقتضيها هذه الظروف التى أشرنا اليها ، فنحن أمام رقصات جديدة، يصبح الحكم على شعبيتها وأقصد هنا تبنى الناس لها ، وأداءهم لها ، لا انتشارها عن طريق أجهزة التليفزيون أو السينما مثلا ، هو الفيصل فى وصفنا لها بالشعبية أو اعتبارها مجرد رقصات جماعية يؤديها مجموعة من الفنانين المحترفين ، لجمهور يمتعه ويسليه هذا النوع من الرقص ٠٠ وبالمناسبة أنا لست ضد هذا مطلقا ٠

فرق الجمهور الخاص

●● ٠٠٠٠٠ لماذا توقفت الفرق عن تقديم رقصات جديدة والأغانى المصاحبة لها ، هل لعجز فى الموروث الشعبى أو فى المصممين أنفسهم ؟!

ـ احدى المشكلات التى تواجه مصممى رقصات الفرق الموجودة هى تلك المشكلة المسماة برقصات جديدة ٠٠ وحقيقة الأمر أن هناك خطأ فى الفهم ، وأرجو ألا يغضب منى الزملاء والأصدقاء القائمون على أمر هذه الفرق ٠٠ من الذى طالبهـم أو قال لهم انهـم ينبغى أن يقـدموا رقصات جديدة ٠٠ !!

وهل هذه مهمتهم ؟! ان عليهم فقط من وجهة نظرى وقد أكون مخطئا فى ذلك ، أن يحسنوا تقديم رقصاتنا الشعبية ، محافظين على روح هذه الرقصات ، وما يكمن خلفها من رؤى اجتماعية وثقافية ، وما تحفل به من عناصر فنية ٠

المشكلة فى نظرى أن هذه الفرق تعمل فقط من أجل جمهور المدينة، وأعنى بذلك القاهرة والاسكندرية بصفة خاصة ، وأعلم أن هناك من سيرد على ، ببرامج هذه الفـرق فى مدن مصر المختلفـة ، وأن هناك فرقا فى المحافظات الآن ٠ وللأسف فان هذه الفرق الى وقت قريب جدا كانت صورا ممسوخة من فرقتى رضا والقومية ، وبعض هذه الفرق الآن يحاول أن تكون له شخصيته المستقلة المعبرة عن تـراث وفنون الاقليم الذى تنتمى اليه ، وهو ما نأمل أن يستمر ، لأنه ما زال يواجه عقبات كثيرة كثيرة لا مجال هنا لذكرها ٠

أعود الى مسألة تقديم رقصات جديدة مرة أخرى وهو أمر ليس من وظيفة هذه الفرق ، ولا هو دورها ، و لايستطيع انسان أن يفهم معنى

الفولكلور أو المأثورات الشعبية أو الفنون الشعبية فهما حقيقيا أن يطلبه منهم ٠٠ لو أن هذه الفرق استطاعت أن تقدم عروضها للناس أنفسهم ٠٠ أعنى الذين أبدعوا هذه الرقصات ، وعاشوا بينهم ، كان من المؤكد أن يحدث نوع من تبادل التأثير والتأثر بين هؤلاء المحترفين وبين المؤدين أو المبدعين الأصليين ، يمكن عن طريقه أن يكتسب المبدعون الأصليون حركة جديدة أو تتغير نظرتهم الى ما لديهم ، فيعدلون فيه ، وقد يبتكرون هم رقصة جديدة أو حركة جديدة ، وقد يعلقون على ما يقدمه المحترفون ، فيؤدى هذا الى تصحيح خطأ وهكذا ٠٠ يمكن أن تكون هناك رقصات وحركات جديدة ، تتبناها هذه الفرق ، وتعيدها مرة أخرى الى أصحابها ، فيعود اليهم شىء جديد أو معدل ٠٠ وهكذا ٠

اننى أرجو أن تنتهى هذه المشكلة التى أبعدت الزملاء الذين أعرف مدى ما يقاسونه ويعانون منه من أجل تقديم هذا الجديد ، مما يؤدى الى مسخ القديم ، أو تقديم أشياء مشوهة لا علاقة لها بالشعبية أو بالشعب مطلقا ، ولا داعى بالطبع لاعطاء أمثلة ٠٠ كل ما أرجوه أن نحترم كلمة الشعب ، والشعبية فلا تصبح مرادفة للابتذال أو الترخص أو مجالا مفتوحا لكل من هب ودب ليقول أو يفعل ما يشاء تحت اسم الشعبية أو أن هذا هو ما يريده الشعب ٠٠ أرجو أن نفهم الشعب أولا ٠

هذه لهجات غريبة

●● ٠٠٠٠٠٠٠٠ اللهجات التى يتكلم بها أبطال المسلسلات فى التليفزيون أو الاذاعة سواء كانت صعيدية أو من وجه بحرى على أى أساس نسلم بصدقها وصحتها ؟!

ـ اللهجات التى تقدم فى البرامج الاذاعية أو التليفزيونية أمر خاضع للاجتهاد ، ويتم عن طريق محاولة التقليد ، وقد أدى هذا الى تثبيت نمط للفلاح وللصعيدى ولغيرهم وهو ما أرجو أن ننبه القائمين على أمر هذه البرامج أو المسلسلات الى الجهود العلمية التى بذلت فى هذا السبيل ، وأن الرجوع الى المتخصصين فى هذه الأمور وغيرها لا يعيبهم مطلقا ، بل يزيد من قدرهم ، ويجعل لأعمالهم سندا قويا من العلم ٠٠ لا أحد ضد الاجتهاد ٠٠ ولكن هناك أيضا العلم ، وما يصدق على اللهجات يصدق على الأزياء ، وعلى العادات والتقاليد ، وأنماط السلوك ٠٠ وغير ذلك كثير ٠

الـــود المفقـــود

●● .... هل هناك تعاون وثيق بين مركز الفنون الشعبية وبين فرق الفنون ، اذا كان هناك خطأ فى تقديم الفن الشعبى من ناحيـة الشكل والمضمون ، ما هو موقف المركز من ذلك ؟!

ـ هنا ينبغى أن أقرر أن مركز الفنون الشعبية في بدايته ، وبالذات مع الفرقة القومية كان له دور لا ينكر ، ولكن للأسف هذه الصلة وهـذا الدور أصبحا واهيين جدا لأسباب كثيرة يضيق المقام عن ذكرها ٠٠ كمـا أنه لا المعهد ، ولا المركز لهما أى ولاية أو علاقة من الناحية الواقعيـــة أو الرسمية على هذه الفرق ٠

●● .... هل من حق أى انسان أن يغـــير فى الموروث الشعبى رواية وأداء وتصميما وتعديلا ؟!

ـ طبعا الاجابة ليس من حق أى انسان مهما كان أمره أو موقعـه أن يتدخل أو يغير أو يعدل ٠٠ ولكن من حق الذين يفهمون ويعلمون أى المتخصصين أن ينتقوا ما يمكن تقديمه ، سواء كان مسموعا أو مرئيا ٠

الثـــراء الفنـــى

●● .... كيف يمكن الاستفادة من الأساطير والحواديت الشعبية فى دنيا السينما والمسرح والتليفزيون ؟!

ـ هـذا أمـر يرتبط بالمبدعين والفنـانين أنفسهم ٠٠ والمجال خصب ثرى زاخر لكنه يحتاج الى نوع من التعبد والصبر ، لأن الموروث الشعبى عريض عميق ويحتاج الى قراءة متأنية ، وتأمل طويل ، حتى يمكن لنـا أن نقدمه بالشكل والمضمون اللائقين بقيمته وأهميته ، وخطورة تأثيره ٠

لماذا الأغنية الشعبية مبتذلة ؟!

●● .... ما رأيك فيما يحدث الآن للأغنية الشعبية ، وهل هى أغنية شعبية أو فبركة ارتزاقية ؟!

ـ هذه قضية طويلة ، تحتاج الى مناقشة وحدها ، فلم يبتذل نوع من الأنواع الشعبية كما أبتذلت الأغنية الشعبية ، بحيث أصبحت مصطلحا مرادفا للغث والردىء والمسف من الكلام الذى لا معنى له والألحان التى أسىء استخدامها ، سواء فى الاعلانات أو فيما يقدمه المتجرون بالفن ٠٠

آسف هؤلاء التجار الذين يقدمون بضاعة فاسدة لا علاقة لها بالفن من قريب أو من بعيد أو بالأغنية الشعبية أو الفولكلور عامة ٠

●● ٠٠٠٠٠٠٠٠ اتجه البعض فى الآونة الأخيرة الى استخـــدام الراوى فى العمـــل الدرامى ، هل عودة الى الماضى أم أنه مزج بين الماضى والحاضر ٠٠ لماذا ؟!

ـ هى محاولة للعودة الى الأصول والاستفادة فنيا من الامكانات التى يمكن توظيف عنصر الراوى من أجل خدمة العمل الفنى المقدم ، والمضمون الذى يراد توصيله الى الجمهور الذى يتلقى العمل الفنى ٠٠ ويبقى الحكم على نجاح أو فشل هذه التجارب مرتبطا بكل عمل فنى على حدة ٠

●● ٠٠٠٠٠٠٠٠ وما معنى كلمة فولكلورية أو شعبية ؟!

ـ كلمة فولكلور كلمة انجليزية تعنى حرفيا « حكمة الشعب » أو « معرفة الشـــعب » وقد ترجمهـــا « مجمع اللغـــة العربية » « بالمأثورات الشعبية » ، لكن المصطلح الذى شاع هو « الفنون الشعبية » وهو مصطلح خادع فى الواقع لانه لا يدل على المعنى الأصلى دلالة كاملة وانما يدل على جزء منه فقط أو ما أنتهى اليه استخدام هذا المصطلح العلمى ، كما يليه فى الشيوع مصطلح الفولكلور وهو مصطلح لم يكن أسعد حظا من غيره ، فقد أصبح على أيدى مجموعة من المهرجين وأدعياء الثقافة مثـــارا للتندر والسخرية ٠

ان مصطلح « فولكلور » أو « مأثورات شعبية » يعنى ببساطة أسلوب التعبير الفنى الذى تعبر به الجماعات الشعبية عن نفسها وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها ومعتقداتها ٠

أحمد رأفت بهجت

اغتيال الشخصية العربية ...

●● ...... عندما يغيب الوعى ، تنحسر الرؤية ، ويفقد العقل قدرته على اكتشاف الخطر ، الذى يحاول أن يلتهم كل الموروث الحضارى للشخصية المصرية والعربيـة والاسلامية .. وتصبح آدميتنا واقعة تحت نصـال الاغتيال ، وتشويه الهوية يصبح مباحا ، فما أكثر الذين يتربصون بنا لهدم قيمنا وكياننا وحقائق وجودنا .. !!

● الحـرب البـاردة ●

تدور فى صمت معركة نقدية غريبة ، تدعو الى الدهشة والحـيرة . فرسان الصراع بعض النقاد من مدعى التقدمية ، يطلقون اتهاما غريبـا وفوضويا ، اتهاما غير مقبول من مصرى لمصرى ـ وان جاز أن يطرح من قبل الأعداء ، فتلك طبيعتهم فى استنزاف كل الشعوب بمثل هذه المهاترات القبيحة ـ فلا يجوز من بعض النقاد الذين يرفعون شعارات جوفاء لتأكيد ذواتهم ، وتحصين مكاسبهم ومصالحهم ، أن يتهموا ناقدا جادا واعيـا بدوره ، غير متاجر بمصالح وطنه أو قيمه ، بانه عدو « للسامية » وعنصرى متعصب .. !!

وجريمة الناقد « أحمد رأفت بهجت » أنه ألف كتابا عن « الشخصية العربية فى السينما العالمية » ، وكتب بحثا عن « السينما الصهيونية » .. حاول كما يقول : « أن يربط الجزئيات المتناثرة والفرعيات غير المنظـورة فى تاريخ السينما العالمية ، بغية استخلاص رؤية عربيـة تكشف ملامح ما يمكن أن نسميه مؤامرة الالتفاف ، التى تلعبها السينمـا الصهيونية

لاستغلال الأحداث التاريخية والمعاصرة ، لتقديم اسقاطات تزيد فى فعاليتها عن تأثير التعامل المباشر مع الحدث سواء كان تاريخيا أو معاصرا ٠

● المـــال اليهودى والتضليل ●

وحيث أن رأس المال اليهودى المتسلط يستخدم الصورة المرئية ، والكلمة المسموعة فى التغلغل داخل أفهام الرأى العام ٠٠ كما يقـــول : « شفيق عبد اللطيف » « فى كتابه السينما الاسرائيلية » ٠٠ من هنـــا بدت السينما الصهيونية ناقوسا ذا فاعلية مؤثرة ، **وفعلا حققت صناعـــة السينما الصهيونية أهدافها فى محورين أساسيين :**

الأول : يتمثل فى اجتذاب الأموال من جمهور المشاهدين ، سواء فى الولايات المتحدة ، أو خارجها ٠

والثانى : يتحقق فى احلال قضية اليهود فى عقلية المشاهد ، لفرض وجهة نظر صهيونية حول وضع اليهـــود فى العــــالم ٠٠ وتغليب العنصر اليهودى على كل الأجناس الانسانية ، مع التقليل من شأن العرب ووصفهم بما يحط من قدرهم بوســـائل التضليل غير العاقلة ٠٠ سينما مصنوعة لهدف لا انسانى ، لأن التركيز فيهـــا يتمثـــل فى هدم الحقائق العلمية والتاريخية للعرب ٠

ويبدو أن قلم الناقد الجاد « أحمد رأفت بهجت » قد أفزع الدبابير فى أوكارها ٠٠ وعرى شـــذوذ رؤية السينما العــالمية للشخصية العربيـــة والاسلامية ٠٠ والمحاولات المستمرة للنيل من هذه الشخصية ، والدعـــوة الى التقليل من شأنها وقيمتها وقيمة حضارتها ٠٠ وابرازها أمام عيـــــون العالم فى نقائص الجهل والجلافة والانحطاط الأخلاقى ٠

ومن هنا جاء دفـــــاع « أحمد رأفت بهجت » عن هــــذه الشخصية المستباحة بغير منطق أو عقـــل ٠٠ الا سلوك الحقد والغطرسة ٠٠ ومن هنا ثارت ثائرة التوابع ولم تهدأ ٠٠ كيف يجـــرؤ هذا النـــاقد أن يؤلف مثل هذا الكتاب عن الشخصية العربية فى السينما العالمية ، ولم يكتف بذلك بل يكتب بحثا ضخما عن السينما الصهيونية ٠ أنه قد ارتكب اثما عظيما ولابد من معاقبته بدمغه معاداة السامية والتعصب ضد الصهيونية واليهود ٠٠ وكيف تسمح نفسه له أن يقوم باتهـــــام الصهيونية « بانه منذ نهاية الستينيات انعكس التأثير الصهيونى على أغلب الأفلام التى عالجت الصراعات السياسية أو الاجتماعية داخل الدول العربية والاسلامية ٠٠ والاشارة الى هذه الأفلام وادانتها كدعايات ، لا تعتمد فى رؤيتها على حقائق التـــــاريخ العربى أو الاسلامى ٠٠ أو على جوهـــــر العقيدة الاسلاميـــة ، لا يعنى أن

أعتزازنا الشديد لعروبتنا واسلامنا أن نولى ظهورنا للصراعات المعاصرة التي يعايشها العالم الاسلامى والعربى ، بحيث نتجاهلها أو نقلل من شأنها أو نتغاضى عن سلبياتهـا ٠٠ ولكن عنـدما يصبح مبدأ التعصب الكريه ضد العربى والاســلام هو الأساس ٠٠ ويصبح « التصيد » للأحداث قديمها وحديثها ، يمثل ظاهرة بحيث يضع الأختلاق الكاذب ٠٠ العــالم الاسلامى كله فى « بؤرة » الهجوم الصهيونى اليهودى هنا يجب أن نتوقف لنعرف طبيعة ما يجرى حولنا بفطنة وحساسية ٠ وهذا من وجهة نظر الخصــوم هو الخطأ الذى وقع فيه « أحمد رأفت بهجت » أنه بحث واجتهد فى اصدار كتاب اقترب فيه من قضية ، يفرض عليها الصمت فى ظل التهديد والابتزاز بالعداء للسامية والعنصرية ٠ ولابد أن يتهم الكتاب بالحقارة والعنصرية ٠

● الهيمنــة الكاملــة ●

وتناسى بعض النقاد الذين قادوا الهجوم خوفا على مصالحهم ٠٠ أنهم لم يتعاملوا مع الكتاب كمحللين لاثبات صحة الحقائق أو تفسيرهــا ٠٠ بقدر ما كان التربص لاصدار أحكام غير متجردة من الهوى ٠٠ ومحاولة الدفاع بقــوة وعنف لرفض الاتهــامات بالعنصرية والتعصب للصهيونية واليهود ٠٠ وتجاهلوا الاختراق اليهودى الصهيونى للفن فى العالم والهيمنة لتشويه حقائق التاريخ عنــد الشعوب صاحبــة الحضارات والديانات المقدسة ٠٠ !!

وبنظرة متأنية من غير انفعال أو افتعال معارك لحساب الخصوم ٠٠ نرى أن الهيمنة كاملة لليهود والصهيونيــة العالمية على توجهات السينما العالمية ، ودورها فى السيطرة على الأفكار فى كل بلدان العالم ، مـا بين تسريب النموذج القذر وجعله القدوة ، وتمزيق كل الروابط الانسانيــة والقيم السامية ، والتشكيك فى كل الحقائق المتعارف عليهــا تاريخيـا وعلميا ٠٠ وتستند المساهمات الصهيونية فى فرض مزاعمها المضللة ضد حضارة العرب والمسلمين ، من خلال الشركات الصهيونية اليهودية ٠٠ فمن المعروف أن « شموئيل جولدين » الذي أسس شركة « مترو جولدين ماير » و « يونايتد أرتست » قد هاجر من « وارسو » عاصمــة « بولنــدا » الى الولايات المتحدة ، وظل دائما يساعد يهود اسرائيل بالمـال والافكار ، التى تخدم أغراضها العدوانية ضد العرب ٠

و «لويس ماير» الذى ظل يعمل مديرا لشركة « مترو جولدين ماير » طوال ثلاثين عاما ٠٠ فهو يهودى صهيونى متحمس لكل ما هو اسرائيلى ، « ووليام فوكس » مؤسس « شركة فوكس للقـرن العشرين » المجـرى.

الجنسية ، ظل يخدم الأهداف الصهيونية عن طريق تدعيم السينما في اسرائيل بكل الوسائل ٠٠ هذا بجانب « كارل لامل » مؤسس « شركة نيوفرسيال » وهو يهودي يملك أكبر استوديوهات السينما في الولايات المتحدة ٠٠ ظل يمول الأفكار الصهيونية اليهودية ضد العرب ٠

والاخوة « وارنر » مؤسسها يهودي ، نشأ في مدينة « وارسو » البولندية ٠٠ و « أدولف زوكور » صاحب « شركة براموتت » وهو الذي أسهم الى حد كبير في انشاء مدينة السينما الأولى في العالم « هوليوود » ٠٠ !!

من هنا لابد أن يتبادر الى العقل الكثير من الأسئلة ٠٠ هل كل هذه الشركات بما تملك من رأس مال يهودي صهيوني، ومن مخرجين صهيونيين، وممثلين وممثلات من الشهرة بمكان والتعصب لليهودية والصهيونية ، عندما يكون الصراع قائما بين العرب واسرائيل على أشده في أي جانب يقفون ؟ هل يؤيدون وجهة نظر العرب أصحاب الحق أو وجهة نظر اليهودية الصهيونية المتعصبة ضد حقوق العرب وقضاياهم ؟

وعندما يتعرضون لحضارة العرب والاسلام ، هل يعرضونها بحياد أو يشوهونها ويشوهون كل أبطالها وتاريخها ويحاولون النيل من مقدساتهم وطموحاتهم ؟

– **بالطبع المنطق يقول** : أنهم يقفون مع القضايا التي تخدم اليهود والصهيونية وطموحاتهما ، بالحق والباطل ، ويدعمون كل الاكاذيب التي تروج ضد العرب والمسلمين ٠٠ ومن هنا كان لابد أن يقف ناقد شريف مستقرىء الواقع العملي للممارسة الشيطانية الصهيونية اليهودية ضد بني قومه من العرب والمسلمين ٠

كل ما فعله « أحمد رأفت بهجت » أنه عرى جزءا من القناع المضلل لحقيقة هذه الافلام ، وماذا تعني مسها لشخصيات ذات قيمة تاريخية أو دينية أو قضايا سياسية ، وما تمثله في وجدان الأمة ٠٠ من هنا كان دوره أن يعري الحقيقة الغائبة ، ويصل الى بعض الاستنتجات ، هل هذه الافلام تقول الصدق أو أنها تنحرف في مغالطات قبيحة وتشويه متعمد ٠٠ ؟!

● سرقة المأثورات الشعبية ●

واذا كان الناقد أصاب فيما توصل اليه من استنتاج ، فله أجران ، وان أخطأ فله أجر ٠٠ لكن من العار والسخف ، أن تنطلق أفيال توابع

الصهيونية واليهود ، لتحطمه بمقولة « شيلوكية » الهـــدف والقصد فى الابتزاز السافر ، بان الناقد عدو للسامية وعنصرى متعصب ضد الصهيونية واليهود .. وهـــذا والله قمة الانتهازية الفكرية من بعض النقـــاد مدعى التقدمية ، وتجاوز لكل الأعراف والقيم الوطنية والدينية النبيلة .. ولـم ولن يتوقف طموح الصهيونية واليهود فى نهب ثروات شعوبنا الاسـلامية والعربية ، وابتزاز تراثنا الحضارى ، بانتحـاله ونسبته اليهم .. وعلى سبيل المثال ما جـــاء فى كتـــاب « الفولكلور والاسرائيليات » للدكتور « أحمد على موسى » والدكتور « فاروق محمد جودى » .. ما جبل عليـــه الاسرائيليون ومقدرتهم على التزييف ، وما أدخله اليهود من أسرائيليـات فى تفسير « القرآن الكريم » و « الحديث النبـوى الشريف » .. حتى الحقائق الثابتـة تاريخيا زورت بأيدى صهيونية يهودية ، لخلخلة القيم وانتزاع حقوق ليست لهم ، ولا بهم أى علاقة ، أنهم يسرقون الذاتية القومية للشعوب ، لايجاد ذاتية قومية لهم ، وتراث أو ثقافة واحدة تجمعهم ، وتؤكد هذه القومية ، مستغلين فى ذلك المأثورات الشعبية أو فولكلور الشعوب المختلفة مدعين أنها مأثوراتهم وتراثهم .

فنقرأ فى كتاب Israel Folklore Research Studies

أنه يهدف فى الحقيقة الى اثبات عدة أمور :

١ ـ أن المأثورات الشعبية أو الفولكلور الخـــاص بمنطقة الشرق الأوسط متشابه ، أو متماثل ـ اذا شئنا الدقة فى التعبير ـ على الرغم من تعدد أصول المنطقة وتنوع لغاتها واختلاف عاداتها وتقاليدها .

٢ ـ أن كثيرا من مظاهر الحياة الشعبية العربية ، سواء من ناحيـة اللغة أو السلوك أو غيرهما انما تعود الى أصول عبرية ، أو منابع يهودية قديمـــة .

٣ ـ تغيير بعض الفكر التى لصقت باليهود طوال تاريخهم ، وأسهمت فى تشويه صورتهم أمام غيرهم من الشعوب التى عاشوا بين ظهرانيها .

ولذلك هم يعتبرون أن كل ما يحفظه اليهودى أو يرويه أو يتذكره أو يغنيـــه ، مهما كان المكان الذى جـاء منه ونشأ فيه ، ومهما كان عمره أو لغته .. هو جزء من التراث الشعبى اليهودى أو الاسرائيلى .

أنهم يكتبون ما يشاءون ، غير عابئين بشىء ، مسخرين العلم لخدمة أهدافهم .. وأننا لنخطىء خطأ فادحا فى حق أنفسنا ، وفى حق وطننا ، اذا تقاعسنا عن جمع تراثنا أو تهاونا فى دراسته ، أننا لو فعلنا هذا ،

قد نفاجأ يوما بأن العالم يصنفنا على أننا نعيش عالة من الناحية الحضارية على تراث اسرائيل ·

هذه هي طبيعة اليهود والصهيونية في كل ما يمسونه بأيديهم ، فما بالك بالسينما كأسهل وسيلة يستخدمونها استخداما واعيا في تضليل الرأى العام العالمى ، وتحريضه على العداء والازدراء للشخصية العربية والاسلامية ، ومن هنا كان حرصى على معرفة وجهة نظر الناقد الجاد ــ في الافتراءات التى حاول البعض أن ينال بها من جهده المخلص ، وايمانه العميق بقضايا وطنه وأمته ــ « أحمد رأفت بهجت » صاحب كتاب « الشخصية العربية في السينما العالمية » وصاحب البحث القيم عن « السينما الصهيونية » ·

● التطرف فى المصالح ●

●● حاولنا معا أن نقترب من الوجه المظلم لهذه الزوبعة ، والخفايا الغائبة وراء هذه الاتهامات ، التى يطلقها ممن يفترض فيهم الوعى الثقافى والحضارى ·· والتطرف فى المصالح يؤدى الى فساد الوعى الفكرى ··

ــ قــال :

هذه حقيقة أصبحنا نواجهها نحن النقاد ، ولا أدرى فى الواقع كيف نطالب الذين استمرأو ارتباط مصالحهم باغراءات ، غالبا ما يكون خلفها اليهود والصهيونية ، مثــل المهرجانات السينمائية ، وشركات التــوزيع العالمية ، والندوات التى تعقد فى بعض الجامعات الأوربية والأمريكية ، لأهداف هى فى غالب الأمر لصالح من يقيمونها ، لدرجة أن من يشذ عن الاستسلام لها ، ويحاول أن يتخذ موقفا موضوعيا منهــا يكون مصـــيره النبـــذ ·

يضاف الى ذلك أن هناك حقيقة مؤسفة قد أثيرت خـــلال الشهــور الماضية ، أن بعض النقاد أصبحوا يرون أن مهنة النقد السينمائى مع تشعب العلاقات الخاصة وامكانيات النشر المتاحة ، يجب استغلالها من أجل العمل فى شركات الانتاج والتوزيع السينمائى ، بل العمل كمديرين للدعاية لبعض الافلام ، وهذا أمر فى الواقع مهما كان الناقد واعيا لدوره النقدى ، فــانه يغلب فى النهاية المصلحة الذاتية ومردودها المادى الذى غالبا ما يكــون ضخما ، وبالتالى يؤثر هذا المردود على أى موقف نقدى موضوعى يحاول أن يتبناه ، ويجد نفسه من حيث لا يدرى مجروفا خلف رمال متحركة تجعله يتلاشى كناقد له كلمته ·

● الشخصية العربية فى السينما العالمية ●

● ● عندما يفكر أديب أو فنان أو ناقد فى تأليف كتاب ما ، نكون عنده البواعث القوية التى تدفعه لذلك ، والناقد « أحمد رأفت بهجت » يقول تعود فكرة كتاب « الشخصية العربية فى السينما العالمية » الى بداية اهتمامى بالسينما الصهيونية ، والدور اليهودى عموما فى السينما العالمية، ويتذكر أنه فى عام ٧٦ أو ٧٧ وفى أعقاب عملية « عنتيبى » ظهرت فى وقت واحد ثلاثة أفلام عن هذه العملية ، قدمها اليهود فى اسرائيل ، وفى السينما الأمريكية ، لعب بطولتها نجوم لهم شهرتهم من أمثال « كيرك دوجلاس » ، « اليزابيث تايلور » ، « شارلز برونسن » ، « هيلين هايز » · كما أعلن عن مشاريع أخرى لأفلام عن نفس الموضوع ، وفى نفس الوقت هـــذه الحادثة ، هى التى دفعتنى لاعادة تقييم السينما العالمية ، وخاصة السينما الأمريكية ، وهى السينما التى كنت أهتم بها بشكل واضـــح ، وبدأت تتداعى الأمور ، واكتشفت حقيقة مؤسفة ، وهى أن هذه السينما هى فى واقع الأمر ألعوبة فى يد الصهيونية واليهود منذ نهاية القرن الماضى حتى هذه اللحظة قد حاولت تقديم بعض الدراسات عن هذه السينما ، واعادة النظر فى أفلام سبق أن بهرت بها ، وقدمت فى مجلة السينما والمسرح فى عام ٧٩ ملفا بعنوان « دليل المتفرج الذكى للسينما اليهودية » ·· ثم بعد ذلك حاولت التركيز فى أهم الملامح التى ترتبط بعلاقة السينما الصهيونية بالشخصية العربية ، وهنا ظهرت البداية لمعالجة ما نسميه « الشخصيــة العربية فى السينما العالمية » · وكما ذكرت فى الجزء الأول من الكتــاب المعروف بنفس الاسم ، أن هناك نوعين من الأفلام التى قدمت الشخصيــة العربيـــة ·

النوع الأول : تمتزج فيه المصالح الاستعمارية مع المصالح الصهيونية ، حاولا تشويه التاريخ العربى والاسلامى ، واستغلال بعض الأجواء الشائعة الخاصة « بالف ليلة وليلة » ، « وورومانسيات الصحراء » مثــل أفـــلام « الشيخ » و « ابن الشيخ » و « الهمجى » ·

فى الوقت نفسه شوهت شخصية المرأة العربية · والمثقف العربى ، وتداخلت فيه القضايا العربية المعاصرة مثل علاقة العرب بالبترول ما قبل ٧٣ وبعد ·· هذا بالنسبة للجزء الأول ·

النوع الثانى: لم ينشر بعد ، عن الدور الصهيونى المباشر فى التعامل مع الشخصية العربية من خلال قضية « فلسطين » ·· وهذا الموضوع قد يعتقد البعض أنه يتميز بالمباشرة ، على أعتبار أن هذه أفلام تكتفى بتجسيد الصراع العربى الاسرائيلى ، من خلال الاحـــداث المعـــاصرة الحقيقية أو

المتخيلة · الواقع أن الأمر مختلف ، فقد ساهمت نوعيات كثيرة من الأفلام ، بداية من أفلام « الغرب الامريكى » الى الافلام الموسيقية ، والبوليسية ، والتاريخية بالشق المتخيل أو الحقيقى فى معالجة هذا الصراع ·

● الالتفاف حول التاريخ ●

لو قلت لك على سبيل المثال ، أن فيلما مثل « ملوك الشمس » الذى لعب بطولته « يول براينر » و « جورج تشاكرس » وتدور أحـداثه حول تاريخ « المـايا » فى أمريكا الجنوبية ، وهو تاريخ يتشابه الى حد بعيد مع « التاريخ الفرعونى » ، حاولت السينما الصهيونية الالتفاف حوله لكى تقدم من خلاله صورة تتشابه تماما مع تاريخ اليهود فى مصر ، وتنتهى محصلتها الفكرية على وجوب التعامل بين شعوب المنطقـة وبين الأقليـــة من منطلق الأرض مقابل العلم والتكنولوجيا ·· وهو الأمر الذى يدعى الفيـــلم أن أصحاب الأرض يفتقدونه ·· !!

● العـــداء للساميـــة ●

●● وعن الدوافع الخفية وراء هجـــوم بعض النقاد على هـــذا الكتاب ·· ؟

ـ قال : ـ

رغم الاستقبال الحـــافل لهذا الكتاب فى كثير من الصحف المصرية والعربية الا أن هناك قلة ادعت أن الكتـــاب عندما يرجع غالبا · تشويه الشخصية العربية الى الفنانين اليهود ، فهو بذلك يتسم بالعنصرية ومعاداة السامية ·· !!

وهناك آخرون قالوا ان هناك أخطاء فى بعض ما ذكرت ، ولا أريد التوقف أمام الفئـــة الثانيـــة ، لأن كل تصحيح لخطأ سيكون فى صالح الكتاب والقضية التى يثيرها ، وقد أشرت الى ذلك فى مقدمة الكتاب عندما قلت « أن هذا الكتاب ما هو الا بداية ومحاولة فى مجال التعريف بالافلام العالمية ، التى صورت الشخصية العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الآن ، وكان منطلقها الأساسى الانتماء الى بلدان لها أهدافها السياسيـــة والاستعمارية ، مما يدفعها الى ابراز ضروب الصراع المعروف بين القـديم والجديد الذى دأب الغرب على تجسيده ، عند تصوير ما يحدث فى بلدان الشرق العربى أو فى سلوك الشخصية العربية ، عندما تحاول التلاؤم مع البيئة الغربية ·· وأيضا كان خلفها السينمائى اليهودى بكل ثقلـــه ·،

وفى كل مجال من مجالات صناعة الفيلم ٠٠ مما يعكس بشكل صـــارخ طبيعة الالتقاء بين المصالح الاستعمارية واليهودية ٠ والذى يعد من الأهداف الصهيونية الحيوية ٠

وأخيرا ان هذا الكتاب هو مجرد محـاولة تتسم بكل مـا تتسم به المحاولات من قصور وربما أخطاء ٠٠ » المهم أن تملك هذه الفئة الدليل على الخطأ حتى نصحح ، بدلا من أن نلغى الخطأ بخطأ آخر ٠

أما الفئة الأولى : فأصدقك القول أن موقفهم يدعونا الى الاستغراب من هو العنصرى ؟ هل هو الذى يشوه الشعوب وتاريخها وحضارتهـــا وملامحها الخاصة ، أو الذى يحاول أن يدافع عن عنصره ليس بالهجوم ، أو بصنع أفلام مضادة ، ولكن بمجرد الكشف ، وهو الشىء الوحيد الذى أملكه ، وهـــذا فى اعتقادى أضعف الايمان فى مواجهـــة هذه الحمـــلة الشرسة ٠٠ ؟!

كيف تسمح ضمائر هؤلاء النقاد بتحويل الجناة الى ضحايا ، وتحويلنا نحن الى جناة ، وهو أمر يدعو الى السخرية والألم فى آن واحد ٠٠ !!

وكنت أتمنى من هؤلاء النقاد مساندتى فى هذا البحث ، وتعقب الجناة لابراز الحقائق أمام المشاهد العربى على الأقل من أجل الفهم ٠

ولقد حاولت بالفعل مشاركة بعض من الزملاء النقاد العـرب الذين يمارسون عملهم فى أوربا ، لأن فرصتهم فى مشاهدة الأفلام المناهضة لنا أكبر كثيرا من فرصتى ، وأنا متواجد فى ظل قوانين رقابيـــة تمنع بعض الأفلام ، ونظم توزيع تمنع أفلاما أخرى ٠

ولكن للأسف قوبل طلبى للمشاركة بعد مدة وصلت الى أكثر من عام بالاعتذار ولولا اتاحة الفرصـــة لى من خـلال مكتبة فيديو ضخمة يملكها صديق عربى يقيم فى القاهرة لما استطعت تقديم هذا المجهـود ٠٠ الذى أكرر مرة أخرى أنه مجرد بداية لمن يريد أن يبحث ، ولو اكتف النـاقد المتخصص بالاطلاع على مجرد « الفيلمو جرافيا » أو قائمة الافـــلام التى ذكرتهـا فى الكتاب ، لكى يعيد البحث واعطاء رؤية أخـرى ، فهذا فى اعتقادى سيصبح شيئا مع الكتاب وليس ضده ٠

● عجـز السينمـا العربيـة ●

●● وعن قـدرة السينما العربيـة فى التصدى لهجوم السينمـا الصهيونية واليهود وتشويهنا ؟٠٠

من المؤسف أن السينما العربية ، لم تستطع التصدى لهجوم السينما الصهيونية ، ومحاولاتها المستميتة لتشويه الشخصية العربية ، ولا أريد تركيز السبب فى ذلك حول الامكانيات المفتقدة أو دائرة توزيع الفيلم العربى المحدودة ، أو عدم وجود من لهم القدرة الفكرية لمواجهة هذه السينما ، الواعية أننا لم نواجه السينما الصهيونية ، لاننا فى الأساس لا نتميز فى أفلامنا ذات الطابع السياسى بالقدرة على استيعاب المشاكل بشكل كامل ، وأيضا عدم فهمنا لطبيعة الغزو الموجه ضدنا ، بحيث أصبحنا نرى أفلاما صهيونية التوجه والطابع ، تشوه الشخصية العربية يتم تصويرها على الأرض العربية ، وفى ظل كل القوانين الرقابية ، وما يسمى بالمقاطعة العربية ، بل تتضاعف المأساة عندما تعرض هذه الأفلام داخل الأمة العربية يستقبلها الجمهور العربى بحفاوة منقطعة النظير ، ولنضرب بذلك مثالا ، فيلم المخرج الصهيونى « ستيفن سبيلبيرج » الفيلم المسمى « غزاة القوس المفقود » ·· هذا الفيلم تم تصويره فى مدينة صغيرة « بتونس » على اعتبار انها مدينة « القاهرة » وداخل أحداثه التى تمجد اليهود ، نجد سخرية لا يتصورها عقل ضد الشخصية المصرية ·· ورغم ذلك عندما عرض الفيلم فى مصر قبل أن تتدارك الرقابة مساوئه ، كان الجمهور المصرى يصفق للبطل اليهودى عندما يراه يشهر مسدسه ليقتل شابا مصريا ·

وهناك الأمثلة المرتبطة بأفلام عالمية شهيرة تم تصويرها على الأرض العربية ، وكانت فى واقع الأمر سلاحا مشهرا ضد الشخصية العربية ·

هناك فيلم « لورنس العرب » و « ماركو بولو » و « الخرطوم » و « أبو الهول » ·· الخ ·

ولا تكتف السلبية العربية بذلك ·· بل سمحت بالمشاركة فى انتاج أفلام مناهضة للشخصية العربية ، بل تمتهن من شاركوا فى تمويلها « ومازلت على اقتناع بأن بعض الأفلام مثل « معركة الجزائر » أو « اليز أو الحياة الحقيقية » ·· الذى تم تمويلهم بالأموال العربية ·· وهى من الأفلام المناهضة لهذه الشخصية ·

واذا تجاهلنا التجارب الحديثة فى السينما العربية ، والتى أصبحت ترى ما تراه السينما الصهيونية فى تقديم العربى واليهودى ، مثل أفلام « ريح السد » و « الصورة الأخيرة » وغيرها ·· سنكتشف أننا أمام مجموعة من المتناقضات أدت فى النهاية الى جعل السينما العربية لا تستطيع التصدى لهجوم السينما الصهيونية ·· !!

● ● وينتقل الحوار بنا عن مدى نجاح الأفلام المناهضـــة لنا على المستوى التجارى والترفيهى والفنى ٠٠

قال :

ـ نعم نجحت تماما على المستويين التجارى والترفيهى ، وهناك أفلام تعد فى تاريخ السينما العالمية من التحف التى سيعاد تقديمها مرة أخرى ، مثل فيلم « لورنس العرب » ٠٠ ولكن أؤكد لك أن أغلبية الأفلام التى تعاملت مع الشخصية العربية كانت قاصرة فكريا ٠٠ رغم منطقها الخبيث فى تشويهنا ، الا أنها كانت تفقد القدرة على جعل الآخرين يحترمونها ٠

لعل أكثر النماذج تمثيلا للفجاجة السينمائية على كل مستوى ، هى النماذج التى قدمها فى السينما العالمية المنتج الاسرائيلى « مناحم جولان » وتابعه المخرج الأمريكى « ج٠ ل٠ طومسون » و « أوتوبرمنجر » و « ستيفن سبيلبيرج » وغيرهم ٠

وحدود التشويه التى يتبعونها تتم على مستويين أو عنصرين ٠٠ هما عنصر التشويه التاريخى أو الحقائق المعـــاصرة ٠٠ والعنصر الآخر هو التشويه السلوكى ٠

رغم خطورة العنصر الأول ، الذى غالبا ما نركز عليه فى نقدنا لمثل هذه الأفلام ، الا أننى أعتقد أن التشويه السلوكى أخطر وأكثر تأثيرا على المتفرج العادى الذى لا يهمه كثيرا الحقائق التاريخية ٠

وعلى سبيل المثال ٠٠ عندما نرى الأمير « فيصل » فى فيلم « لورنس العرب » يشهر سيفه ويجرى بحصانه ، محاولا محاربة طائرة تركية تحوم فوق قواته مناديا « الله أكبر » ٠٠ فى مشهد من أهم المشاهد التى قدمها « ديفيد لين » ٠٠ هذا المشهد من المؤكد لا ينتمى للواقع ٠٠ لكنه يبغى تشويه شخصية عربية فى سلوك غير منطقى ٠٠ يؤدى الى تشويهنا ، بل وتشويه الديانة التى يعتنقها هذه الشخصية ٠٠ هذا المشهد فى خطورته مع عشرات فى مشاهد فيلم « لورنس العرب » يلعب دورا خطيرا على المتفرج العالمى ٠٠ فى حين أنه ربما تظهر بعض الأكاذيب التاريخية داخل الأحداث ولكنها لا تؤثر على المتفرج العادى ٠

التشويه السلوكى : أصبحت الشخصية العربية مجرد نمط يتميز دائما بالحسية والبدائية والغباء ، واذا وجدت نماذج تحمـــل فى ظاهرها

ما يؤكد عكس ذلك ، فهى غالبا تقدم من أجل تشويه أحداث أكبر أو قضايا لها مدلولاتها المؤثرة على رد الفعل الجماهيرى ٠

وعلى سبيل المثال ٠٠ فى فيلم « أبو الهول » للمخرج الصهيونى « فرانكلين شفنر » ٠٠ قد نعجب بشخصية العالم الأثرى « أحمد خزان » للحظات ، حتى نكتشف أن هذا الاعجاب المؤقت قد قدم من أجل ادانة كل قبيلة « أحمد خزان » ، بل مجتمعه المصرى فى اللحظة الحاضرة والعودة بها الى أيام الفراعنة ٠

● ● الاختراق المتعمد للتشويه السلوكى فى السينما المصرية ٠٠ ؟

هذا السؤال يحمل فى طياته التعرف على عنصرين ٠٠

الأول : العنصر الخاص بطبيعة السينما المصرية ، التى اعتمدت فى كثير من مراحلها على الاقتباس ، فكانت تنجذب بسذاجة وعدم فهم لبعض الأفلام المناهضة رغبة فى تقليدهم ، وعلينا أن نراجع أفلام الأخوان « لاما » التى حاولا فيها محاكاة أفلام « فالنتينو » و « رومانوفارو » مثل « الشيخ » و « ابن الشيخ » و « الهمجى » وغيرهم ٠

مثل هذه الأفلام حاولت أن تقدم نفس الموضوعات التى قدمتها السينما الغربية ، التى حاولت تشويه الشخصية العربية ٠٠ وتكثيف ما يسمى صراع القبائل من منطلقات استعمارية معروفة ٠

وهذا الجانب فى التقليد ، نستطيع أن نتعامل معه باعتباره يعتمد على حسن النية ، ومجرد الرغبة فى التقليد ٠

لكن **العنصر الثانى :** الذى قام به مخرجون من أمثال « توجو مزراحى » اليهودى فى أفلامه التى حاولت الحديث عن التاريخ العربى مثل « سلامة » و « ألف ليلة وليلة » وغيرها ٠

وأنا أعتقد أن مثل هذه النوعية لو أعاد نقادنا تحليلها سيكتشفون أنها لا تقل عنصرية عن الأفلام التى قدمت فى السينما الأوربية والأمريكية ٠

المصادر المتاحة

● ● وعن امكانية الاكتفاء بالاطلاع على قصص بعض الأفلام القديمة المناهضة للعرب ، من غير مشاهدتها لاستخلاص رأى عنها ٠٠ ؟

قال :

ـ المصادر كثيرة ٠٠ ولكن من ناحية أخرى فى مجال السينما الأمريكية والأوربية ، مجالات عديدة للاطلاع على تفاصيل قصص بعض الأفلام ٠٠ فاذا قارنا هذه القصص بعدة مراجع تستطيع التأكد من صدقها ٠

وعلى سبيل المثال المخرج اليهودى الألمانى « أرنست لوبيتش » له فيلم ألمانى عرض عام (١٩١٨) ٠

وتم توزيعه فى السينما الأمريكية عام ١٩٢١ بعنوان « ليلة عربية » ٠٠ هذا الفيلم اتفقت جميع المراجع على أن حبكة قصته تدور حول زوج عربى عجوز غيور ، يهجر زوجته الحسناء « زليخة » من أجل راقصة لعوب ـ تلعب دورها الممثلة الألمانية الشهيرة « بولا نيجرى » ـ فى الوقت الذى يعشق ابن هذا الشيخ نفس الراقصة ٠٠ مما يدفع الأب الى قتل ابنه والراقصة ٠٠ الأمر الذى يجعل حارس الراقصة الأحدب يطارد الشيخ ويقتله ٠٠ فى نفس الوقت تهرب الزوجة مع عشيق شاب يحمل اسما أوربيا ٠

هذه التركيبة التى تجمع ما بين الأب والابن والراقصة ، والتى تدفع الأب الى قتل الابن من أجلها ، وتدفع بالزوجة الى الهرب مع عشيقها ٠٠ مع كل الصور السينمائية المنشورة فى عدة مراجع ، تجعلنا فى النهاية فى حالة ما يشبه اليقين تجاه الهدف المطلوب من هذا الفيلم ٠

ومن هذه الحبكة نستخلص بعد التشويه السلوكى ، الذى دأب اليهود على انتهاجه عند التعامل مع الشخصية العربية ، وهو تشويه يهز الأركان الاجتماعية والدينية والأخلاقية للمجتمعات العربية ٠٠ ومتى حدث هذا فى عام ١٩١٨ بعد وعد بلفور المشئوم بعام واحد ٠٠ ؟!

وحتى يثبت العكس ليس أمامنا الا تقديم الفيلم من وحى الحبكة التى تعارف النقاد على سردها فى الكتب ٠٠ من ناحية أخرى سيناريوهات الأفلام المتاحة لا تعطى كل المطلوب معرفته عن فيلم ما ، ولكنها تصلح للاسترشاد فى مجال الاشارة الى أفكاره ، ومع ذلك فما شاهدناه من أفلام الفيديو بالاضافة الى ما عرض من هذه النوعية من الأفلام فى مصر ، منذ الخمسينيات حتى الآن يكفى لاعطاء عينة صادقة لادانة السينما العالمية العنصرية فى مناهضة الشخصية العربية ٠

مدلولات هذه الأفلام

●● واستمرار هذا النهج من الأفلام العنصرية الصهيونية تجاه الشخصية العربية ، ما هى مدلولاته وتأكيداته ؟ .

ــ حتى لا نقلل من دور السينما الصهيونية ، يجب أن نعلم أن حملتها لم تكن فى يوم من الأيام ضد العرب فقط ، بل أنها كانت تسير على ثلاث جبهات رئيسية .

الجبهة الأولى : وهى الجبهة اليهودية التى تسعى من خلالها لتحقيق كل ما يتعلق بالقضايا اليهودية ، وتجسيد الشخصية اليهودية من منطلقاتها المختلفة سواء الدينية أو المعاصرة ، والتى كانت تجعلها دائما فى موقف المختار وسط كل الشعوب الأخرى .

الجبهة الثانية : ترتبط بعدو تقليدى لليهود ، وهو المسيحية الكاثوليكية وكل ما ينتمى اليها .

الجبهة الثالثة : وهى ترتبط بالشعوب الاسلامية والعربية عامة ، وفى هذه الجبهة لم تفرق كثيرا بين الاسلام والعرب .. بل كانت ترى فى مجال هجومها على أى منهما أنهما عنصر واحد .

فالهجوم على المسلم فى أى مكان سيكون له مردوده على الشخصية العربية ، والهجوم على العربية يحقق مردوده على كل ما ينتمى الى العالم الاسلامى .

بدأ هذا الوعى بالجبهات الثلاث بعد المؤتمر الصهيونى الأول فى « بازل » ١٨٩٧ ومراجعة مجموعة الأفلام التى قدمها المخرج الفرنسى « جورج ميلييه » .. بعد هذا التاريخ مباشرة .. تعكس كيفية التعامل مع الجبهات الثلاث .. سنرى الجبهة اليهودية .. يقدم قضية «دريفوس» و « اليهودى التائه » ويقدم فى الجبهة الاسلامية « بيع جوارى الحريم » و « المهرج المسلم » و « ألف ليلة وليلة » .

فى الجبهة الكاثوليكية يقدم « جان دارك » و « الشيطان فى الدير » .. الخ .

وفى النهاية يجب أن نتوقف عند رموز بعينها وردت فى كتاب « الشخصية العربية فى السينما العالمية » ، حتى ندرك ما يدبر لنا فى الخفاء للنيل من تراثنا وحضارتنا وديننا وثقافتنا .. وما هى أبعاد مؤامرة الحصار الصهيونى لشخصيتنا العربية ، وطمس كل اشراقاتها المضيئة عبر

تاريخها الطويل ، لتبديد الحلم ٠٠ واغتيـــال حقيقـة وجودنا كأمة لها تميزها ٠٠ ومن هنا يجب أن نحذر الاختراق الذى يسعى أن ينثر بذوره الفاسدة فى تربتنا من خلال شركات التوزيع الصهيونية ، وعلى رأســها شركة « كانون » لأصحابها « جولان وجلوباس » بشكل سافر ٠

واذا كانت شركة « كانون » الاسرائيلية ، تحاول أن تغرق الأسواق المصرية بالأفلام التى تمجد المستعمر الغربى له السياسات العدوانية من خلال أفلام مثل « فوق القمة » ، و « لقاء الجبابرة » « لمنــاحم جولان » و «لعنة الماس» لنفس المخرج اليهودى الصهيونى ، و «انتقام العملاق الأسود» للمخرج سام « فايرستنبرج » و « انتقام النينجــا » لنفس المخرج ٠٠ وغيرها من الأفلام ٠٠ ويجب أن نأخذ الحيطة للأمر ٠٠ ونوقف تسرب هذه الأفلام من خلال شركات الفيديو التى لا تسعى الا الى الربح فقط ، دون النظر الى خطورة مثل هذه الأفلام على الشخصية العربية ، بكل ما تحمله من تشويه وأفكار مسمومة ٠

وقبل أن يمنح البعض منا أعداءنا الخناجر ليقتلونا بها ، لابد أن نعى ما يصنع أصحاب المصالح الضيقة بنقدهم المشبوه ٠

قد يلوون أعناق الحقائق لحساب الشيطان ، لكن تظل الحقيقة حقيقة مهما حاولوا أن يزيفوها بشكل فريد ٠

فالشرفاء يجب أن يتنبهوا لما يخطط لمجتمعهم فى الخفاء بأيدى بعض النقاد من مدعى التقدمية ، وهم أقرب الى لعب دور البلياتشو السمير فى الليالى الحمراء على حساب الأمة العربية !! ٠

والذين غاب وعيهم وادراكهم عن الفهم بأن اليهود والصـــهيونية وجهان لعملة واحدة ، نقول لهم اقرأوا الكاتب الأمريكى « ادوارد تيفنان » مؤلف كتاب « اللوبى ـ السطوة السياسية اليهودية والسياسة الخارجية الأمريكية » ٠

والذى استشهد بقول للقاضى الأمريكى « برانديس » :

« ان الصهيونية لا تتعارض مع الوطنية فازدواج الولاء شيء يمكن الاعتراض عليه فى حالة واحدة هى أن يكون الولاء لشيئين متعارضين ، وليس هناك أى تعارض بين كون المرء أمريكيا يدين بالولاء لأمريكا ويهوديا يدين بالولاء للصهيونية ، بل ان الولاء لأمريكا يتطلب من كل أمريكى أن يصبح صهيونيا ٠٠ !!

واضطر « بن جوريون » الى الاعتراف بمفهوم الصهيونية لدى يهـود

أمريكا بأنها مجرد واجب انسانى تجاه اسرائيل يفرض مساندتها ودعمها ماديا ومعنويا » ٠

والذين يتناقضون مع أنفسهم من أجل متعـــة زائلة ، ويتلاعبون بالمذهب لتحقيق طموحهم الكاذب وفرطوا فى حق أنفسهم وفى حق وطنهم ودينهم ، واتبعوا أهواء شيطانهم ، حقت عليهم اللعنة ٠

وهؤلاء نذكرهم أن « شرف الوطن » أعظم من « ضلال المذهب » .. !!

وفى تحقيق كتبه الدكتور « حامد ربيع » فى مجلة « كل العرب » العدد ٢٧٠ عام ١٩٨٩ قائلا : « هل الصهيونية تنفى أو تتعارض مع اليهودية ؟! مما لا شك فيه أن عمق العلاقة بين اليهودية والصيهونية يختلف ومن ثم يختلف تحليل مدى العلاقة بين العنصرين وذلك تبعا للمذهب الفكرى الذى يمكن أن نستند اليه فى تفسير العلاقة ٠

ونستطيع تحديد ذلك بصفة عامة ومع شىء بسيط ، حيث تنقسم الاتجاهات الصهيونية الى فريقين يقف كل منهما من الآخر موقف التميز ٠ فالاشتراكية الصهيونية وهى التى سادت الأوساط الاسرائيلية المسئولة اجمالا حتى حرب ١٩٦٧ تجعل من اليهودية مصدرا بين مصادر أربعـــة ساهمت فى تشكيل الفكر الصهيونى ٠ فالصهيونية فى هذا الاطار الفكرى تشكلت من خلال تفاعل بين أربع اتجاهات فكرية : اليهودية والقومية ثم الاشتراكية والعنصرية ٠

اليهودية من ثم أحد مصادر أربـع تكون الركيزة الحقيقية لتكوين المفهوم الصهيونى للوجود السياسى ٠

الصهيونية اليمينية التى تحكم حاليا ومنذ مجيىء « مناحم بيغن » تنطلق من توجه آخر ٠ انها تجعل الصهيونية الوجه الآخر لليهودية ، أى أنهما وجهان لحقيقة واحدة ٠

الصهيونية بعبارة أخرى أعادت صياغة اليهودية فأعطتها وظيفـة سياسية وبلورت وظيفتها الحضارية على ضوء حقائق القرن العشرين ٠

فالصهيونية تؤمن بأنه قبل الصدام الجسدى لابد من حرث الأرض لاعدادها للاختراق بحيث تجتازها الأسلحة القتالية كما يحدث للسكين عندما تقتحم قطعة من الجبن ٠ لا تقف أمامها أية عقبة ، بل ان الاختراق يصير سهلا حتى ولو كانت أداة الاختراق ضعيفة غير حادة ٠ كذلك فان الصهيونية اليمينية والتى تحكم حاليا اسرائيل ، تجعل من عنصر الدين متغيرا أساسيا فى التعامل ٠

فهو قدرة تسمح بالتناسق والتجانس والتماسك ، ومن ثم فان التعامل مع عنصر الدين ، أى اساءة توظيفه لابد وأن تقود الى افقاد الجسد عناصر التناسق والتجانس والتماسك ٠

فالصهيونية المحافظة تجعل من المتغير الدينى أحد المحاور الأساسية للتعامل السياسى ليس فقط فى بنائها وادراكها الذاتى ولكن أيضا فى نظرتها الى خصومها ٠ والدعاية الصهيونية لم تقتصر على ذلك ٠ بل انها حاولت أن تخلق من الأقليات عداوة حقيقية فى مواجهة الارادة العربية » ٠

وفى النهاية لابد أن نتنبه الى التخريب المتعمد فى داخل الوطن العربى ، من خلال الطابور الخامس الذى زرعته الصهيونية لخلق عناصر تنخر فى الجسد السياسى وتخضع بالولاء لقوى أجنبية حتى ولو كانت معادية ٠

ومن هنا يبرز هذا الطابور الخامس مدافعا عن الصهيونية باسم اليهودية ، وعن اليهودية باسم الصهيونية ٠

وافتعال معارك وهمية من خلال الدفاع عن مسميات يعرفون أنها زائفة وكاذبة ، وأن الغاية البعيدة من هذا الارهاب الفكرى خدمة مصالح الصهيونية بتدمير الكيان الاجتماعى العربى ، وقبض ثمن هذا الولاء برفع هذه الشعارات التى تجد رواجا عند الذين يعانون من « الدونية » حتى ولو كانت على حساب أوطانهم ٠٠ !!

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٣٢٧٧

ISBN — 977 — 01 — 2737 — X

عندما تتقلص حرية الإنسان يفقد مرونة التفكير والتصور والتخيل ، ولا يقوى على العطاء ولا مسايرة الحياة المتطورة ، ولا يستطيع الاتصال بروح العصر الذى يعيش فيه . ولا يمكن أن تحقق الثقافة ذاتيتها فى جو من القسر وغياب حرية الفرد ، فالثقافة فى رمزيتها اكتساب المعرفة وتنظيمها ونقلها إلى الآخرين ، وهى التى تصنع مجتمعا قادرا على الالتحام والتفاهم ، وإذا تخلفت الثقافة فإن الأوضاع الاجتماعية تضطرب وتسوء الأمور وتنهار الأخلاق وتعجز عن اللحاق بركب العصر الذى يتحدانا ، ونحن لم نقابل هذا التحدى بما يتكافأ معه من قوة وصلابة وانتاج ، من حيث المشاعر ، ومن حيث التفكير ومن حيث السلوك . ولذلك نجد الفجوة رهيبة بين ما نحن عليه وبين ما كان ينبغى أن نكون عليه لنقابل حضارة العصر بما تستحقه من جدية ومن قوة ، فالفترة التى جاءت بعد الثورة كانت بمثابة التعليق على فكر معين أكثر مما كانت انتاجا لذلك الفكر فاضطربت الأذهان وفسدت المعاملات ، وأصبح الشعب لايدرى على أى قدمين يرقص وماذا يفعل بأصابعه العشرة كما قال « كونفشيوس » .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

